

النور السائر  
من  
خطب المنابر

النور السائر  
من خطب المنابر

التنسيق والإخراج طالب عفو ربه الأكمل  
هشام بن حسين بن علي الأهدل

777 966 145 الأهدل 711 311 745

لحن الطباعة

النور السائر  
من  
خطب المنابر

المجموعة الثانية

تأليف الشيخ

عبد الله عبده نعمان العواضي

2

## مقدمة المجموعة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً  
 وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].  
 ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
 فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.  
 أما بعد:

فهذه المجموعة الثانية من خطب الجمعة التي خطبت بها، تم تفرغها؛ رجاء الأجر وامتداد النفع بها، أسأل الله أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه نافعاً لعباده، والحمد لله رب العالمين وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه: عبد الله بن عبده نعمان العواضي

إمام وخطيب مسجد ابن الأمير الصنعاني

اليمن - صنعاء



النور السائر من خطب المنابر

[Moh3517@gmail.com](mailto:Moh3517@gmail.com)

## مرض الحسد وعلاجه (١)

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، أحمده على نعمه الوفيرة، وآلائه الغزيرة، وأشهد أن لا إله إلا هو المعبود الحق في أرضه وسماؤه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد أوليائه، وخيرة أصفياه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَانْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله، اعلموا أن من مبادئ الإيمان العظيمة، ومن سبل الراحة القيومة:

(١) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٢٨/٥/١٤٣٣هـ، ٢٠/٤/٢٠١٢هـ.



النور السائر من خطب المنابر

الرضا بقضاء الله وقدره خيره وشره وحلوه ومُرّه، على النفس أو على غيرها.

قال الله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ [التغابن: ١١].

واعلموا كذلك أن من حكمة الله تعالى ورحمته بعباده أن خلقهم وقدر أن يكونوا غير متساوين في أرزاقهم وهباتهم وملكاتهم؛ حتى تتم الحياة وتبنى المعاش باستفادة كل إنسان من أخيه الإنسان بما ليس عنده. ولو كانوا كلهم متساوين في عطاياهم التي حباهم مولاهم جل جلاله لما قامت الحياة ولا عمرت الأرض.

قال تعالى: ﴿ أَهْمَرِيقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا

بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾

[الزخرف: ٣٢].

أي: هذا غني وهذا فقير، هذا قوي وهذا ضعيف، هذا عالم وهذا جاهل؛ ليكون

بعضهم مسخراً لنفع بعض.

أيها المسلمون، إن النفس البشرية مطبوعة على الخصال الحميدة والخصال

الذميمة، ومفطورة على المحاسن وعلى المساوي؛ ل يتم التكليف والابتلاء بمجاهدتها

على تثبيت الفضائل في النفس، ومراغمتها على كبح جماح الرذائل.

أما من ترك نفسه وهواها دون تقويم فإنها ستقوده إلى كل هلاك، ومن زمها

وصقلها حتى أشرقت بالفعل الجميل علت به على كواكب العز والنجاح في الدنيا

والآخرة.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٩-١٠].

عباد الله، إن من الأخلاق التي طبعت عليها النفوس: خلق الحسد. هذا الخلق الذي لا يسلم منه جسدٌ حيٌّ حتى يموت. غير أن هذا الخلق من المحمود ومنه المذموم.

فالمحمود منه ما ساق صاحبه إلى الجد والعمل؛ ليحصل على ما حصل عليه غيره من الخيرات والنعم من غير إيذاء قولي أو فعلي يوصله إلى من رآه على خير ديني أو دنيوي. فهو يرجو ويعمل ليصل إلى ما ناله غيره مع تمنيه بقاء النعمة على صاحبها من غير زوال. وهذا تنافس شريف وهمة عالية محمودة يحسن بالإنسان العاقل أن يتخلق به ويسعى إليه؛ لأنه من كمال العقل ودليل علو الهمة، وبه صلاح الدنيا والدين.

فمن رأى أخاه المسلم على عبادة أو خلق كريم أو علم نافع أكثر منه فليجدد ويجتهد حتى يكون مثله أو أحسن منه، مع صلاح النية وحسن القصد.

والمصنوعات والمخترعات المتنوعة ما جاءت إلا عبر هذا السبيل، فكل شركة أو صانع أو مخترع يجب أن ينتج أجود وأتقن مما يوجد في السوق؛ ليحصل على ربح ومكانة أعلى من غيره، وبهذا تطورت الحياة وتقدم الأحياء.

أيها الأفاضل، أما الحسد المذموم فهو ذلك المرض العضال الذي يتمنى صاحبه أن تزول النعمة عن محسوده، أو يسعى هو إلى إيذائه والإضرار به ليزيلها عنه.

وهذا مجال حديثنا هذه الخطبة بعون الله تعالى.

أحبتي الكرام، إن الحسد صفة ذميمة لا تتخلق بها إلا النفوس المريضة التي لا تحب إلا العيش منفردة والاستئثار على غيرها بما تهواه.

الحسد بوابة الآثام، وبضاعة اللثام، يبدأ بالقرب قبل البعيد، والصديق قبل العدو، فهو أكثر ما يكون بين الأقارب، وبين الجيران، وبين الزملاء.

فالقريب الحاسد لا يجب أن يكون قريبه أحسن منه فيما يتباهى به الناس، ولو كان أخاه لأبيه وأمه.

والجار الحاسد لا يجب أن يكون جاره أفضل منه في مال أو جاه أو قوة أو جمال أو علم.

والزملاء في الدراسة أو الوظائف أو الأعمال لا يرضى الواحد منهم أن يتقدم عليه في معلومات أو ترقيات أو مكافآت أو زيادة خير.

ولذلك لا تستغربوا من حصول المشكلات والمكائدات، والبغضاء والتقاطع، والهجران وفساد العلاقات وتعثر المشروعات، والتقاتل والأضرار بين الأصناف السابقة، فما ذلك إلا نتيجة من نتائج مرض الحسد.

فإذا لم يرافق المسلم من أهل هذه الجهات إيماناً وتقوى وقناعة فإن الحسد سيكون أسرع إليه من السيل إلى منحدره.

عباد الله، إن الحسد مرض ينشأ من ضعف الإيمان بالقضاء والقدر وقلة الفهم لمعاني الأسماء والصفات. فالحاسد لو كان عنده إيمان قوي بقضاء الله وقدره ما حسد الناس على ما قضاه الله وقدره، ولو كان عنده علم وفهم لاسمي الله: العليم والحكيم ما حسد؛ لأن الله حكيم في قضائه وقدره وعلیم بخلقه، فمن علم ذلك انكف عن حسده.

إن أسباب نشوء الحسد: العجز عن الوصول إلى تلك الأمنية التي وصل إليها المحسود مع وجود رغبة الحاسد فيها وبذله الأسباب للوصول إليها، وقد يحصل عليها غيره بدون بذل ما بذل.

ومن الأسباب: صدور الإساءات إليه ممن حصل تلك النعمة، فيرى أنه كان أحق بها ويجب سلبها من صاحبها.

ومن الأسباب: عيش فاقد النعمة وسط واجديها، كعيش الفقير بين الأغنياء، والداني بين الوجهاء والقييحة بين الحسنات. وهذا التفاوت له أثره الكبير في بسوق شجرة الحسد الخبيثة.

أيها المسلمون، إن داء الحسد مرض يورث آثاراً سيئة ضارة على الحاسد وعلى غيره. والحاسد قد يشعر وقد لا يشعر أنه أول المتضررين بلفح نار حسده، فالحسد نار متأججة تحرق أول ما تحرق مذكيها ومشعلها. وقد قالوا: لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله.

فإبليس حينما حسد آدم عليه السلام فأبى السجود له بأمر الله له عصى ربه بذلك؛



النور السائر من خطب المنابر

حسداً لآدم وقال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]. فطرده الله تعالى من رحمته وأهبطه من سماواته؛ ليكتوي بنار حسده في الدنيا ويكمل عذابه في الآخرة. قال معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: " ليس من خصال الشر أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود".

إن الحاسد يعيش في حزن وغم وهم واكتئاب ومصائب لا يؤجر عليها، يحترق داخله عندما تكون عيونه في جنة مما يرى من نعمة المحسود وقلبه في نار حينما حرم ذلك.

والحاسد أفراح الناس لديه مآثم، وابتساماتهم شهب تحرق فؤاده، وصحتهم رسل مرض إلى جسده، وراحتهم تعب عليه. فمسكين هذا الحاسد مدنف القلب والروح والحسد ليس له دواء حتى يستيقظ ويرى نعمة محسوده وقد ذهبت فذلك شفاؤه الذي يتمناه.

هذا المريض يعيش في سجن ضيق كأنها يتنفس من ثقب إبرة، فلا تسمع منه إلا الآهات والزفرات، ولا ترى عليه إلا سحائب الظلمات تلوح على وجهه؛ لما يرى أصحاب النعمة وهم يرفلون فيها.

عباد الله، إن الحاسد معترض على نعم الله تعالى أن تصل إلى عباده، وهذا سوء أدب مع الله عز وجل.

ألا قل لمن كان لي حاسداً      أتدري على من أسأت الأدب  
أسأت على الله في حكمه      لأنك لم ترض لي ما وهب

فجـازك ربي بأن زادني وسدَّ عليك وجوه الطلب

الحاسد يخرب عيشه بنفسه، وقد يخرب دينه وآخرته، فيظل طائش الفكر، مشغول القلب بما لا يعنيه ولا ينفعه. وربما ساقه الحسد إلى التضجر والتسخط على الله تعالى فيفوه بعبارات قد توصله إلى الكفر.

أيها الأخوة الكرام، إن الحسد يمزق المجتمع ويفرقه، ويزرع فيه الشحناء والضغينة، قال النبي ﷺ قال: (دب إليكم داء الأمم: الحسد والبغضاء هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يثبت ذاكم لكم؟ أفشوا السلام بينكم) (١).

والحسد ذنب ينبت ذنوباً أخرى فقد يحصل به: غيبة ونميمة، وتجسس وسوء ظن، وإيذاء وشم ووقية، وقد يصل إلى القتل. كما فعل ابن آدم بأخيه.

قال تعالى: ﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۗ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ ۗ إِنَّي أَخَافُ أَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوَأَ بِإِئْمِي وَإِئْتِكَ فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۗ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ۗ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۗ قَالَ يَتُولَتِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي ۗ

(١) رواه أحمد والترمذي، وهو حسن.

فَأَصْبَحَ مِنَ التَّائِبِينَ ﴿٣١﴾ [المائدة: ٢٧-٣١].

وكما حاول إخوة يوسف عليه السلام ذلك، فحال الله بينهم وبين ما يشتهون. عباد الله، إن الحسد ينافي الإيمان؛ لأن الإيمان يأمر صاحبه بالتسليم لأفعال الله. فلو حسد العالم أو العابد أو الصالح فإن ذلك يدل على ضعف إيمانه؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: (لا يجتمع في جوف عبد مؤمن غبار في سبيل الله وفيح جهنم ولا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد)<sup>(١)</sup>.

الحسد يمنع قبول الحق والإذعان له إذا جاء من المحسود، بل يحاول الحاسد أن يتمحل حججاً واهية ليبطل بها ذلك الحق الناصع، لا لأنه حق، وإنما لكونه جاء ممن يحسده، ولو جاء من غيره لقبه، وهذه آفة خطيرة خاصة بين العلماء وطلبة العلم.

لقد كان اليهود يعلمون أن محمداً عليه الصلاة والسلام نبي الله حقاً، لكن حينما جاء من غيرهم -أي: من العرب- كفروا به بغياً وحسداً. قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى

مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ فَقَدْ آتَيْنَاهُ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾

[النساء: ٥٤].

أيها المسلمون، الحسد مرض، ولكل مرض علاج، فمن علاجه: أن يقوي الحاسد إيمانه بالله تعالى وقضائه وقدره، ويرضى بما قسم الله له، ويكثر من الطاعات والقربات. ويلجأ إلى الله تعالى بالدعاء والتضرع بين يديه؛ ليزيل عنه هذا الداء.

(١) رواه ابن حبان والبيهقي، وهو حسن.

وعليه أيضاً: أن يفكر في نتائج الحسد وعواقبه الوخيمة؛ فالإنسان العاقل لا يقدم على ما يجلب له التعب والضرر.

وعلى الحاسد أن ينظر بعين التأمل إلى ما أعطاه الله تعالى من النعم؛ فإنه لو نظر جيداً سيجد أن لديه نعماً كثيرة قد لا توجد عند غيره. فقد يحسد فقيراً غنياً ولا يدري ذلك الفقير أنه أحسن منه صحة وأتم عافية وهدوء بال. وقد يحسد إنسان ليست له وظيفة مرموقة أو مسؤولية عالية من نالها في المجتمع، ولا يعرف ذلك الحاسد أنه في أمن واطمئنان وسرور وانسراح صدر أفضل من ذلك المسؤول أو الموظف الكبير.

فيا عباد الله، من أراد سلامة الدين، وصحة البدن، والنجاح في الحياة فلا يسلك مسلك الحسد، وليرحم نفسه؛ فإن الحاسد مصاب لا يجد أحداً يرحمه. وليكن حال الإنسان كما قال الشاعر:

إني امرؤ لا أحسد الناس نعمة  
أأحسد فضل الله أن ناله امرؤ  
وهبني حسدت المرء بالجهل رزقه  
ولم يضرر المحسود مني نفاسة  
إذا نالها قبلي من الناس نائل  
سواي وعندي لئله فضائل  
و حال به عني من الله حائل  
أليس على قلبي تحوم البلابل  
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

أيها المسلمون، سقنا الحديث فيما سبق عن الحسد والحاسد، وأما صاحب النعمة المحسود فنقول له: إذا أردت أن تحفظ عليك النعمة وتأمين أعين الحاسدين عليها فعليك أن تشكر الله تعالى على نعمته وأن تتعوذ بالله تعالى من شر الحاسدين.

قال تعالى: ﴿وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ

عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ

﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق].

وعليك أن تعلق قلبك وعقلك بالله وكفايته، ولا تجعلها رهيني الوسواس

والشكوك، وأن تقبل على الله بالتقوى وأعمال الإيمان. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ

الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج: ٣٨].

وعليك أن تمد يد الإحسان إلى الحاسد وغيره، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا

السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ تَوَلَّى وُجْهُ حَمِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤].

وعليك أن تخفي بعض النعم التي يخاف عليها الحسد. قال تعالى عن يعقوب عليه

السلام: ﴿بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

وعليك أيضاً أن تصبر على حسد الحاسد؛ فإن حسده سيناله ضرره قبل أن يصلك.

قال الشاعر:

اصبر على حسد الحسو      د فإن صبرك قاتله  
كالنار تأكل بعضها      إن لم تجد ما تأكله

نسأل الله تعالى أن يقينا شر الأشرار، وكيد الفجار، وشر طوارق الليل والنهار.

ثم صلوا وسلموا على من أمرتم بالصلاة والسلام عليه...

## الإصابة بالعين حقيقتها وعلاجها (١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا وَجْهَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً  
 وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
 فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأفضل الهدى هدى محمد رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

أيها الناس، إن الإنسان في هذه الحياة عرضة للأدواء والأسقام، والأوجاع والآلام، يأتيه بعضها من حيث يشعر، وبعضها من حيث لا يشعر. وتلك الأسقام

(١) ألقى في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٦/٦/١٤٣٣هـ، ٢٧/٤/٢٠١٢م.

منها ما يشتد عليه ألمه ويصعب علاجه، ومنها ما يخف ويسهل شفاؤه.

ألا وإن من الأدوية الموجودة والخطيرة: الإصابة بالعين، وهو مرض حقيقي موجود وتأثيره حقيقي. كما قال رسول الله ﷺ: (العين حق) (١). أي: أن ضررها كائن واقع، لا يكذبه إلا من قل حظه من العقل والشرع ومعرفة الوقائع على حقيقتها. إن عقلاء الأمم - على اختلاف أديانهم - لا ينكرون تأثير العين، وإن اختلفوا في كيفية تأثيرها وسببها.

فالعائن تنبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيتضرر بقدر الله تعالى. ولا يستغرب هذا؛ فإن هناك نوعاً من الأفاعي إذا وقع بصرها على الإنسان هلك. قال الأصمعي رحمه الله: "رأيت رجلاً عيوناً سمع بقرة تحلب، فأعجبه شخبها، فقال: أيتها هذه، فقالوا: الفلانية، لبقرة أخرى، فهلكتا جميعاً، قال الأصمعي: وسمعته يقول: إذا رأيت الشيء يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني".

والعقلاء لا يكذبون بوجود الأرواح داخل الأجسام مع أنهم لا يرونها. وقد ثبت اليوم أن أشعة (إكس) - وهي غير مرئية - تنفذ إلى داخل الأجسام وتخرقها.

أيها المسلمون، كان مشركو قريش لشدة عداوتهم للنبي عليه الصلاة والسلام أرادوا أن يصيبوه بالعين، فنظر إليه قوم من المشركين فقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حُججه. فحماه الله تعالى من عيونهم.

(١) متفق عليه.

النور السائر من خطب المنابر

قال الكلبي: "كان رجل من العرب يمكث لا يأكل شيئاً يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب الخباء فتمر به الإبل أو الغنم فيقول: لم أر كالיום إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه، فما تذهب حتى تسقط منها طائفة هالكة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب لهم النبي عليه الصلاة والسلام بعينه، فأجابهم، فلما مر رسول الله ﷺ قال:

قد كان قومك يحسبونك سيداً وإخبال أنك سيد معيون

فعصم الله رسوله، ونزلت: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ

إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ [القلم: ٥١].

عباد الله، إن طيبينا محمداً عليه الصلاة والسلام قد أخبرنا عن العين وعن قوة إصابتها فقال عليه الصلاة والسلام: (العين تدخل الرجل القبر، وتدخل الجمل القدر) (١).

يعني: أنها تصيب الرجل فتقتله فيدفن في القبر، وتصيب الجمل فتمرضه حتى يذبح ويطبخ في القدر.

وقال ﷺ: (أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله وقدره بالعين) (٢).

وقال: (إن العين لتلوع بالرجل بإذن الله تعالى حتى يصعد حالقاً-أي: جبلاً- ثم يتردى منه) (٣).

(١) رواه ابن عدي وأبو نعيم، وهو حسن.

(٢) رواه أبو داود الطيالسي والبخاري في التاريخ، وهو حسن.

(٣) رواه أحمد، وهو صحيح.

وكانت العرب تسمي العائن بالتلقاة، أي: من اللقع وهو شدة الرمي.  
أيها الأحبة الكرام، كم من إنسان كان سعيداً في بيته الواسع الشامخ الراقبي  
فانقلب ذلك البيت في عينه سجنًا لا يطيق البقاء فيه.

كم من زوجين كانا يعيشان عشرة زوجية سعيدة لا تكدرها الخلافات ولا  
المشكلات، فتحولت الحياة بينهما إلى جحيم قد تنتهي بالطلاق.

وكم من أب كان يعيش بين أولاده الناجحين في حياتهم، البارين بأبيهم، فدب  
بينهم الخلاف والقطيعة.

وكم من إنسان كان يعيش في نعمة وارفة فتبدلت نعمته إلى نقمة ومسرته إلى  
محزنة.

ومن تأمل سبب هذا التحول المفاجئ سيجد أن العيون الخبيثة الحاسدة قد  
أطلقت سهامها إلى تلك النعم فأصابت مقاتلها؛ لأن تلك العيون لم ينل أصحابها ما  
نال المعيون من النعم، أو أصابته بناؤها الحبها الإضرار بصاحب النعمة وإيذائه،  
والاستمتاع برؤيته وهو صريع الآلام والأوجاع ورهين المشافي والعيادات.

أيها المسلمون، إن قوة أثر العين قد تأتي بسبب آخر غير الحسد، فتأتي بسبب  
الإعجاب، وهذا الإعجاب قد يكون بإعجاب الإنسان -ذكراً أو أنثى- بنفسه، أو  
أولاده أو زوجه أو غيره، فقد يطلق كلمة الإعجاب -من غير ذكر الله تعالى في حال  
غفلة- فيصيب نفسه أو غيره.



النور السائر من خطب المنابر

قال رسول الله ﷺ: "إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة؛ فإن العين حق" (١).

قال الغساني: "نظر سليمان بن عبد الملك في المرأة فأعجبته نفسه فقال: كان محمد عليه الصلاة والسلام نبيا، وأبو بكر صديقا، وعمر فاروقا، وعثمان حبيبا، وأنا الملك الشاب، فما دار عليه الشهر حتى مات".

وكان لرجل ابنة جميلة فدخل عليها ذات يوم فنظر إليها - ولم يذكر الله - وقال: يا حظ من تكونين نصيبه!. فلم تطلع عليها الشمس حتى ماتت.

و من قوة أثر العين: أنها قد تصيب الجهاد أيضاً، قال الأصمعي رحمه الله: "مر رجل عائن بحوض من حجارة فقال: تالله ما رأيت كالיום قط، فتطير الحوض فرقتين".

عباد الله، هناك من الناس - أفراداً أو أسراً معينة - عرفوا في المجتمع أنهم عائنون، فيستغلون هذه الوسيلة الدنيئة لإيذاء الناس والتكسب من خلالها، وأكل أموال الناس بالباطل. فقد كان بنو أسد بين العرب يعرفون بإصابة العين، حتى إن البقرة السمينة أو الناقة السمينة تمر بأحدهم فيعاينها ثم يقول: يا جارية، خذي المكتل والدرهم فأتينا من لحم هذه الناقة، فما تبرح حتى تقع للموت فتنحر. وهذا لم يزل موجوداً عند بعض العائنين لمسناه في واقعنا.

(١) رواه الحاكم والطبراني، وهو صحيح.

معشر- المسلمين، إن الإصابة بالعين قد تكون من عيون الإنس، وقد تكون من عيون الجن؛ ولذلك ذكر ابن القيم وغيره أن العين نوعان: عين إنسية، وعين جنية. ودليل هذا حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجَانِ وَعَيْنِ الْإِنْسِ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْمَعْوِذَاتَانِ أَخَذَ بِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ (١).

عباد الله، من القضايا المهمة: أن على الأبوين حراسة الأطفال من العين؛ فإنها أسرع إليهم من غيرهم.

فعن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ - لَوْنٌ يَخَالِفُ لَوْنَ وَجْهِهَا مِنْ صَفْرَةٍ أَوْ سَوَادٍ - فَقَالَ: (اسْتَرْقُوا لَهَا؛ فَإِنَّهَا مِنَ النَّظَرِ) (٢).

وعن أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ وَلَدَ جَعْفَرٌ تَسْرِعَ إِلَيْهِمُ الْعَيْنُ أَفَأَسْتَرْقِي لَهُمْ؟ فَقَالَ: نَعَمْ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدْرِ لَسَبَقْتَهُ الْعَيْنُ) (٣). وفي بعض الروايات أنه رآهم ضارعين، أي: بهم نحول شديد.

عباد الله، الوقاية خير من العلاج كما يقال؛ لهذا إذا أراد الإنسان البعد عن الإصابة بالعين فعليه أن يتبع سبل الوقاية من الإصابة، ومن تلك الوسائل:

(١) رواه النسائي، وهو صحيح.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الترمذي وأحمد والنسائي، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

المحافظة على ذكر الله تعالى، ومن ذلك أذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم والاستيقاظ منه. فذكر الله تعالى حصن حصين وكهف أمين لا يُخاف معه ضرر الإنس والجن.

قال رسول الله ﷺ: (من قال: بسم الله الذي لا يضره شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، لم يضره شيء) (١).

وقال النبي ﷺ: (الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما من ليلة كفتاه) (٢).

ومن وسائل الوقاية: الاستعاذة بالله تعالى من شر العيون الخبيثة، قال رسول الله ﷺ: (استعيذوا بالله من العين؛ فإن العين حق) (٣).

ومن ذلك: تعويد الأطفال، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: (إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة) (٤).

ومن وسائل الوقاية: كتمان بعض النعم التي يُخاف عليها من العين؛ فإن يعقوب عليه السلام حينما خاف العين على أولاده لكونهم ذوي صور حسنة وأبناءً عشرةً لرجل واحد قال لهم: ﴿يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ

(١) رواه الخمسة، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه ابن ماجه والحاكم وهو صحيح.

(٤) رواه البخاري.

اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ [يوسف: ٦٧].

وقد ذكر البغوي في شرح السنة أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأى صبيّاً تأخذها العين - أي: لحسنه -، فقال: "دسموا نونته". النونة: النقرة في الذقن. يعني: لعل ذلك التعيب يصرف عنه العين.

إن من الأشياء اللافتة للنظر: تسارع الأمراض إلى بعض النساء، وبعض هذه الأمراض يعيا أهلها في علاجها دون جدوى، ولعل من أسباب تلك الأمراض: الإصابة بالعين من النساء؛ فإن العائنا أكثر من العائنين بالاستقراء، وقد تكون المرأة المصابة هي سبب مرضها؛ فالمرأة بفطرتها تحب التزين والتجمل، وربما تسوقها هذه الجبلة إلى المبالغة المفرطة، فقد تدخل إلى محافل النساء وتجمعات الأعراس فتكشف عن كثير من مفاتها وتسرف في تجميلها وتحسينها خصوصاً إذا كانت جميلة البدن كثيرة المال الذي يظهر أثره على ثيابها وحليها ومجملاتها، فتسرق الأنظار إليها فتزدهي ساعة بنظر النساء وإعجابهن، ثم تقضي - زمناً من عمرها بعد ذلك في أحضان الأمراض والأوجاع.

ولهذا ندرك - أيها الأحبة - عظمة الإسلام وحرصه على الحشمة ونهيه عن التعري والتهتك والتشبه بالكافرات اللاتي يجتمعن - بعريهن - أكواماً من لحم مكشوف. ومن هنا ينبغي على أولياء النساء تحذيرهن من المبالغة في إبداء المفاتن والإسراف في الزينة عند حضورهن مجامع النساء.



النور السائر من خطب المنابر

ومن وسائل الوقاية: تحصين الإنسان نفسه إذا نزل منزلاً بهذا الدعاء الذي قاله رسول الله ﷺ قال: (من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك) (١).

ومن وسائل الوقاية: أن على المسلم إذا رأى شيئاً يعجبه من نفسه أو ماله أو ولده أو غيره أن يدعو بالبركة، وليقل: ما شاء الله.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِدْخَلَتْ جَنَّاتُ قُلْتِ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنُّنًا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٩].

قال الإمام مالك رحمه الله: "ينبغي لكل من دخل منزله أن يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله"

قال النبي ﷺ: (إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو أخيه ما يجب فليبرك؛ فإن العين حق) (٢).

أيها المسلمون، ما جعل الله من داء إلا جعل له دواء، وإنه لمفخرة عظيمة للإسلام وأهله أن هناك أمراضاً وقف الأطباء الحذاق أمامها حائرين، لا يدرون ما أسبابها وما علاجها.

ومن هذه الأمراض: مرض الإصابة بالعين؛ فإن رسول الله ﷺ حينما تحدث عن

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الحاكم، وهو صحيح.

هذا الداء تحدث معه عن الدواء.

فإذا حصلت الإصابة بالعين-نسأل الله السلامة لجميع المسلمين- شرع عند ذلك الاستشفاء. فإن عُرف العائن فالعلاج الناجع- بإذن الله- هو الاستغسال، وهو أن يغسل العائن وجهه ويديه ومغابنه وداخله إزاره ويصب ذلك الماء على رأس المريض من خلفه.

فعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال: (رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل فقال: والله ما رأيت كالיום ولا جلد مخبأة، قال: فلبط سهل- أي صرع وسقط إلى الأرض-، فأتي رسول الله ﷺ ف قيل له: يا رسول الله، هل لك في سهل بن حنيف؟ والله ما يرفع رأسه فقال: (هل تتهمون له أحدا؟) فقالوا: نتهم عامر بن ربيعة قال: فدعا رسول الله ﷺ عامراً فتغلظ عليه وقال: (علام يقتل أحدكم أخاه؟ ألا بركت؟ اغتسل له). فغسل له عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجله وداخله إزاره في قدح ثم صب عليه فراح مع الناس ليس له بأس<sup>(١)</sup>.

فإن لم يعرف العائن فتستعمل مع المصاب الرقية الشرعية، فتقرأ عليه الفاتحة، والمعوذات وغيرها من القرآن الكريم.

ويدعا له بهؤلاء الدعوات:

(بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله

(١) رواه ابن حبان والنسائي وأحمد، وهو صحيح.

يشفيك، بسم الله أرقيك) (١).

(اللهم رب الناس، أذهب الباس، اشفه وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً) (٢).

(أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) (٣).

(أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة) (٤).

(أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذراً وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض وبرأ، ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق يطرق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن) (٥).

(أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون) (٦).

ويستعمل مع ذلك ماء زمزم، مع كمال التوكل على الله والثقة به دون غيره،

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه أحمد والطبراني، وهو صحيح.

(٦) رواه الترمذي، وهو حسن.

ويستمر في استعمال هذه الرقية حتى يبرأ بإذن الله تعالى.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، مع أننا عرفنا - فيما سبق - الأثر الحقيقي للعين، إلا أن على المسلم أن يعتقد أنه لن يحصل شيء إلا بقدر الله وقضائه، وإذا كان السحر أشد من العين، وقد قال الله في أهله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَّآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]. فالعين من باب أولى.

فعلى المسلم أن يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له.

قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

عباد الله، ومهما كانت سهام العيون الخبيثة قوية حادة والمسلم في حصن من حصون الله، فلن يضره شيء، وسترد سهام الشر على أصحابها مخذولة منكسرة.

إن من الأمور المهمة في هذا الموضوع أن لا ينجر الإنسان إلى الشك والوسوسة ويعيش مع القلق والخوف؛ فزعاً من العيون المرسله بالشر، فإذا حصل هذا فإنه من وساوس الشياطين.

ومن الأخطاء التي تحصل جراء هذه الوسوسة: الذهاب إلى المشعوذين

والسحرة، أو تعليق التوائم والحروز على الأطفال أو البيوت أو السيارات؛ خوفاً من العين، وهذا شرك بالله تعالى.

أيها الفضلاء، نقول لمن كان عنده سلاح الإصابة بالعين: أن يتقي الله في إخوانه المسلمين، ويتعد عن إيذائهم وظلمهم، وأن يبرك إذا رأى ما يعجبه، وعليه أن يوجه هذا السلاح الفتاك إلى أعداء الله تعالى.

وعلى العائن: أن يوقن بأنه إذا ذهب مال إنسان بسبب عينه فإنه مسئول عن ذلك ديانة وقضاء، كما قال الفقهاء. وأما إذا قتل بعينه فقد اختلف الفقهاء في القصاص منه على قولين.

ومما ذكره العلماء-وهذا من واجبات الدولة في الإسلام- أن من عرف بالعين وإصابة الناس بعينه- أن على الدولة أن تحجر عليه وتحبسه في بيته وتجري عليه من الرزق ما يكفيه حتى يموت ويستريح الناس من شره.

نسأل الله تعالى أن يحمي جميع المسلمين، وأن يشفي المرضى والمصابين.

هذا وصلوا وسلموا على النبي الأمين...



## السحر بثوبه الجديد (١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا وَجْهَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ﷺ،  
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله، اعلّموا أن المسلم أفق أمان وسلام للعالم، لا يبتدأ الإيذاء ولا يطلب  
الإضرار بالآخرين، بل هو الذي يعمل على إزالة الضرر عن الناس ويسعى لإسعاد  
العباد.

ولذلك يقول نبينا عليه الصلاة والسلام- كما في الحديث المتفق عليه: (المسلم من

(١) ألقى في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٣ / ٦ / ١٤٣٣ هـ، ٤ / ٥ / ٢٠١٢ م.

سلم المسلمون من لسانه ويده).

إن الاعتداء بالقول أو بالفعل على المسلمين ظلم كبير، فكيف إذا كان الاعتداء والإيذاء لصاحي عباده وأوليائه. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا لَهُمْ فَنَدِمْنَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

إن الله تعالى قد توعد الظالمين بالعذاب الوبيل في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].  
ويوم القيامة يوم القصاص العادل، وأخذ حق المظلوم من الظالم، وإذا كان القصاص في ضربة سوط ظلماً كما قال رسول الله ﷺ: (من ضرب بسوط ظلماً اقتص منه يوم القيامة)<sup>(١)</sup>. فكيف سيكون حال من خرب على المسلم دنياه ففرق بينه وبين زوجته أو أولاده، أو أذهب عقله، أو أقعده على فراش المرض.

أيها المسلمون، هناك وسيلة سيئة وطريقة خبيثة من طرق الظلم يلجأ إليها أناس قد باعوا دينهم وأخلاقهم وإنسانيتهم وهي استعمال السحر في إيذاء الآخرين بدافع الحسد أو العداوة أو التكسب الدنيء أو غير ذلك.

فمهما بلغ العداوة والحسد واشتدت حبال الحقد في قلب المسلم على أخيه المسلم فإنه لا يلجأ إلى هذا الطريق الخبيث المخبث.

عباد الله، إن للسحر تاريخه المظلم في صفحات الزمن البعيد يسير مع سير الحياة

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد والبيهقي في السنن، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

ويتطور بتطورها، فللزمان القديم طرقه السحرية القديمة، وللزمان الحديث طرقه السحرية الحديثة كذلك.

وللحديث عن السحر في هذه العصر. الذي نعيشه أهمية خاصة؛ فقد غدا السحر اليوم خطراً يعبر من أقاصي الدنيا إلى داخل البيوت بأيسر طريق وأسرع. فلم يألوا السحرة والمشعوذون جهداً في إضلال الناس وابتزاز أموالهم، وتفكيك روابطهم وصلاتهم فأنشأوا لذلك وسائل حديثة كفتح قنوات خاصة بالسحر والدجل، فصاروا يصلون إلى مشاهديهم الجاهلين والضالين إلى كل مكان عبر برامج مباشرة وغير مباشرة.

وقد يظهر الساحر أو الدجال يجيب على أسئلة المشاهدين ويحاورهم ويصف لهم الأدوية مستخدماً في ذلك السحر، أو الكهانة بإخبارهم عن المستقبل. وبعضهم قد يستخدم التمويه فيظهر نفسه راقياً بالقرآن الكريم ليصطاد عقول الجاهلين وأموالهم. ومن خلال هذه البرامج المضلة يجنون أموالاً طائلة.

أيها الأخوة الأحبة، ومن الوسائل الحديثة التي اتخذها السحرة: الكتاب، والصحيفة، والمجلة، ومواقع النت وصفحاتها، وشبكات التواصل الاجتماعي. ومن الوسائل الحديثة أيضاً: إنشاء معاهد تقوم بتعليم التنجيم والسحر، ومنح شهادات للدارسين، وكذلك إنشاء اتحاد المنجمين الذي يضم آلاف الأعضاء.

عباد الله، إن انتشار السحر بين الناس على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والثقافية - بعد أن كان في إطار الجهلة وعامة الناس - ليدعو إلى التساؤل عن أسباب ذلك، فمن أسباب ذلك: الجهل بالله وعظمته، والجهل بدينه. وقد بين النبي عليه

الصلاة والسلام حرمة وخطر الذهاب إلى السحرة والكهنة. فقال رسول الله ﷺ: (ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ) (١).

فعلى الذين يصدقون السحرة ويذهبون إليهم أن يتوبوا إلى الله قبل مجيء الموت، وأن يقووا يقينهم بالله تعالى؛ فهو الذي يرفع ويرفع ويدفع كل سوء.

ومثل الذهاب إلى السحرة أو الكهنة: سؤالهم عبر القنوات، أو الاتصال بهم عبر أي وسيلة اتصال. ولهذا فقد أفتى العلماء بحرمة مشاهدة قنوات السحر والشعوذة لما يترتب على تلك المشاهدات من خطر على عقيدة المسلم وعمله.

ومن الأسباب كذلك: ضعف الإيمان بالله والثقة به، والتوكل عليه، فأصبح هؤلاء الضعفاء يعلقون قلوبهم بأولئك الدجالين دون الله تعالى.

ومن الأسباب أيضاً: عرض قضية السحر والسحرة في بعض البرامج حتى بعض برامج الأطفال على أنها قضية مستساغة، مما أفقد استعظام شرها في قلوب المسلمين فتساهلوا في سؤال السحار والاتصال بهم.

ومن الأسباب: محبة الاستطلاع ومعرفة ما يكتنفه الغيب المستقبلي، وهذه الأخبار عن ذلك كلها تحرصات واستضعاف للعقول الجاهلة؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ

وقال عن خيرة خلقه: ﴿قُلْ لَا أَمَلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ  
أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ  
﴿١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ومن الأسباب: ضعف الصبر مع كثرة الأمراض واستعجال الشفاء.

أيها الأحبة الكرام، إن الساحر والكاهن والمشعوذ دجاجة كذابون، آكلون  
لأموال الناس بالباطل، ضالون مضلون، صادون للناس عن سواء السبيل، يعيشون في  
شقاء؛ لأنهم لا يريدون السعادة للناس فحياتهم جحيم، ولعذاب الآخرة- إن لم  
يتوبوا- أشد وأبقى.

إن الساحر إنسان ضعيف ذليل عبد للشياطين؛ إذ لا يرتقي إلى مرتبة الساحر حتى  
يقدم لهم قرابين من دينه، فبعضهم يضع المصحف تحت قدميه ويدخل به الخلاء،  
وبعضهم يكتب آية الكرسي بدم الحيض، وبعضهم يقطع ورقة من المصحف ويضع  
بداخلها براز كلب، وغير ذلك من الأعمال الكفرية الشنيعة.

أيها المسلمون، هناك علامات يُعرف بها الساحر، فمن تلك العلامات: أنه يطلب  
من جاءه حيوانات محددة وبألوان معينة، ويسأل المريض عن اسمه واسم أمه، وتكون  
كتابته عبارة عن طلاس وأشكال غير معلومة، وأحياناً يخبر المريض باسمه واسم بلده  
والمشكلة التي جاء من أجلها؛ ليقوي في قلبه التصديق به.

عباد الله، إن السحر- معشر- المسلمين- جريمة من أبشع الجرائم تعلماً وتعليماً  
وامتهاناً وتصديقاً وإتياناً.

يقول تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفُرًا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَدْرًا وَمُرُوتًا وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۗ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۗ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ۗ وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۗ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وأما الساحر فقد ذهب جماهير العلماء إلى كفره وخروجه من الدين، واتفق الصحابة على قتله؛ لعظم شره وخطره على الدين والمجتمع.

فعن بجالة بن عبدة قال: كنت كاتباً لجزء بن معاوية عم الأحنف بن قيس إذ جاءنا كتاب عمر قبل موته بسنة: (اقتلوا كل ساحر)<sup>(١)</sup>.

وجاء عن حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها<sup>(٢)</sup>.

فعلى السحرة أن يتوبوا إلى الله تعالى وهم مازالوا في زمن الإمهال قبل الندامة والخزي يوم لقاء الله تعالى.

قال تعالى: ﴿قُلْ يٰعِبَادِىَ الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٥٣] وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ

(١) رواه أبو داود، وهو صحيح.

(٢) رواه البيهقي والطبراني ومالك.

النور السائر من خطب المنابر

أَلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ [الزمر: ٥٣-٥٤].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم



## الخطبة الثانية

الحمد لله الذي بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على  
البشير النذير، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، إن موضوع السحر والسحرة وخطرهم على المجتمع يتطلب  
تظافر جهود الجميع، فواجب الدولة أن تلاحق هؤلاء العابثين بعقيدة الناس وأموالهم  
وأعراضهم وراحتهم وصحتهم، وتقيم عليهم الحدود الرادعة التي تريح الناس من  
شرهم، وتحجز من تسول له نفسه أن يسير في دربهم المظلم، ومن واجبها: محاربة  
القنوات والمواقع السحرية وردع شركات الاتصال التي تتعامل معها.

وهناك واجب على العلماء والدعاة ومن يستطيع أن يتكلم أو يكتب وهو: أن  
ينصح السحرة والمشعوذين ويدعوهم إلى الرجوع إلى الحق بدل الاستمرار على الباطل  
الذي يخرب عليهم الدنيا والآخرة. فباب التوبة مفتوح لا يغلق أمام أحد مهما تعاظم  
ذنبه.

قال الله تعالى في الحديث القدسي: (يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت  
لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني  
غفرت لك ولا أبالي)<sup>(١)</sup>. وهناك بعض السحرة والمشعوذين رجعوا إلى الله تعالى  
وتابوا.

(١) رواه الترمذي، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

وكذلك من واجب العلماء والدعاة: تحذير الناس من الذهاب إلى السحرة والتواصل معهم عبر الوسائل الحديثة، مبينين لهم خطر هذا الفعل الأثيم.

وأما بقية الناس فعليهم تثبيت عقيدة الثقة بالله والتوكل عليه، والبعد عن الخرافات والشعوذات في حال الصحة أو في حال المرض.

وعليهم التحصن بالقرآن والسنة، تلاوة وسماعاً للقرآن في البيوت، والمداومة على أذكار الصباح والمساء وأذكار دخول المنزل والخروج منه، وإخراج آلات الفساد واللهو من البيوت؛ لأنها مدعاة للشياطين.

وعليهم كذلك ترك الأوهام والخيالات والشكوك بالناس، وأن يعتقد المسلم أنه لن يحصل شيء إلا بإذن الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَاحِرًا وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه: ٦٩].

أيها المسلمون، أما من أصيب بهذا الداء- نسأل الله الحماية والعافية للجميع- فعليه التداوي بالدعاء والتضرع بين يدي الله، وأن يستعمل الرقية الشرعية وهي موجودة- بحمد الله- في الكتب والصوتيات الحديثة، وإذا كان لا يقدر على رقية نفسه فليذهب إلى راقٍ من أهل الصدق والأمانة ويجذر الدجالين من المشعوذين وطالبي الدنيا الذين يظهرون بثوب الرقاة الشرعيين.

نسأل الله أن يعافي المسلمين من كيد السحرة والمشعوذين.

هذا وصلوا وسلموا على النبي الكريم...

## اللهم اغثنا (١)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَانْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، اعلموا - رحماني الله وإياكم - أن الله تعالى قد منح عباده منحةً كثيرة، وأسبغ عليهم نعماً غزيرة، منها ما ظهر ومنها ما بطن، ﴿وَإِنْ نَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا

(١) ألقى في مسجد الأمير الصنعاني، صنعاء، في ٢٥ / رجب / ١٤٣٣ هـ، ١٥ / ٦ / ٢٠١٢ م.

النور السائر من خطب المنابر

تُخْصَوَهَا إِنَّكَ اللَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل: ١٨].

ألا وإن من أعظم نعمه وأظهر مننه: نعمة الرزق والكفاية الغذائية التي بها قيام أبدان الكائنات الحية، وبقاء حياتها، من جن وإنس، وحيوان وطيور.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦]. وقال: ﴿وَكَيْفَ أَنْ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [العنكبوت: ٦٠].

عباد الله، إن من أعظم نعم الله تعالى في الرزق: نعمة الماء الذي ينزل من السماء ويدخره الله لعباده في جوف الأرض ليستنبطوه ويتنفعوا به إلى حين.

قال تعالى: ﴿الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: ٢١].

إن هذه النعمة تنزل من عند الله تعالى وحده لتغيث عباده، وتذكرهم فضله، فهلا شكروه، ونسبوا إليه دون غيره، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنْ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة: ٦٨-٧٠].

وعن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: (هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب،

وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب<sup>(١)</sup>.

إن الماء- معشر- المسلمين- هو عنصر- الحياة، وسبب البقاء والنماء على هذه الأرض.

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۗ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

فقد أنبت الله به النبات الذي هو قوام حياة الإنسان والحيوان، وأحيا به الأرض بعد موتها، فأصبحت مشرقة بعد جدوبها، مبتهجة بعد عبوسها، متزينة بالاخضرار بعد الاسوداد والكآبة، فبعثت في النفوس الانشراح والارتياح، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤].

وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

وهذه آية تستحق النظر والتأمل، والشكر لواهبها، قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ ٢٤ ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ ٢٥ ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ ٢٦ ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ ٢٧ ﴿وَعَبَا وَقَضْبًا﴾ ٢٨ ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ ٢٩ ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ ٣٠ ﴿وَفَلَكْهَ وَأَبًا﴾ ٣١ ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ﴾ ٣٢ [عبس: ٢٤-٣٢].

أيها المسلمون، لقد كان من حكمة الحكيم الخبير الذي يعلم أحوال عباده ويطلع

(١) متفق عليه.

النور السائر من خطب المنابر

على قلوبهم وأعمالهم: أن ينوع لهم الأحوال ولا يقيهم على حال واحدة؛ فيظنوا أو يقنطوا، بل يبتليهم بالسراء والضراء والشدة والرخاء والخصب والجذب؛ لعلهم أن يرجعوا إلى ربهم، فمن لم يتب في حال الرخاء فعساه أن يتوب في حال الشدة. قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وكم من إنسان انتفع بالضراء ما لم ينتفع في السراء، وأفادته المحنة ما لم تفده المنحة.

قد ينعم الله بالبلوى ولو عظمت      ويبتلي الله بعض القوم بالنعمة

فلو بقي الإنسان في النعمة دائماً لنسي- قدر النعمة وشكر المنعم واللجوء إليه، فالنعمة قد تبطر بعض الناس وتجعله متكبراً على ربه، فيأتي سوط البلاء ليرد العبد إلى معبوده، والمخلوق إلى خالقه، والمولى إلى سيده. فتصرف الأحوال يعيد الشاردين إلى باب ذي الرحمة والإفضال. قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ نُنزِّلُ بَقْدَرًا مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧].

إننا في هذه الأيام- عباد الله- نعاني أزمات متعددة، ومن هذه الأزمات: أزمة القحط وقلة الأمطار. لقد أصبحت الأرض مكفهرة عابسة، غبراء قائمة، ترسل للعيون الضيق والحزن، وغدا الجو مشحوناً بالكآبة متشحاً بالأسى، فأضحت النفوس ضيقة كئيبة.

لقد حل بلاء الجذب لكي يظهر العباد افتقارهم إلى ربهم، ويبتهلوا بين يديه، ويعلموا أن ضرهم لا يكشفه عنهم إلا مولاهم، بإظهار فقرهم للغني الحميد. قال

تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

وقال تعالى في الحديث القدسي: (يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي، كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم)<sup>(١)</sup>.

إن بعض الناس قد لا يدرك هذه البلية؛ لغفلته عن شكر نعمة الغيث النافع، ولظنه أن نفع المطر إنما هو لأهل المواشي والزرع، وسكان البوادي والقفار، ولا يدري أن أكله وشربه وصلاح بيئته قائم على نعمة الأمطار. فلا صلاح لعيش الناس في أي مكان كانوا إلا بالمطر، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠].

أيها الأخوة الكرام، إن الله رحيم بعباده، كريم في عطائه، قادر على غوث خلقه وإزالة بلواهم، لكنه يجب أن يعلمهم أن طاعته سبب كل خير، ومعصيته سبب كل شر.

إن تأخر المطر عن ميعاده، مع شدة الحاجة إليه له أسبابه، فما هي أسباب حبس المطر عنا -يا عباد الله- ونحن في موسم الذي ينزل فيه؟

لقد انحبس الغيث عن الأرض حينما جفت القلوب من غيث الإيمان، وفاضت بالاعتماد على غير الله، واليقين بمن سواه، ورجاء غيره، ونسيان حقه.

وصارت مملوءة بالأحقاد والحسد، والأضغان والكرامية الممقوتة، والرغبة في

النور السائر من خطب المنابر

الدنيا والحرص عليها، ولو أدى ذلك إلى ترك الدين الحق وخسارة الآخرة. وحبس المطر لأن الألسنة جفت كثيراً عن ذكر الله وشكر نعمة الغيث وآثاره، وأصبحت رطبة بذكر الدنيا، وعبارات اليأس والقنوط، والكلام في أعراض المسلمين أحياء وأمواتا.

قال تعالى: ﴿وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وحبس المطر لأن الأرض صارت تشكو إلى ربها تخمتها من ذنوب بني آدم، فبساط المعصية مازال ممدوداً بين الناس فمستقل منه ومستكثر.

ألا وإن من أعظم المعاصي: ظلم العباد بعضهم بعضاً، فكم من دماء تسيل بغير حق، وكم من أعراض تنتهك، وكم من أموال تمتد إليها أيادي الناس بالحرام.

لقد غدت المعاصي أعمالاً شريفة يجاهر بها أهلها ويدعون الناس إليها، وهذا عنوان الهلاك للمجتمعات المسرفة على أنفسها، أو للساكنتين عن وعظ المسرفين معذرة إلى الله ولعلهم يرجعون.

حتى لقد تضررت بمعاصي بني آدم الحيوانات فحرمت الغيث الذي ينبت لها رزقها.

قال عكرمة رحمه الله: "دواب الأرض وهوامها، حتى الخنافس والعقارب يقولون: مُنَعْنَا القَطْرَ بذنوب بني آدم".

وانحبس المطر لأن بعض أرباب الأموال التي وجبت فيها الزكاة لم يؤدوا زكاة أموالهم؛ حرصاً على الدنيا، وضعف يقين بما عند الله من الأجر والعوض.

قال رسول الله ﷺ: (و لم يمنعوا الزكاة إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا)<sup>(١)</sup>.

أليس من الإثم والعيب أن يكون بنو آدم سبب انقطاع الغيث، وتكون البهائم سبب نزوله؟!

وانحبس الغيث لأن الغش والخداع في البيع والشراء كثر واستشرى، وصار ظاهرة من الظواهر التي تقضي على اقتصاد المجتمعات المسلمة، قال رسول الله ﷺ: (و لم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤونة، وجور السلطان عليهم)<sup>(٢)</sup>.

وهذه الآثار كلها واقعة هذه الأيام، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

أخوتي الكرام، إذا أردنا أن يغير الله ما بنا من الشدة والأواء فلنغير ما بأنفسنا من شر إلى خير ومن معصية إلى طاعة، ومن إعراض عن الله عز وجل إلى إقبال عليه.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ

(١) رواه الطبراني وابن ماجه، وهو حسن.

(٢) رواه الطبراني وابن ماجه، وهو حسن.

وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ [الأففال: ٥٣].

فلنعمر قلوبنا وحياتنا بالإيمان والتقوى، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ولتنب إلى الله تعالى من جميع ذنوبنا صغيرها وكبيرها، سرها وعلنها ما بيننا منها وبين الله، وما بيننا وبين الناس.

ولنكثر من الاستغفار الصادق بالقلوب والألسنة، قال تعالى عن نبيه هود عليه السلام:

﴿وَيَقَوْمِ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ تَتَوَّبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا الْجَحْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

عن الشعبي رحمه الله قال: "خرج عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يستسقي، فلم يزد على الاستغفار حتى رجع، ف قيل له: ما رأيناك استسقيت! فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢]."

وإذا أردنا المطر النافع فلنؤد حق الله تعالى علينا من الواجبات، وترك المحرمات، ولنسارع إلى فعل المستحبات، وترك المكروهات.

عباد الله، إن الغيث المدرار النافع يحصل حينما يكف أصحاب الظلم عن ظلمهم، وأهل الفساد عن فسادهم، وذوو الإجماع عن جرائمهم.

وإذا دفع أرباب الأموال زكاة أموالهم طيبة بها نفوسهم، من غير إخفاء للحق

عليهم أو تحايل فيه، وهم بأداء هذا الحق رابحون الخير في الدنيا والآخرة غير خاسرين.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: (بيننا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرحة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فاتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له: يا عبدالله، ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة فقال له: يا عبدالله، لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان، لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثلثه، وأكل أنا وعيالي ثلثاً، وأرد فيها ثلثه) (١).

وعن يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير حدثه أنه سمع عقبة بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى- بين الناس) أو يقول: (حتى يحكم بين الناس) (٢).

قال يزيد: فكان أبو الخير لا يخطئه يوم لا يتصدق فيه بشيء ولو كعكة ولو بصلة. فانظروا - يا أهل الأموال - ماذا يلاقي باذل الخير في سبل الخير من الجزاء الحسن والعوض الكريم.

عباد الله، إن المطر يسقي البلاد التي تعيش على الأمانة في البيع والشراء، ويعيش

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد وابن حبان والبيهقي وغيرهم، وهو صحيح.

\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

أفرادها على الإخاء والمحبة، وتجمع كلمتها على الحق، فلنكن كذلك؛ حتى يغيثنا ربنا.  
وعلينا أن نوقن بأن الله قريب مجيب سميع كريم، فلا نياس ولا نقنط، وإن تعاضم  
البلاء، فما ابتلانا إلا ليسمع دعاءنا، ويرى تضرعنا ورجوعنا إليه وحده.

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٢٨)

[الشورى: ٢٨].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم القريب، الرحيم المجيب، مغيث المستغيثين، وراحم المضطرين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد بن عبد الله الصادق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، لقد شرع الله لعباده حين الجذب والقحط أن يستسقوا ربهم، إما بالدعاء في مساجدهم وغيرها، وإما بالخروج للمصلى لصلاة ركعتين، ودعاء وتضرع واستغفار في خطبة تلي الصلاة، على هيئة مفتقرة متخشعة عليها سيما التواضع والتضرع؛ لعل الله أن يرحم عباده وقد جاءوا إليه على هذه الحال المستكينة داعين محتاجين، ناوين العودة إلى بيوتهم من حال سيئة إلى حال حسنة، عازمين على التوبة والإنابة، والإقبال على الطاعة وهجر المعصية.

وقد فعل رسول الله ﷺ كلتا الكيفيتين.

ففي الصحيحين عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله أن يغثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: (اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا)، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت قال: فلا والله ما رأينا

الشمس سبتاً). أي: أسبوعاً.

ففي هذا الحديث بيان أن الاستسقاء حصل بالدعاء على المنبر.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (خرج رسول الله ﷺ متواضعاً متبذلاً متخشعاً مترسلاً متضرعاً، فصلّى ركعتين كما يصلي في العيد)<sup>(١)</sup>

وفي هذا الحديث بيان الخروج إلى المصلّى للاستسقاء.

عباد الله، من هذا المكان سنطلب الله تعالى السقيا؛ لعله أن يرحمنا ويكرمنا بإجابة دعائنا.

فاللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنت الكريم ونحن المحتاجون، نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا، يا مجيب دعاء المضطرين، ويا كاشف كرب المكروبين، اللهم إنا خلق من خلقك، فلا تجبس عنا بذنوبنا رحمتك.

اللهم اسق عبادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحي بلدك الميت.

اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، سحاً غدقاً، مريعاً طبقاً، عاجلاً غير آجل، نافعاً غير ضار.

اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق، اللهم تحيي به البلاد، وترحم به العباد، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد.

اللهم أنبت لنا الزرع، وأدر لنا الضرع، وأنزل علينا من بركاتك، واجعل ما أنزلته

(١) رواه أحمد وابن حبان البيهقي والترمذي والنسائي، وهو حسن.

قوة على طاعتك، وبلاغاً إلى حين.

اللَّهُمَّ إن بالعباد والبلاد من الضر- والأواء والجهد ما لا نشكوه إلا إليك،  
فاكشف عنا ضرنا وبلوانا، وأجب دعاءنا وارحم شكوانا.

اللَّهُمَّ ارحم الأطفال الرضع والشيوخ الركع والبهائم الرتع.

اللَّهُمَّ نستغفرك إنك كنت غفارا، فأرسل السماء علينا مدرارا.

اللَّهُمَّ ارفع عنا الجهد والجوع والخوف، واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه إلا  
أنت.

اللَّهُمَّ أغثنا اللَّهُمَّ أغثنا اللَّهُمَّ أغثنا.

اللَّهُمَّ أغث قلوبنا بالإيمان، ووطننا بالخيرات والأمان.

اللَّهُمَّ ردنا إليك رداً جميلاً، أَلْف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واجمع كلمتنا على  
الحق والهدى، يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على عباده المرسلين، والحمد لله رب  
العالمين.

وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

## لا تجارة بالإسلام والأخلاق الحميدة (١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا وَجْهًا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].  
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأفضل الهدي هدي محمد رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

أيها الناس، إن آلاء الله علينا كثيرة لا تحصى. ولا تعد، قال تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَآسَأٍ لَتَمُوتَنَّ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ؕ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَفَّارٌ﴾

(١) ألقى في مسجد ابن الأمير الصنعاني، في ٨/٢/٢٠١٣ م.

﴿٣٤﴾ [إبراهيم ٣٤].

وإن المسلم إذا تأمل في نعم الله عليه سيجد أن أعظم النعم عليه هي: نعمة الإسلام، والهداية للحق القويم، فله الحمد والشكر على هذه النعمة.

عباد الله، لقد أكرم الله هذه الأمة بدين الإسلام الذي أرسل به محمداً عليه الصلاة والسلام، وارتضى الله هذا الدين لعباده، ولا يقبل من أحد ديناً سواه، كما قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فمن حاد عنه واتخذ ديناً غيره فهو من الخاسرين الذين لا حظ لهم من الفوز والفلاح، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران ٨٥].

وإذا أراد المسلم أن يعرف قدر هذه النعمة فلينظر بعين البصيرة والتأمل والحق والعدل إلى أولئك البعيدين عن هذا الدين: من وثنيين وملحدين، ويهود ونصارى كيف يعيشون في تحبط وضلال، وحيرة وضياح في عقائدهم وأفكارهم، وأخلاقهم وحياتهم الاجتماعية والأسرية.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَرِثَةُ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

النور السائر من خطب المنابر

وقال: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعام ١٢٥].

وقال جل وعلا: ﴿أَفَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك ٢٢].

فالحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله على نعمة الهداية إلى الحق الواضح، ونسأل الله أن يديم علينا هذه النعمة وأن يتوفانا عليها.

أيها المسلمون، إن نعمة الإسلام التي أكرمنا الله بها توجب علينا القيام بشكرها: بفعل ما أمر به الإسلام وترك ما نهى.

وأهم ما أوجب الله سبحانه وتعالى على عباده: توحيده الخالص، وإفراده بالعبادة والتعظيم والقصد والإقبال، ثم إقامة الصلاة التي هي عمود هذا الدين وهكذا بقية الشرائع.

وإن مما يجب علينا أن نعتقه -أمة الإسلام- أن ديننا كامل في شرائعه وأحكامه وجميع ما جاء به؛ لذلك فهو دين صالح للعمل به والاحتكام إليه في كل زمان ومكان وبيئة، ولا يفتقر إلى زيادة وإكمال وإتمام في أصوله وأحكامه. وإنما يحتاج إلى فهم صحيح له، وتنزيل راشد، وتمسك بتعاليمه، وعمل بما جاء به في جميع المجالات الخاصة والعامة. وبذلك تظهر للعالم كله هذه الصلاحية الدائمة والخلود القائم الذي

لا يطرأ عليه الفناء.

قال تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فمن زعم أن الإسلام غير قادر على استيعاب كل العصور وتلبية حاجاتها وما يستجد فيها فقد اتهم الله تعالى بالجهل وضعف القدرة، واتهم رسول الله محمداً عليه الصلاة والسلام بالخيانة وقصور البلاغ.

إخوة الإسلام، إننا نعلم أن أهل الكتاب قد حسدونا على نعمة الإسلام ونبي الإسلام الذي كانوا يظنون أن يكون منهم وتكون هذه النعمة فيهم، ولكن الله تعالى صرف ذلك عنهم، والله أعلم حيث يجعل رسالته وينزل نعمته.

قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

وقال: ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ

مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

[البقرة: ١٠٥].

وقال: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۗ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيَاءَ وَلَا نَصِيرًا

[النساء: ٨٩].

النور السائر من خطب المنابر

وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَّا عَنِتُّمْ قَد بَدَتْ الْبَعْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران: ١١٨].

وتلبية لمطالب حسدهم وحقدهم فقد قطعوا على أنفسهم عهداً غليظة، وجندوا أنفسهم وغيرهم لحرب الإسلام وأهله في كل زمان ومكان بكل ما يستطيعون ليخرجوا المسلم عن دينه إما إلى دينهم وإما إلى غير دين. وما الحرب المتنوعة اليوم القائمة على المسلمين في كل مكان والتي يتبناها اليهود والنصارى خصوصاً إلا برهان هذه الحقيقة.

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِن هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة: ١٣٠].

عباد الله، ولو تساءلنا عن أسباب هذه الفوضى الفكرية والفوضى الأخلاقية لوجدنا أن من بين أسبابها: الإغراء بالأموال والوظائف المرموقة وغير ذلك من أعراض الدنيا الفانية.

حتى لقد باع بعض الناس لأجل الحصول على ذلك دينهم وأخلاقهم وأوطانهم وشعوبهم.

إخوة الإسلام، إن الإنسان الشهم الشريف الذي يكره الذل ومطايا الدنيا، ويجب معالي الأمور وسنامها لا يمكن أن يُستعبد بالإغراءات مهما عظمت وكثرت.

يمكن أن يقبل الجوع والحبس والتضييق مادام العز في ذلك. لكن لا يمكنه قبول الدنيا وما فيها إذا كان في ذلك بيع الدين والخلق الكريم، والعز والسؤدد.

قال بعض الشعراء:

عش عزيزاً أو مت حميداً بخير      لا تضع للسؤال والذل خدا  
 كم كريم أضيع في الدهر حتى      أكل الفقر منه لحماً وجلدا  
 كلما زيد في الزمان اتضاعاً      زاد في نفسه علواً ومجدا  
 يستحب الفتى بكل سبيل      أن يرى دهره على الفقر جلدًا

إن الإنسان الحر لا يبيع دينه وخلقه لأي مشترٍ أو سمسار ولو بذل له ما بذل من الدنيا، فماذا يقال عن قوم يبيعون دينهم بثمان بخس دولارات معدودة وكانوا فيه من الزاهدين.

معشر- المسلمين، في أيام الفتن كأيامنا هذه- يرخص الدين وتغلو الدنيا لدى بعض الناس فيقلب في أحضان الفتن؛ طلباً للعرض الزائل، دون تفكير إلى أين منقلبه ومآله.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا)<sup>(١)</sup>.

(١) رواه مسلم.

النور السائر من خطب المنابر

وتفكروا معي - أحبابي الأفاضل - في حياة رسول الله ﷺ وحياة أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كيف ضحوا من أجل هذا الدين، وتركوا الدنيا التي عُرِضَتْ عليهم أو التي تلهيهم عن الإسلام.

لقد جاءت قريش إليرسول الله ﷺ فعرضت عليه الملك والرئاسة، والمال والطب والتزويج بأجمل النساء فقالوا: "إن كنت إنما تريد، بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً؛ وإن كنت تريد به شرفاً، سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً، ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوي منه". فما قبل رسول الله عروضهم هذه حتى مضى - إلى سبيله وقد أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على العالمين.

وعلى هذا السبيل هاجر المهاجرون من مكة مخلفين وراءهم أموالهم ودنياهم، فراراً إلى الله ورسوله عليه الصلاة والسلام.

فهذا صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما هاجر إلى المدينة تبعه نفر من المشركين فثل كنانته وقال لهم: "يا معشر قريش، تعلمون أني من أركم، ووالله لا تصلون إلي حتى أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فإن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه، قالوا: فدلنا على مالك ونخلي عنك، فتعاهدوا على ذلك، فدلهم عليه، ولحق برسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: (ريح البيع أبا يحيى).

وانظروا إلى هذا الموقف العظيم لعبد الله بن حذافة السهمي والدنيا تعرض عليه بملكها ومالها وجمالها فيأبأها؛ حفاظاً على دينه.

فعن ابن عباس قال: "أسرت الروم عبد الله بن حذافة السهمي صاحب النبي ﷺ فقال له الطاغية: تنصر. وإلا ألقيتك في البقرة -لبقرة من نحاس- قال: ما أفعل. فدعا بالبقرة النحاسية فملئت زيتاً وأغليت، ودعا برجل من أسرى المسلمين فعرض عليه النصرانية فأبى، فألقاه في البقرة فغذا عظامه تلوح وقال لعبد الله: تنصر. وإلا ألقيتك. قال: ما أفعل. فأمر به أن يلقى في البقرة فبكى فقالوا: قد جزع قد بكى: قال ردوه. قال: لا ترى أي بكيت جزعاً مما تريد أن تصنع بي، ولكني بكيت حيث ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله، كنت أحب أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعر في ثم تسلط علي فتفعل بي هذا. قال: فأعجب منه: وأحب أن يطلقه فقال: قبل رأسي وأطلقك. قال: ما أفعل. قال تنصر. وأزوجك بنتي وأقاسمك ملكي. قال: ما أفعل. قال قبل رأسي وأطلقك وأطلق معك ثمانين من المسلمين. قال: أما هذه فنعم. فقبل رأسه وأطلقه وأطلق معه ثمانين من المسلمين. فلما قدموا على عمر بن الخطاب قام إليه عمر فقبل رأسه".

أيها المسلمون، إن الأخلاق الحميدة والقيم النبيلة جزء عظيم من الدين، وهي كذلك ليست سوقاً للبيع والشراء. فالإنسان الكريم لا يبيع أخلاقه الحسنة وعاداته وأعرافه القبلية الفاضلة ليأخذ بها حطام الدنيا ولو جاع وهُدِدَ وطُرد.

كان بعض نساء السلف يوصين أزواجهن عند خروجهم للعمل بالتماس الرزق

الحلال ويقلن لهم: اتقوا الله فينا؛ فإننا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار.

وهذا السموأل بن عاديا كان رجلاً مشهوراً بالوفاء، فقد ذكر أن امرأ القيس الكندي لما أراد المضي- إلى قيصر الروم أودع عند السموأل أدرعاً وسلاحاً، وأشياء تساوي ثلاثمائة ألف دينار، فلما قتل امرؤ القيس أرسل قيصر يطلبها من السموأل فامتنع وقال: لا أدفعها إلا لمستحقها ولا أغدر بدمتي، فقصده قيصر فتحصن السموأل، فأخذ قيصر ولدأً للسموأل من خارج الحصن، وقال: إما أن تدفع ما عندك وإلا قتلنا ولدك، فأبى فأخذوا ولده فقتلوه، ولم يسلم لهم ما عنده من الأمانة، ثم جاء أهل امرؤ القيس فدفعها إليهم، ثم قال السموأل مفتخراً:

وفيت بأدرع الكندي إني إذا ما خان أقوام وفيت  
وقالوا إنه كنز رغب ولا والله أغدر ما حيت

أيها المسلمون، إن من صور الخيانات اليوم: المتاجرة بالأوطان المسلمة وثروات شعوبها، والأوفياء من قادة المسلمين وولاية أمرهم لا يستخدمون بلاد الإسلام سلعة للمتاجرة مهما أعطوا. فإن فعلوا فالتاريخ لن يرحمهم، والشعوب لن تسامحهم، والله تعالى لهم بالمرصاد.

أما أهل الشمم والشهامة من ساسة المسلمين فهم حراس دين شعوبهم وديانهم لا يمكن أن يبيعوا من تراب المسلمين لأعدائهم شبرا. وهذا التاريخ يذكر لنا موقفاً مضيئاً للسلطان العثماني عبد الحميد رحمه الله حينما عرض عليه هرتزل اليهودي

إغراءات مالية ليتنازل عن فلسطين فكان جوابه رحمه الله: "لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحدة من فلسطين؛ لأنها ليست لي بل لشعبي، لقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بدمائهم، وسوف نحميها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها". الله أكبر ما أعظمها من روح، وأعزها من نفس حينما صغرت الدنيا في عينيها، وأبت إلا الوفاء والبقاء على هام العزة والكبرياء، ولم تستجب لنداءات الخيانة التي تمد بساط الدنيا أمام رغباتها فتطويها بأيدي لا تعرف الهوان. هؤلاء هم الزعماء الذين تكتب سيرهم من نور، ويستعذب الحديث عنهم وهم في طوايا القبور.

عباد الله، إن يبيع الدين والأخلاق الحميدة والأرض المسلمة: برها أو بحرها أو جوها لأعداء الأمة جريمة كبيرة هلك بسببها أفراد وشعوب، وأورث البلدان المسلمة نقماً وشتاتاً، وزرع بينهم الإحن والأحقاد.

ولا يظن ذلك الخائن لدينه أو خلقه، أو وطنه أو جيرانه أنه بمنأى عن آثار إفساده وتبعات جريمته ومواليد خيانتته، فلا شك أنه أول الخاسرين ومقدم الهالكين، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [٤٣]. قال محمد بن كعب رحمه الله: "ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي، والنكث، والمكر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمَكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمَكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [الفتح ١٠]."

النور السائر من خطب المنابر

وقال بعض العرب: من حفر حفرة سوء وقع فيها.

إن ذلك الخائن البائر يتبعه لسان السوء بعد وفاته إلى قبره عبر الأجيال المتلاحقة، كما فعل العرب الأوائل بأبي رغال الثقفي الذي دل أبرهة الحبشي على طريق مكة، فلما مات جعلت العرب لا تمر على قبره إلا رجمته؛ تذكراً لفعلته الشنيعة، قال الشاعر:

وأرجم قبره في كل عام      كرجم الناس قبر أبي رغال

نسأل الله أن يرفع عن الأمة الإسلامية الذل والهوان، وأن يعجل بنصره لعباده الصالحين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن مرض خيانة الدين والأخلاق والأوطان المسلمة الذي أصيب به بعض الناس يحتاج أصحابه إلى رجوع إلى الصواب والرشاد، وأن يفكروا بمقامهم بين يدي الله تعالى، وأن يعوا حجم الأخطار العامة والخاصة التي تترتب على هذا الفعل الويل. وأن يتذكروا أن ما يحصلون عليه من أعراض الدنيا الفانية سيفنى كما يفنون، ثم يكون عليهم حسرة يوم القيامة.

فهذه دعوة صادقة ونصيحة خالصة لأولئك المسرفين على أنفسهم وعلى غيرهم بذنب التجارة بالإسلام والخلق الكريم وبلاد المسلمين: أن يرجعوا قبل الندامة، وأن يقفوا عن بغيهم قبل الوقوف المخزي يوم القيامة.

فلنحافظ جميعاً -معشر المسلمين- على ديننا وقيمنا الصالحة، ولا نقبل أي إغراء يسرق ديننا وأخلاقنا؛ حتى لا نعص أصابع الندم بعد ذلك، ولات ساعة مندم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

هذا وصلوا وسلموا على قائد البشرية...

## الإسراء والمعراج: ذكريات وتأملات (١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا وَجْهَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].  
 ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأفضل الهدي هدي محمد رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

أيها الناس، لقد تفاقمت في مكة أذية المشركين، واشتد إضرارهم بسيد المرسلين ﷺ، وزاد تعديهم على صحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. فعظم حزن رسول الله عليه الصلاة والسلام لما يلقاه أهل الإيمان من الإيذاء، ولا استمرار قريش في غطرتها

(١) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني، صنعاء، في ٢٨/رجب/١٤٣٤هـ، ٧/٦/٢٠١٣م.

وعنادها وصدودها.

وفي هذا الجو الملبد بغيوم الأسي تشرق بشارة متألقة برحلة مقدسة مدتها ليلة واحدة لرجل واحد من الأولين والآخرين، يمضي بها نبينا محمد ﷺ، صحبة جبريل عليه السلام، مغادراً مكة المكرمة صاعداً إلى السماوات العلى، ثم يهبط إلى الأرض المباركة بيت المقدس مجمع الأنبياء والمرسلين، ثم يعود إلى فراشه عليه الصلاة والسلام.

إنها رحلة المشتاق إلى من أحب، رحلة بالعروج إلى العلي الأعلى للقرب والمناجاة، والدنو والملاقاة، تجاوزَ السماوات، وارتفع في المقامات، حتى انتهى إلى المقام الأعلى وخاطبه ربه الكريم بما شاء، ثم أكرمه بالإسراء إلى خير بقاع الأرض بعد مكة؛ ليلقى رفقاء المهمة العليا والرسالة الكبرى، فيتقدمهم إماماً؛ لتقدمه عليهم فضلاً، ثم يؤوب إلى بيته بعد هذه الرحلة العلية مسرور النفس، منشرح الصدر، مغموراً بالسعادة والطمأنينة، بعد سنين من العناء والبذل والتضحية.

|                               |                                  |
|-------------------------------|----------------------------------|
| يا أيها المسرى به شرفاً إلى   | ما لا تنال الشمس والجوزاء        |
| يتساءلون وأنت أظهر هيكل       | بالروح أو بالهيكل الإسراء؟       |
| بهما سموت مطهرين كلاهما       | نور وريحانية وبهاء               |
| فضل عليك لذي الجلال ومنة      | والله يفعل ما يرى ويشاء          |
| أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكته | والرسل في المسجد الأقصى- على قدم |
| صلى وراءك منهم كل ذي خطر      | ومن يفز بحبيب الله يأتمم         |

\_\_\_\_\_ النور السائر من خطب المنابر

جبت السماوات أو ما فوقهن بهم  
على منورة درية اللجم  
ركوبة لك من عز ومن شرف  
لا في الجياد ولا في الأينق الرسم

أيها المسلمون، إن رحلة الإسراء والمعراج إكرام من الله تعالى لرسوله محمد عليه الصلاة والسلام؛ ليطلع ربه على آيات من آياته الكبرى، فيراها عياناً، ويسمعها قريباً؛ ليزداد ثقة إلى ثقته وقوة إلى قوته، وثباتاً إلى ثباته، وأملاً إلى أمله.

ففي حكمة العروج يقول تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم ١٨].

وفي حكمة الإسراء يقول جل وعلا: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء ١].

عباد الله، جاء في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله ﷺ (بينما هو على فراشه إذ أتاه آتٍ فشق ما بين نحره وما فوق عانته فاستخرج قلبه ثم أتى بطست من ذهب مملوء إيماناً فغسل قلبه ثم حُشي ثم أعيد)

وهذا يبين أن حادثة شق صدره عليه الصلاة والسلام وقعت أكثر من مرة، ولكل منها حكمة " فالأولى لحكمتها ما جاء عند مسلم من حديث أنس قال: (فأخرج علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك) وكان هذا في زمن الطفولية فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان، ثم وقع شق الصدر عند البعث زيادة في إكرامه؛ ليتلقى ما يوحي إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير، ثم وقع شق الصدر عند إرادة

العروج إلى السماء؛ ليتأهب للمناجاة، ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه ﷺ. وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحيه القدرة، فلا يستحيل شيء من ذلك" (١).

ثم يتابع رسول الله ﷺ رحلته المقدسة فيقول: (ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك آدم، فسلم عليه. فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالوا: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إذا يوسف قال: هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال:

(١) ينظر: فتح الباري (٧/ ٢٠٥).

النور السائر من خطب المنابر

جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إلى إدريس قال: هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا هارون قال: هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحبا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا موسى قال: هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح، فلما تجاوزت بكى قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي)

أيها المسلمون، ليس بكاء موسى عليه السلام حسداً لرسولنا عليه الصلاة والسلام؛ فالأنبياء منزهون عن كل خلق دنيء، وإنما بكأؤه على نفسه، حيث نقص أجره بجانب أجر رسولنا عليه الصلاة والسلام؛ لأن لكل نبي مثل أجر كل من اتبعه، وأمته حينما كانت كثيرة المخالفة والعناد - مما يديني درجتها وأجرها - لم يصل أجره إلى أجر محمد ﷺ .

ثم يواصل رسول الله ﷺ حديث رحلة العروج فيقول: (ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد،

قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قال: مرحبا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك فسلم عليه؟ قال: فسلمت عليه فرد السلام قال: مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح، ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات. ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى فقال: بما أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. فرجعت فوضع عني عشرة، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرة، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر- صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحيت، ولكنني أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت نادى مناد: أمضيت فريضتي وخففت عن



(عبادي)

أيها المسلمون، فلما رجع رسول الله ﷺ من رحلته المباركة أخبر قومه بذلك فقال لهم - في مجلس حضره المطعم بن عدي، وعمرو بن هشام والوليد بن المغيرة: (إني صليت الليلة العشاء في هذا المسجد، وصليت به الغداة، وأتيت فيما دون ذلك بيت المقدس، فنشر لي رهط من الأنبياء منهم إبراهيم وموسى وعيسى وصليت بهم وكلمتهم) فقال عمرو بن هشام كالمستهزئ به: صفهم لي، فقال: (أما عيسى، ففوق الربعة، ودون الطول، عريض الصدر، ظاهر الدم، جعد، أشعر تعلوه صهبة - والصهبة: حُمْرة يعلوها سواد في الشعر - كأنه عروة بن مسعود الثقفي، وأما موسى فضخم آدم طوال، كأنه من رجال شنوءة، متراكب الأسنان، مقلص الشفة، خارج اللثة، عابس، وأما إبراهيم فوالله إنه لأشبه الناس بي، خَلَقًا وَخُلُقًا)

فقالوا: يا محمد، فصف لنا بيت المقدس، قال: (دخلت ليلاً، وخرجت ليلاً) فأثارة جبريل بصورته في جناحه، فجعل يقول: (باب منه كذا، في موضع كذا، وباب منه كذا، في موضع كذا).

ثم سألوه عن غيرهم فقال لهم: (أتيت على غير بني فلان بالروحاء، قد أضلوا ناقة لهم، فانطلقوا في طلبها، فانتهيت إلى رحالهم ليس بها منهم أحد، وإذا قدح ماء فشربت منه فاسألوهم عن ذلك) قالوا: هذه والإله آية، (ثم انتهيت إلى غير بني فلان، فنفرت مني الإبل وبرك منها جمل أحمر عليه جوائق، مخطط بياض، لا أدري أكسر البعير، أم لا فاسألوهم عن ذلك)، قالوا: هذه والإله آية، (ثم انتهيت إلى غير بني فلان في التنعيم،

يقدمها جمل أورك وهاهي تطلع عليكم من الثانية)

فقال الوليد بن المغيرة: ساحر، فانطلقوا فنظروا فوجدوا الأمر كما قال، فرموه بالسحر، وقالوا: صدق الوليد بن المغيرة فيما قال.

وسعى بعضهم بذلك إلى أبي بكر الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فقالوا: هل لك إلى صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟

قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: "لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟! قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة". فلذلك سمي أبو بكر بالصديق من ذلك اليوم.

معشر المسلمين، إن النبي عليه الصلاة والسلام في هذه الرحلة الميمونة - كما جاء في أحاديث أخرى - قد رأى أشياء عظيمة مما هو كائن من أمر الغيب أو سوف يكون.

فقد رأى مالكا خازن النار وهو لا يضحك، ورأى الجنة والنار، ورأى أكلة أموال اليتامى ظلماً، لهم مشافر كمشافر الإبل، يقذفون في أفواههم قطعاً من نار فتخرج من أدبارهم، ورأى أكلة الربا لهم بطون كبيرة لا يقدرّون لأجلها أن يتحولوا من مكانهم.

ورأى الزناة بين أيديهم لحم سمين طيب، إلى جنبه لحم غث منتن فيأكلون من الغث المنتن ويتركون السمين الطيب.

ورأى النساء اللاتي يدخلن على أزواجهن من ليس من أولادهن وهن معلقات

بثديهن.

ودخل الجنة فرأى قصيراً لعمر بن الخطاب، ورأى مكانة عليّة للرميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك في الجنة.

ورأى الكوثر الذي أعطاه الله أشد بياضاً من اللبن، ومر برائحة طيبة فقال: (ما هذه الرائحة يا جبريل؟ فقال: هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها).

واطلع في النار فرأى قوماً يأكلون الجيف، فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم.

ورأى في النار عاقر ناقة صالح.

ورأى قوماً تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من نار فقال من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم.

ورأى آدم وعلى يمينه أشخاصاً، وعلى يساره أشخاصاً، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى. فقال جبريل: فأهل اليمين أهل الجنة من بنيه، وأهل الشمال أهل النار من بنيه.

ورأى إبراهيم عليه السلام فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان-أي: أرض مستوية- وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

وصدق الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم ١٨].

وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا

الَّذِي بَنَيْنَا لَهُ حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء ١].

عباد الله، هناك حقائق مهمة لا بد أن نعيها عند حديثنا عن الإسراء والمعراج.

أولى هذه الحقائق: أن هذه الرحلة امتحان وابتلاء؛ ليُعرف المصدق من غيره، من

الأولين ومن الآخرين أيضاً، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً

لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء ٦٠]. أي: ابتلاء يتميز به الناس.

فيجب على كل مسلم أن يصدق مجريات هذه الرحلة الصادقة كما جاءت في

القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة؛ فإن الله على كل شيء قدير.

ثانياً: لم يثبت دليل صحيح تعيين زمن هذه الحادثة سنة وشهراً وليلة، وإنما كان

الحديث عنها في هذه الأيام لاشتهار أنها وقعت في ليلة السابع والعشرين من رجب.

ثالثاً: أن ما يفعله بعض الناس من الاحتفال بهذه الليلة شيء محدث، لم يفعله

رسول الله ﷺ، ولا صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم أحرص من غيرهم على الخير. وخير

الهدى هدى رسول الله ﷺ.

رابعاً: اشتهر عند بعض الناس من خطباء وغيرهم حديث يروى عن ابن عباس

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في هذه الحادثة يزخر بتفاصيل كثيرة غير ثابتة عن هذه الليلة، وهو حديث

موضوع لا ينبغي التعويل عليه.

\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

خامساً: الصحيح أن المعراج إلى السماء كان قبل الإسراء إلى بيت المقدس، وأن  
الأسراء والمعراج كان بالروح والجسد معاً؛ لقوله تعالى: ﴿بعده﴾، وأنه كان يقظة لا  
مناماً، ولو كان مناماً لما كذبت ذلك قريش؛ لأن الإنسان قد يرى أنه ينتقل عن مكانه  
إلى أماكن أخرى بعيدة.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها المسلمون، إن هذه الرحلة المقدسة فيها دروس وعظات، تستفيد منها الأمة إذا تدبرتها.

فمن أعظمها: بيان منزلة الصلوات الخمس وأهميتها وعلو مكانتها، حيث انفردت عن بقية الفرائض بأمرين:

الأول: أنها فرضت في السماء، وبقية الفرائض إنما فرضت في الأرض.

الثاني: أن رسول الله ﷺ تلقى فرضيتها مباشرة عن الله تعالى بدون جبريل عليه السلام.

فيا أمة الصلاة، لقد أكرمنا الله بالصلاة فلماذا ضيعها بعض هذه الأمة وتساهلوا فيها، لماذا لا تمتلئ المساجد في الصلوات الخمس كما تمتلئ الآن يوم الجمعة؟! الشوارع والأسواق ودور اللهو تشكو الزحام، وبيوت الله تعالى تجأ بالشكوى لقلّة روادها وقصّادها.

إذا ضيعت الأمة الصلاة فهي لما سواها أضيع، وهذا هو الحاصل، والله

المستعان.

فالصلاة الصلاة يا أمة محمد؛ فإنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة.

ومن دروس هذه الرحلة الميمونة: بيان فضل رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام على سائر الأنبياء والرسل، وبيان فضل أمته على بقية الأمم؛ فرسالة رسولنا معلومة لجميع الرسل، وصلاة رسول الله بهم إماماً دليل التقدير والتكريم، والرسل حريصون على الخير لهذه الأمة المفضلة التي هي أمة الفطرة السليمة والطريقة المستقيمة، كما سمعتم قول موسى وإبراهيم عليهما السلام.

فأروا الله من أنفسكم - يا أمة محمد - خيراً؛ فإن الشرف لمن اقتدى واهتدى، لا لمن انتسب ولم يعمل.

ومن دروس هذه الرحلة المباركة: الإشارة إلى أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى؛ فقد كان المسجد الأقصى - هو القبلة الأولى، ومسرى رسول الله، ومكان اجتماع الأنبياء والرسل للصلاة فيه، فعلى هذه الأمة أن تحافظ عليه، وأن تسعى في تحريره من أيدي اليهود الغاصبين الذين دنسوا تقديسه، وصدوا أمة الإسلام عن شد الرحال إليه.

فآلامه اليوم آلام للأمة جمعاء، فمن للمسجد الأقصى يا عباد الله؟

إن المسجد الأقصى - في خطر مستمر، ولن يحرر بالاتفاقيات والمعاهدات، ولن يتحرر بتمزق الأمة وعمالة بعضها للمغضوب عليهم.

ولن يجرر تحت مظلة القومية أو غيرها من المظلات الجاهلية الضيقة.

ولن يجرره أعداء اليهود في العلن وأصدقاؤهم في السر.

المسجد الأقصى - يا أمة الإسلام - لن يتحرر إلا تحت مظلة الإسلام النقي، بأيادٍ نظيفة ونفوس غير مرهونة للعدو، وراية متحدة تجمع المسلمين على اختلاف بلدانهم ولغاتهم وأجناسهم.

قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله)<sup>(١)</sup>.

نسأل الله تعالى أن يقرب وعده الصادق وبشرى نبيه الحق، اللهم أمين.  
وصلوا وسلموا على خير البرية....

(١) متفق عليه.

## شعبان آداب وأحكام (١)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].  
 ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، إن الله تعالى كريم يتفضل على عباده بوجوه كثيرة من الإكرام، ويواتر عليهم أصنافاً عديدة من الآلاء والإنعام. فسبحان ربي ما أكرمه! وله الحمد على

(١) أُلقيت في مسجد الأمير الصنعاني في ٧/ شعبان، ١٤٣٢هـ، ٨/٧/٢٠١١م.

ما أعطى، وله الشكر على ما أنعم به وأولى.

ألا وإن من عطاياه الجسام ونوائله العظام: اصطفاء أزمنة على أزمنة ليستغلها عباده في التقرب إليه، والمسارعة إلى ما يرفع درجاتهم لديه. والعاقل من الناس من ينتهز الفرص ويغتني الفضائل، ولا يجعلها تفوت عليه، وتنطلق من بين يديه إلا وقد أخذ حظه منها؛ فالآجال مجهولة، والأعمار محدودة، والغنائم قد لا ترجع، والغاية التي يريجوها المسلم ثمينة، والدنيا دار التزود بعمر واحد فقط. ﴿وَتَكَرَّوْا فَاِنَّ خَيْرَ الْبَرِّ خَيْرَ الْبِقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

والإنسان لا يدري ما يعرض له في الدنيا فيشغله عن زاد الآخرة، فقد يهجم عليه المرض والبلاء، وتستولي عليه أعمال الدنيا وحاجاتها، وقد تأتي عليه شدائد وفتن لا يستطيع معها العمل الصالح. قال رسول الله ﷺ: (بادروا بالأعمال؛ فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي- كافرا، أو يمسي- مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا)<sup>(١)</sup>. نسأل الله السلامة من زوال نعمه، وتحول عافيته، وفجأة نقمته، وجميع سخطه.

عباد الله، من الأزمنة الفاضلة التي ينبغي أن تستغل في الخير: شهرنا هذا شهر شعبان.

فشعبان دورة تدريبية بين يدي رمضان؛ لكي يدخل المسلم شهر الصيام وقد تمرن على المسارعة إلى العمل الصالح. وإنما تسهل الأعمال على من تعود أمثالها قبل مجيئها.

(١) رواه مسلم.

النور السائر من خطب المنابر

إن شهر شعبان شهر استعداد روحي لاستقبال ضيف الروح السنوي، لكن هذا الاستعداد الصحيح لا تعرفه كل النفوس، وإنما تعرفه النفوس المتألقة في سماء الطاعة، التي تصقل القلوب والجوارح حتى يدخل رمضان التحلية بعد رحيل شعبان التنقية. يدخل شعبان على الأرواح الصالحة شهرَ تهيؤٍ واشتياق لموسم الخيرات الأكبر الذي تخلق فيه الروح في آفاق الفضائل والخير العظيم.

لقد دخل شعبان على أهل القلوب الحية فعمروه بالاستعداد الصالح في كسب الخيرات والمسارة إلى القربات.

ودخل شعبان على المهتمين بالبطون على حساب الروح فاستعدوا لشراء أصناف المأكولات والمشروبات التي تكفي الفئام من الناس، وكانهم مقبلون على موسم جوع لا ينجو فيه إلا أصحاب المطابخ الممتلئة.

أيها المسلمون، إن الحريصين على طاعة الله إذا رأوا الناس يجذون من أجل بطونهم وما يلهيهم، فهم في شأن آخر.

فشعبان عندهم شهر للقربات، ومن أعظم القربات فيه -بعد الفرائض-: قربة الصيام، هذه القربة التي تصلح الأجساد والأرواح والعقول، فلا يخرج شعبان عنهم إلا وقد أخذوا نصيبهم من صيامه؛ حرصاً على الخير واقتداء برسول الله ﷺ.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم، فما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا

رمضان، وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان<sup>(١)</sup>.

وعن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم شهراً من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: (ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم)<sup>(٢)</sup>.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (كان رسول الله ﷺ يصوم شعبان كله، يصوم شعبان إلا قليلاً)<sup>(٣)</sup>.

ففي هذه النصوص الشريفة حث على الإكثار من الصيام في شعبان، غير أنه لا ينبغي أن يصام شعبان كله متصلاً برمضان.

فعن عائشة وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالوا: (ما صام النبي ﷺ شهراً كاملاً قط غير رمضان)<sup>(٤)</sup>.

أما حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الذي تقول فيه: (ما رأيت النبي ﷺ يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان)<sup>(٥)</sup>.

فمقصودها أنه يصوم أكثر شهر شعبان لا كله؛ لأن لغة العرب قد يستعمل فيها الكل بمعنى الأكثر، وقد قال الترمذي في سننه: قال ابن المبارك في هذا الحديث: "وهو

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه النسائي، وهو حسن.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه الترمذي والنسائي، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

جائز في كلام العرب إذا صام أكثر الشهر أن يقال: صام الشهر كله، ويقال: قام فلان ليله أجمع، ولعله تعشى واشتغل ببعض أمره".

إلا إذا كان المسلم معتاداً صيام الاثنين والخميس فوافق ذلك قبل رمضان بيوم أو يومين فيجوز الصيام.

قال النبي ﷺ: (لا يتقدم من أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم)<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا يجوز الصيام بعد انتصاف شعبان لمن أحب ذلك، وعرف من نفسه النشاط والقوة، أما إذا أحس بالضعف مع طول الصيام فالأولى أن لا يصوم بعد النصف من شعبان؛ حتى يتقوى بالفطر ويدخل رمضان قوياً نشيطاً. أما الحديث الوارد في النهي عن الصيام بعد انتصاف شعبان فهو حديث ضعيف غير صحيح.

أيها المسلمون، لقد كان رسول الله ﷺ يكثر من الصيام في شعبان لثلاث معانٍ - كما قال ابن القيم رحمه الله -: أحدها: أنه كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، فربما شغل عن الصيام أشهراً فجمع ذلك في شعبان؛ ليدركه قبل صيام الفرض. الثانية: أنه فعل ذلك تعظيماً لرمضان، وهذا الصوم يشبه سنة فرض الصلاة قبلها تعظيماً لحقها.

الثالثة: أنه شهر ترفع فيه الأعمال، فأحب ﷺ أن يرفع عمله وهو صائم. أمة الإسلام، شهر شعبان شهر للألفة والمحبة، والاتلاف والاتفاق، شهر يربي

(١) رواه البخاري.

المجتمع المسلم على نزع كراهية المسلمين والحقدهم عليهم، ونبد التشاحن والتباغض، ويحوطه بسياج من الود والدعوة إلى الاجتماع والقرب، فيا من تدنس قلبه بأدناس الغل والبغض، وولج أتون التفرق والنزاع والتشاجر، فهذا شعبان مغتسل بارد وشراب.

شعبان أقبَل بالمحبة والصفاء  
 شعبان أستاذ يعلمنا الإخاء  
 لشعبان مطهرة الذنوب مطلع  
 زمن لترويض النفوس لكي ترى  
 يهديكم حلل الصيام وكل ما  
 ليذيب أحزان التشاحن والجفا  
 ويقول للمتباغضين ألا كفى  
 لنسيم شهر بالصيام تشرفا  
 رمضان بستان اللذاذة والصفاء  
 يجلو القلوب على طريق المصطفى

هلم أيها الفرقاء إلى كلمة سواء في شهر المحبة والإخاء؛ لكي تجمعوا بها الشمل وترأبوا بها الصدع، وتداووا بها الجراح؛ فشعبان يدعو المتباغضين إلى خلع أسمال الكراهية والتناحر؛ لكي ينالوا مغفرة الله فيه.

قال النبي ﷺ: (إذا كان ليلة النصف من شعبان اطلع الله إلى خلقه، فيغفر للمؤمنين ويملي للكافرين، ويدع أهل الحقد لحقدهم حتى يدعوه)<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: (يطلع الله عز وجل على خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع

(١) رواه البيهقي، وهو حسن.

خلقه الا لمشرك أو مشاحن)<sup>(١)</sup>.

فهل من سامع يعي، وطالب مغفرة ينتصر على نفسه وهواه فيقبل على تصفية قلبه من الشرك والأحقاد-إن كانت فيه- ويمد يد المحبة إلى إخوانه المسلمين؟

عباد الله، من القربات التي ينبغي الحرص عليها والمبادرة إليها في هذا الشهر: الإكثار من قراءة القرآن الكريم، وترطيب الألسنة بآياته، وترقيق القلوب بحلاوة تلاوته، وتنوير العيون بالنظر إليه، وفتح العقول بتدبر معانيه.

قال سلمة بن كهيل رحمه الله: "شهر شعبان شهر القراء"؛ وذلك أن قراءة شعبان لها أثر على قراءة رمضان إكثاراً وسهولة، وحلاوة وفيها.

وكان بعض السلف إذا دخل عليه شعبان أغلق حانوته وتفرغ لقراءة القرآن.

أيها المسلمون، هناك ليلة من ليالي شعبان يدور حولها جدل كل عام، وهذه الليلة هي ليلة النصف من شعبان، حيث وقعت هذه الليلة بين غالٍ بالغ فيها حتى خرج عن المشروع، وجافٍ لم يعرف لها قدراً ولم يجعل لها منزلة تخصها عن بقية الليالي فحرم نفسه فضلها وخيرها، والحق خلاف هذين القولين.

فالغالون في هذه الليلة عظموها تعظيماً غير مشروع، حتى خصوا نهارها بصيام دون بقية الأيام، وليلها بقيام دون سائر الليالي، مع احتفالات وأعمال دينية محدثة، ويستدلون على ما يفعلون بأحاديث موضوعة وأعلى درجتها-لو خرجت عن

(١) رواه الطبراني وابن حبان والبخاري، وهو صحيح.

الوضع - الضعف.

ويزعمون أنها الليلة المباركة التي تكتب فيها الأرزاق والآجال. والصواب أن الليلة المباركة إنما هي ليلة القدر من رمضان، قال تعالى: ﴿حَمِّ ۙ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۚ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۚ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۚ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۚ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۚ﴾ [الدخان: ١-٦].

وإنزال القرآن - كما هو معلوم - لم يكن إلا في ليلة القدر من رمضان، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ﴾ [القدر: ١].

وأما الجافون فزعموا أنها ليلة كغيرها من الليالي التي ليس لها منزلة أو فضيلة تختص بها.

والصواب أن هذه الليلة ليلة فاضلة لها ميزة على غيرها ورد فيها الحديثان السابقان اللذان بينا أن ليلة النصف من شعبان ميعاد لتفضل الله بمغفرة الذنوب لعباده الموحدين الذين طهروا قلوبهم من الشرك ومن الحقد والشحناء.

ولكن هذا الفضل لا يعني أن نحدث فيها ما لم يفعله رسول الله ﷺ ولا صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وأما ليلة النصف من شعبان ففيها فضل، وكان من السلف من يصلّيها، لكن اجتماع الناس فيها لإحيائها في المساجد بدعة، والله أعلم".

إلا من كان معتاداً صيام الخامس عشر من كل شهر وقيام الليل فلا مانع من صيام

النور السائر من خطب المنابر

نهارها وقيام ليلها.

عباد الله، يعد شعبان آخر فرصة في العام لمن كان عليه قضاء صوم ولم يقضه من رجل أو امرأة، فمن كان عليه دين لربه من صيام فليبادر به ولو إلى آخر يوم من شعبان، ولا يجوز تأخير القضاء حتى يدخل رمضان ويخرج، فمن فعل فعليه التوبة والقضاء والإطعام.

قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: " كان يكون علي الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان " (١).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) متفق عليه.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، إن شهر شعبان شهر حافل بالأحداث الشرعية والوقائع التاريخية الإسلامية.

فشهر شعبان من السنة الثانية للهجرة كان زمن تحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة. قال تعالى: ﴿قَدْ زَرَى نَقْلَبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاوَاتِ فَلَنَوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة ١٤٤].

وفي شهر شعبان من السنة نفسها فرض الله تعالى القتال على المسلمين بعد أن كانوا مأمورين بالصبر على أذى المشركين، وذلك بعد وقعة سرية عبد الله بن جحش، وأنزل الله في ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّكُمْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [١١٠] وَقَاتِلُوهُمْ حَيْثُ ثَفِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكُفْرِينَ [١١١] فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ [١١٢] وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة ١٩٠-١٩٣].

وفي شهر شعبان من السنة الرابعة للهجرة كانت غزوة بدر الآخرة أمام مشركي قريش، لكن الله قذف في قلوب المشركين الرعب فرجعوا على أعقابهم خائبين ولم

يحدث قتال.

وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله عزيزاً حكيماً.

وفي شهر شعبان من السنة الخامسة أو السادسة للهجرة وقعت غزوة المريسيع أو بني المصطلق فنصر الله المسلمين على المشركين، وكان من جملة خيرها تزوج رسول الله بأم المؤمنين جويرية بنت الحارث رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بعد أن أعتقها حينما كانت في السبي.

وفي شعبان من السنة العاشرة للهجرة قدم وفد خولان من اليمن على رسول الله ﷺ وكانوا عشرة، وجرى بينهم وبين رسول الله حديث، ومن ذلك أنه كان لهم ببلادهم صنم يعبدونه فأمرهم رسول الله ﷺ بهدمه إذا رجعوا ففعلوا.

وفي السنة الثالثة عشرة للهجرة وقعت معركة الجسر بين المسلمين والفرس، وكانت معركة مؤلمة دامية، لكن الله انتصر للمسلمين فيما تلاها من معارك ضد الفرس حتى غدت الامبراطورية الفارسية أثراً بعد عين.

فيا أيها المسلمون، المسارعة المسارعة إلى خير هذا الشهر؛ فالتجارة رابحة، ورأس المال موجود، والأرواح مازالت في الأجسام، قبل ذهاب العافية وتصرم الأيام.

والموفق من سلك سبيل السابقين، وحاز قصب السبق في ميدان تجارة الآخرة التي تنجيه من الخسارة يوم الدين.

هذا وصلوا وسلموا على خير الورى....

## الصيف.. حكم وأحكام (١)

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، أحمده على نعم تترى، وآلاء لا أدرك لها حصراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله واحد، ورب شاهد، ونحن له مسلمون، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين، وخيرة المتدبرين، وأعظم المتفكرين في خلق رب العالمين، فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، وصحابته المهتدين، وسلم تسليماً.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار..

النور السائر من خطب المنابر

أيها المسلمون! اعلّموا -رحمني الله وإياكم- أن في تقلب الزمان من ليل إلى نهار، ومن نهار إلى ليل، ومن صيف إلى شتاء، ومن شتاء إلى صيف لعبرة لأولي الأبصار الذين يعقلون عن الله حكمه في فعله وتقديره، وتصريفه وتدبيره.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران ١٩٠].

وقال جل وعلا: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ، قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص ٧١-٧٣].

قال ابن القيم رحمه الله: (تأمل بعد ذلك أحوال هذه الشمس في انخفاضها وارتفاعها لإقامة هذه الأزمنة والفصول وما فيها من المصالح والحكم؛ إذ لو كان الزمان كله فصلاً واحداً لفاتت مصالح الفصول الباقية فيه، فلو كان صيفاً كله لفاتت منافع مصالح الشتاء ولو كان شتاء لفاتت مصالح الصيف وكذلك لو كان ربيعاً كله أو خريفاً كله... وفي الصيف يجتد الهواء ويسخن جدا فتضج الشار وتنحل فضلات الابدان، والأخلاق التي انعقدت في الشتاء وتغور البرودة وتهرب الى الأجواف؛ ولهذا تبرد العيون والآبار ولا تهضم المعدة الطعام التي كانت تهضمه في الشتاء من الأطعمة الغليظة؛ لأنها كانت تهضمها بالحرارة التي سكنت في البطون، فلما جاء الصيف خرجت الحرارة الى ظاهر الجسد وغارت البرودة فيه).

عباد الله! لقد أظلنا-نحن أهل المناطق الباردة- فصل الصيف بجماله وظلاله، وإشراقه وهداياه، بعد رحيل فصل الشتاء بجفافه ورياحه، وعبوسه وبلاياه. لقد انتظر فصل الصيف منتظرون ليستنشقوا هواءه العليل، ونسيمه الجميل، ويروا فيه ابتهاج الحياة وحسن منظرها، حينما يسدل الصيف على السماء صفاء وبهاء، وعلى الأرض اخضراراً ورُواء، فتبتهج النفوس، وتتسع الصدور، وتخصب العقول، وتستنير العيون. وأما أهل البلاد الحارة فينزل الصيف عليهم ثقيلاً كثيباً، فيضيقون به ذرعاً، ولا يستطيعون له دفعا، وأحسن أهلها حالاً من خفف أوام الصيف بالمرواح والمكيفات، فماذا يفعل الفقير الذي لا يجد هذه النعمة! وماذا يفعل الناس جميعاً في هذه الأيام والكهرباء في إجازة مرضية تنقل بين أيدي المخربين من فترة لأخرى، فيألى الله المشتكى.

يشد الصراع مع حر الصيف في المناطق الحارة فيجدونه يشبه قلب الصب، ويذيب دماغ الضب، تحكي هواجره فؤاد المهجور والتنور المسجور. حتى يقول العاقل بلسان الحال أو المقال:

رُبَّ يَوْمٍ هَوَاؤُهُ يَتَلْظَى      فِيحَاكِي فِؤَادَ صَبِّ مَتِيْمٍ  
 قَلْتُ إِذْ صَابَ حَرُّهُ حَرًّا وَجْهِي      رَبَّنَا اصْرَفْ عَنَا عَذَابَ جَهَنَّمَ

معشر-المسلمين! إن الصيف يتميز على غيره بشدة الحر، ونزول المطر، ويختلف ذلك من مكان إلى مكان قلة وكثرة، وقوة وضعفا.

النور السائر من خطب المنابر

فالحر الشديد تكرهه النفوس، وتنفر من أواره، ومحالٌ وهجه، غير أن ذا اللب من المسلمين ينتقل بفكره من مشهد الدنيا إلى مشهد الآخرة، فيذكره عنفوانُ الحر والتهابه حرَّ يوم القيامة والناس في العرصات والشمس دانية منهم قدر ميل، ولا يجدون منها ستراً، ولا عن هدفها متحولاً ولا مخففاً، ويتدبر حال أهل النار التي وقودها الناس والحجارة، وأهلها يأتيهم الموت من كل مكان وما هم بميتين ولا منها ناجين، فيرى نار الدنيا بجانب نار الآخرة شيئاً هيناً.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (نَارُكُمْ الَّتِي تَوْقِدُونَ جِزْءًا مِنْ سَبْعِينَ جِزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ لَكَافِيَةٌ، قَالَ: (إِنَّهَا فَضَلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسْتِينَ جِزْءًا) (١).

فالذي في الدنيا واعظ للوعاة قبل لقاء الله، قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة ٢٦٩]، والشيء يذكر بمثله، كما قال متمم بن نويرة في أخيه مالك:

وقالوا: أتبكي كل قبر رأيتَه      لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك؟  
فقلت لهم: إن الأسي يبعث الأسي      دعوني فهذا كله قبر مالك

وفي نار الهجير في الدنيا يقول الله تعالى عن المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك؛ لشدة الحر - زعموا - : ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ

(١) متفق عليه.

يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿التوبة ٨١﴾.

قال رسول الله ﷺ: (اشتكت النار إلى ربها، فقالت: رب أكل بعضي- بعضا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير) (١).

أيها المسلمون! حينما يجد الإنسان الحكيم شدة حرارة الدنيا لأيام معدودة يتذكر نار الآخرة فيسلك طرق السلامة منها، ويتنكب السبل الموصلة إليها، ويستعيذ بالله من لقاءها، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا سَأَلَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا قَالَتْ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ ادْخُلْهُ الْجَنَّةَ، وَلَا اسْتَجَارَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا قَالَتْ النَّارُ: اللَّهُمَّ اجْرِهِ) (٢).

وشدة الحر مذكرة أيضاً بالجنة؛ فإن أهل الجنة يدخلون الجنة في نصف النهار عند القيلولة وقت اشتداد الحر، قال تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان ٢٤]، قال النخعي: كانوا يرون أنه يُفرغ من حساب الناس يوم القيامة في نصف النهار، فيقبل هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار، وقال عكرمة: الساعة التي يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار هي الساعة التي تكون عند ارتفاع الضحى الأكبر إذا انقلب الناس إلى أهلهم للقيلولة.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد وابن حبان وأصحاب السنن ما عدا أبا داود، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

عباد الله! وشدة الحر تذكرنا بنعم الله علينا بما يسر- لنا من وسائل وأسباب تساعدنا على تعديل الجو الحار وتلطيفه، وقد عاش قبلنا خيارنا فما وجدوا ما وجدنا، ولا تنعموا تنعمنا، فعن أنس بن مالك قال: (كنا نصلي مع رسول الله ﷺ في شدة الحر، فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكّن جبهته من الأرض بسط ثوبه فسجد عليه)<sup>(١)</sup>. عن جابر بن عبد الله قال: (كنا نصلي مع رسول الله ﷺ الظهر فأخذ قبضة من حصى. في كفي أبرده ثم أحوله في كفي الآخر، فإذا سجدت وضعته لجهتي)<sup>(٢)</sup>.

وفي تلك الأجواء المتهبة شرع الله الرحيم بعباده الإبرادَ بالظهر أي: تأخير الصلاة حتى تخف الحرارة، قال رسول الله ﷺ: (إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة؛ فإن شدة الحر من فيح جهنم)<sup>(٣)</sup>.

أيها المسلمون! إن كثرة العناء والتعب، وتجرع المشقة والنصب في القيام بعبادة من العبادات التي شرعها الله ورضيها يكون أعظم أجرا، وأكثر فضلا، وقد قال رسول الله ﷺ لعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: (إن لك من الأجر على قدر نصبك)<sup>(٤)</sup>. ألا وإن من العبادات الشاقة في أيام الصيف: عبادة الصيام وإنما صارت شاقة؛ لشدة حرارة النهار وطوله، لكن السابقين إلى الخيرات، والراغبين في الأجور والحسنات، يتحملون المشقة في الدنيا ليجدوا الراحة في الآخرة، فرسولنا الكريم ﷺ كان يكثر الصيام في الصيف

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه النسائي، وهو حسن.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه الحاكم، وهو صحيح.

فعن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في اليوم الحار الشديد الحر، حتى إن الرجل ليضع يده على رأسه في شدة الحر، وما في القوم صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة<sup>(١)</sup>، قال أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (صوموا يوماً شديداً حره، لحر يوم النشور، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور. ومن حرص أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على الخير والأجر أنه كان يصوم في الصيف ويفطر في الشتاء، ووصى عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند موته ابنه عبد الله فقال له: عليك بخصال الإيمان، وسمى أولها: الصوم في شدة الحر، ولما حضرت معاذاً الوفاة كان يتأسف على الصيام في شدة الهواجر. فَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ما كان أرغبهم في الآخرة، وأزهدهم في الدنيا!. نزل الحجاج بهاء بين مكة والمدينة فدعا بغدائه ورأى أعرابياً فدعاه إلى الغداء معه فقال: دعاني من هو خير منك فأجبتة، قال: ومن هو؟ قال: الله تعالى دعاني إلى الصيام فصمت، قال: في هذا الحر الشديد! قال: نعم، ليوم أشد منه حراً. فهنيئاً للصائمين بعظم الأجر، الذين آثروا الجوائز الموعودة على الملذات الموجودة، ❀.. وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿الأنعام ٣٢﴾.

عباد الله! تحية إكبار وإعظام، وحروف ثناء وإجلال لأولئك النسوة العفيفات الكرييات اللاتي يحافظن على حجابهن وسترهن في شدة القيظ وعواء الهجير في فصل الصيف، إنما حبسهن عن إبداء المحاسن خوف العليم الخبير، والحياء وحب الحشمة طلباً للأجر، وخوفاً من الوزر، وحرصاً على الستر، خلافاً لتلك النساء اللاتي يختصرن

(١) رواه مسلم.

النور السائر من خطب المنابر

الحجاب ويتلاعبن به ويبدن ما أمر الله أن يخفى عن عيون الأجانب، فستان بين الفريقين: بين اللاتي يردن الله والدار الآخرة فتجشمن التحجب كما أمرت الشريعة، وبين أولئك اللاتي يفرحن بقدوم الصيف ليعرضن المحاسن والمفاتن دون رادع من حياء، ومانع من قريب غيور، ودون خوف من الذي لا تعذب عليه خفيات الصدور.

أيها المسلمون! في الصيف تضحك الأرض حينما تبكي السماء بالأطار وهطول الغيث المدرار، الذي يرحم الله به العباد والبلاد والشجر والدواب. فتبتسم به الأرض بعد عبوسها، وتكتسي. بعد عُريها، وتبتهج بعد شقائها، وتنتج بعد عقمها، وتحيا بعد موتها. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج ٦٣]، إن المطر مظهر كبير من مظاهر رحمة الله بعباده، ودليل بين على علمه بهم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى ٢٨]، وهو برهان ساطع على عجز المخلوقين وحاجتهم إلى خالقهم القادر على غوثهم وقضاء حوائجهم، فلوا أجذبوا وأقحطوا فلا مغيث لهم إلا الله، ولا ساقى لهم أحد سواه. قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ، أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ، لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة ٦٨-٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر ٢٢]، أي: ليست خزائنه عندكم بل نحن الخازنون له، ننزله متى شئنا.

إن نزول الغيث منحة كريمة، ونعمة عظيمة، من نعم الله على عباده تستحق

الشكر وحسن العبادة، وأن تنسب إلى الله لا إلى غيره من كوكب ونحوه. عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: (هل تدرّون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب)<sup>(١)</sup>. والسبب في هذا الحكم -يا عباد الله- أن من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فقد صرف أفعال الله إلى غيره، وهذا كفر.

عباد الله! إن هناك تهديدات بيئية تعلن عبر وسائل الإعلام المختلفة بأن البلاد أو بعض المحافظات مهددة بالجفاف، وتنظر إلى أسباب ذلك نظراً مادياً مجرداً، وكان الأولى بهذه الجهات أن تقول للناس: إن الأرض مهددة بالجفاف إذا جفت أرواحكم من الطاعات، وكثرت من الخلق المعاصي والسيئات، فعَمَّ الظلم، وانتشر الفساد، ومنعت الزكاة، وأكل المال الحرام كثيراً؛ فإن رسول الله ﷺ يقول: (خمس بخمس قالوا: يا رسول الله! وما خمس بخمس؟ قال: ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات، وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر)<sup>(٢)</sup>.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الطبراني وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

معشر المسلمين! هناك آداب وأحكام في فصل الصيف يحسن بالمسلم أن يتعلمها وأن يتعبد الله تعالى بما استطاع منها، فمن ذلك: أنه يستحب للمسلم عند نزول أول الغيث أن يصيب منه بعض بدنه، فعن أنس قال: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر، فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر، فقلنا: يا رسول الله! لم صنعت هذا؟ قال: لأنه حديث عهد بربه تعالى<sup>(١)</sup>. قال النووي رحمه الله: ومعناه: أن المطر رحمة وهي قريبة العهد بخلق الله تعالى لها، فيتبرك بها.

ومن الآداب: أن يقول المسلم عند نزول الغيث: اللهم صيباً نافعاً، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ (كان إذا رأى المطر قال: اللهم صيباً نافعاً)<sup>(٢)</sup>.

والصيب: هو السحاب ذو المطر، ومناسبة الدعاء بهذا في هذه الحال: أن المطر إذا لم يكن نافعاً فهو ضار، وقد يصير عذاباً ونقمة، بدل الرحمة والنعمة؛ فإن الله عذب بعض عباده العاصين له بالمطر، قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤].

ومن الآداب: أنه يستحب الدعاء بخيري الدنيا والآخرة أثناء نزول الغيث،

قال رسول الله ﷺ: (ثنتان ما تردان: الدعاء عند النداء، وتحت المطر)<sup>(٣)</sup>. قال الشافعي: وقد حفظت عن غير واحد طلب الإجابة عند نزول الغيث وإقامة الصلاة.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الحاكم، وهو حسن.

ويستحب للمؤذن أثناء المطر أن يقول في أذانه بدل حي على الصلاة: ألا صلوا في الرحال، أو صلوا في رحالكم، أو الصلاة في الرحال. وقد ثبت ذلك عن رسول الله في الصحيحين والسنن والمسانيد والمعاجم. وهذا رحمة من الله بعباده وتيسير عليهم.

أيها المسلمون! من الأحكام المهمة في فصل الصيف: الجمع بين الصلوات عند هطول المطر، فاعلموا أولاً: أن الأصل أن تؤدى كل صلاة في وقتها المحدد شرعاً، قال الله تعالى: ﴿... فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء ١٠٣]، ولكن الله لم يجعل في هذا الدين حرجاً وضيقاً على أهله، فخفف عنهم ما يشق عليهم ومن ذلك الجمع بين الصلوات في المطر. فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (جمع رسول الله ﷺ بين الظهر والعصر. والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف ولا مطر) وفي حديث وكيع قال: قلت لابن عباس: (لم فعل ذلك؟ قال: كي لا يخرج أمته) (١).

ثانياً: أجاز جمهور العلماء الجمع بين المغرب والعشاء بسبب المطر جمع تقديم، أي: تقدم صلاة العشاء فتصلى بعد المغرب مباشرة، وأما الجمع بين الظهر والعصر بسبب المطر فمنعه جمهور العلماء، وأجازه الشافعية في أحد القولين، ورواية عن أحمد، ومذهب الجمهور أرجح، إلا إذا وجدت المشقة نفسها التي توجد بين المغرب والعشاء فلا حرج حينئذ من الجمع بين الظهر والعصر، والله أعلم.

النور السائر من خطب المنابر

ثالثاً: لا يكون المطر عذراً للجمع إلا بشرط: أن يكون المطر غزيراً مستمراً، وأن يكون الجمع في مسجد الجماعة أو المصلى الذي تصلى فيه الصلوات الخمس، وعليه فلا يجوز الجمع في البيوت، ولا المساجد التابعة للمصانع أو الدوائر بحيث لا أثر للمطر على ذهابهم إلى الصلاة ورجوعهم منها؛ لأن العبرة بالمشقة فإذا انتفت فلا جمع.

رابعاً: قد يحصل -أحياناً- اختلاف بين الإمام والمصلين في قضية الجمع، فقد يرى الإمام عدم مشروعية الجمع، وقد يرى بعض المصلين خلاف رأيه، فالأولى بالمؤمنين أن يرضوا بما اختاره لهم إمامهم إذا كان فقيهاً أخذاً بالعزيمة، فإذا كثر الراغبون في الصلاة فليس للإمام أن ينكر عليهم إذا انتخبوا لهم إماماً يصلي بهم والعذر بالمطر صحيح قائم. حفظاً للمسجد من الشجار والنزاع.

خامساً: أما الجمع بين الجمعة والعصر، فالصحيح أنه لا يجوز؛ لأنه لم يثبت عن رسول الله ﷺ، ولا اختلاف الصلاتين من أوجه كثيرة ذكرها العلماء. والله أعلم.

ومن الأحكام المحتاج إليها في فصل الصيف: أن مياه الشوارع المصحوبة بطين التي تتطاير على الثياب أثناء المطر أو بعده ليست نجسة؛ فالأصل الطهارة ولا يخرج عن هذا الأصل إلى غيره إلا بيقين.

ومن الأحكام المحتاج إليها في فصل الصيف كذلك: استحباب الخروج للاستسقاء عند الجذب والقحط، بهيئة خاشعة وقلوب مقبلة تائبة، لعل الله أن يرحم عباده حينما يخرجون إلى الصلاة والدعاء تائبين منيبين بعد الإسراف في ارتكاب

الذنوب وإغصاب أرحم الراحمين.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر  
الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

## الخطبة الثانية

الحمد لمن يسند إليه كل حمد، إليه مرفوعاً بغير عد، والصلاة والسلام النبي محمد، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الراشدين، أما بعد:

عباد الله! إن حديثنا عن الصيف يجرنا إلى الحديث عن الكهرباء التي نفتقر إليها في جميع الفصول، ولكن الحاجة إليها تعظم في فصل الصيف خصوصاً في المحافظات الحارة.

فأقول: إن الكهرباء نعمة عظيمة علينا في هذا الزمن الذي أصبحت مكوناً من مكوناته وجزء كبيراً من حركته ونشاطه. ومنافعها كثيرة متعددة.

غير أن فصل الصيف يعظم فيه قدر الاحتياج إليها لحفظ الأطعمة والأشربة؛ لوجود شدة الحرارة، التي تسرع بالتلف إلى المأكولات والمشروبات، إضافة إلى كونها وسيلة من وسائل تعديل الجو وتلطيفه بالمكيفات والمراوح.

أيها المسلمون! إن عشاق الظلام لا يحبون رؤية النور والعيش فيه، ويكرهون أن تمتد خيوطه على آفاق البلاد، فراحوا يفجرون أعمدة الضياء ومطالع الأنوار، لتلبس البلد بعد ذلك وشاح الظلمات ساعات طويلة، وتخسر الدولة وشعبها أموالاً غزيرة، وجهوداً كثيرة.

كم جرت من كوارث وحوادث، ومظالم وجرائم، وكربات وآلام، وأوجاع

وأسقام، وكم عطلت من أعمال، وذهب من مال، جراء انطفاء الكهرباء.

فأين العقول من أولئك المفجرين والمتعاونين معهم، وأين الإيمان وحب الخير من قلوب أولئك المجرمين ومن يمولهم، يريدون أن يقتاتوا من دموع الناس ودمائهم، وأن تنالهم دعواتهم وشكاواهم إلى قاصم ظهور الجبارين، ومنصف المظلومين من الظلمة المتمادين.

وأين الحزم والردع من جهات الضبط حتى لا يتجرأ متجرأ على مثل هذه الأفعال المشينة التي صارت عقاباً جماعياً على الشعب كله.

فإلى الله المشتكى من يقظة المفسدين، وتناوم القادرين على ضبطهم وإزالة فسادهم.

ثم صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله...

## مشكلاتنا: أسبابها وعلاجها (١)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا وَجْهَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].  
 ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي رسول الله محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.  
 أيها الناس، ذكر بعض الأدباء أن قوماً خرجوا للصيد في يوم حارٍ فطردوا ضبعاً حتى ألجئوها إلى خباء أعرابي فاقتمته، فأجارها الأعرابي، وحال بينها وبينهم،

(١) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٤/٤/١٤٣٤هـ، ٢٠/٩/٢٠١٣م.

وجعل يطعمها ويسقيها اللبن، وبقيت عنده بخير حال، فبينما هو نائم إذ وثبت عليه فبقرت بطنه وشربت دمه ومضت هاربة، وجاء ابن عم له يطلبه، فإذا هو بقير، والتفت إلى موضع الضبع فلم يرها فقال: هي التي فعلت فعلتها، والله لأجدنها وأخذ كنانته واقتفى أثرها حتى أدركها ورماها فقتلها، وقال:

ومن يصنع المعروف في غير أهله      يلاق الذي لاقى مجير أم عامر  
أعدّها لما استجارت بيته      أحاليب ألبان اللقاح الدرائر  
وأسمنها حتى إذا ما تمكّنت      فرتنه بأنياب لها وأظافر  
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من      يجود بمعروف إلى غير شاكر

أيها المسلمون، إن المشكلة يسهل علاجها ما دامت في بداية أمرها، فإذا تُركت وغفل عنها تمكنت وتجدرت وتكاثرت وتوالدت، فيصعب عند ذلك حلها ويعسر قلعها.

فلو أن هذا الأعرابي- لما أراد حماية الضبع حينما استجارت به من الصيادين- منعهم منها حتى إذا ذهبوا طردها عن خبائه لكان في سلامة من أذاها، لكنه آوى إليه المشكلة ورعاها بيديه حتى قضت عليه.

إن المشكلات- أياً كانت عامة أو خاصة، داخلية أو خارجية- إذا لم تُتلافَ عند ورودها استفحلت وتعاضمت، فتضاعفت عند ذلك جهود طردها وإزهاؤها؛ ولذلك يقول الفقهاء: "الدفع أولى من الرفع"، ويقول الأطباء: "الوقاية خير من العلاج".

النور السائر من خطب المنابر

عباد الله، لو رجعنا إلى بداية أمر العالم لوجدنا أن المشكلة عنصر مصاحب للخلق منذ نشأتهم على يدي أبوي المكلفين، وهما مازالا في السماء.

فقد كانت مشكلة أبي الجن إبليس هي الشبهة التي قامت على الحسد والعُجب، فولدت الاستكبار والعداوة، وسأقت صاحبها إلى الطرد من رحمة الله تعالى الذي آل قسمه ووعيده بإغواء ذرية آدم وعدائهم.

وأما أبو الإنس آدم عليه السلام فكانت مشكلته هي الشهوة التي قادتته إلى الأكل من الشجرة التي منع الأكل منها، فكانت سبب خروجه من الجنة. لكنه تاب إلى ربه تعالى فتاب الله عليه؛ لتعلم ذريته أن حل المشكلة راجع إلى صلاح النفس برجوعها تائبة إلى خالقها،

قال تعالى: ﴿فَلَقِيَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة ٣٧].

ومنذ ذلك الوقت انخرط عقد المشكلات، وبدأ الصراع بين الحق والباطل، فخلقت سنة المدافعة بين الخير والشر.

أيها الأحبة، إن المشكلة تنشأ بين الخلق بسبب تعارض المصالح واختلاف الأهواء والمعتقدات، وما حصل التنازع والحروب والفوضى إلا وهي تركز على هذه المنطلقات. والإنسان هو من يحدث المشكلة بنفسه إما بكسبه لوسائلها، وإما بغفلته عن طلائعها ووصولها إليه.

إن المشكلات في عصرنا الحاضر تطورت بتطوره، وتعقدت بتعقده، وامتدت

بامتداد آفاقه، واتسعت باتساع مجالاته.

وأغلب هذه المشكلات تنصب في بوتقة المسلمين وفي بلدانهم، حتى لقد ظهر في هذا الزمن القاتم فن صناعة المشكلات وتصديرها لبلاد المسلمين بعد ذلك. فإن وجدت مشكلة بين المسلمين سلط الأعداء عليها الأضواء ومدوا مداها، وخلقوا فيها مشكلات جديدة حتى تتكاثر وتستمر، فإن لم يكن لدى المسلمين مشكلة صنعوا لهم مشكلة جديدة ليقبوا سابحين فيها باحثين عن شواطئ السلامة؛ حتى لا يفكروا بالعدو الذي يترصد بهم، وهذا من الحرب الناعمة التي انتهجها أعداء الإسلام من غير تكاليف بشرية أو مادية يخسرونها.

أيها المسلمون، هناك مشكلات كثيرة يعانيتها المسلمون اليوم: مشكلات داخلية، ومشكلات خارجية. وهذه المشكلات ترجع في الغالب إلى أربع مشكلات رئيسية:

الأولى: الجهل بدينهم، الذي جعلهم ينحون شريعة ربهم عن واقع حياتهم، ويقبلون بلهث وانشغال بديناهم التي أنستهم أمر دينهم.

والثانية: عدم التحاكم إلى القرآن والسنة فيما يجري بينهم، والثالثة: اختلافهم وفساد أنظمة الإدارة الحاكمة فيما بينهم، والرابعة: تبعيتهم لعدوهم، وانهمزامهم أمامه في كل ميدان، والنظر إليه بعين الإكبار والإجلال. ويمكن أن ترجع هذه المشكلات إلى مشكلتين هما: اتباع الشهوات، والتأثر بالشبهات.

أيها المسلمون، إن المشكلات لا بد أن تكون لها حلول وعلاج طال وقت الحل أم

النور السائر من خطب المنابر

قصر. والمشكلة العظيمة لا ينجع معها الحل الآني السريع، بل تحتاج إلى تأني واستيعاب للمشكلة حتى تعالج من جميع جوانبها. والعقلاء يسعون لحل مشكلاتهم بكل وسيلة ممكنة، ونحن المسلمون لو كانت لدينا نية صحيحة لحل مشكلاتنا لاستطعنا ذلك.

إن المشكلات الكبيرة تحتاج إلى جهود كبيرة، فلو قام كل مسلم بدوره بصدق لحلت مشكلاتنا؛ لأن هناك مشكلات ليست حلوها بأيدي الشعوب المسلمة، بل بأيدي حكامها وأصحاب القرار فيها، وهناك مشكلات حلوها بأيدي الحكام، بل بأيدي الشعوب نفسها. وهناك مشكلات حلوها بأيدي العلماء والخبراء والمتخصصين، وهناك مشكلات حلها بأيدي جميع المسلمين على اختلاف تخصصاتهم.

عباد الله، إن المبادرة للبحث عن الحلول هي أول طرق الحل؛ ولهذا كان أصحاب رسول الله إذا نزلت بهم مشكلة عامة أو خاصة بادروا إلى رسول الله ﷺ باحثين عن الحل.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۗ ﴾ [النساء: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۗ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۗ ﴾ [النساء: ٥٩].

إننا لو رجعنا إلى دين الله تعالى إلى الكتاب والسنة لنبحث عن حلول مشكلاتنا لوجدنا الحلول الناجحة؛ لأن هذا الدين هو الذي رضي الله لنا لإصلاح دنيانا وأخرانا، فلما ابتعدنا عنه كثرت مشكلاتنا، فلو رجعنا إليه لحلت كل المشكلات التي غرقنا فيها.

أيها الأخوة الكرام، مع تزايد المشكلات التي تحاصر المسلمين داخلياً وخارجياً إلا أن العزم الصادق عند المسلمين مازال ضعيفاً جداً؛ بسبب ضعف التمسك بالدين، ووجود المصالح الشخصية من استمرار الأزمات، وانتظار ما يتفضل به الغرب علينا من حلوله التي هي في الحقيقة تصعيد للمشكلات وبدائل شيطانية يريدون من ورائها استكمال حلق السيطرة علينا من كل جانب.

أيها المسلمون، من المشكلات الداخلية التي يعانها المسلمون: القلة والضعف، فالناظر لأحوال المسلمين اليوم يجدهم قلة ضعفاء أمام العدو المتجبر على اختلاف ملله، وزاد الطين بلة وجود الانقسامات الداخلية الحسية منها والمعنوية. لقد عانت طليعة الإسلام الأولى الضعف والقلة بين المشركين في مكة، فماذا كان حل هذه المشكلة عندهم؟ لقد نزلت الآيات القرآنية حاثّة على التكافل والتعاون والحب والإخاء، وزادها رسوله ﷺ بياناً بقوله وبفعله. بل حينما وصل رسول الله عليه الصلاة والسلام المدينة أقام بين المهاجرين والأنصار مبدأ الإخاء القائم على تقاسم السراء والضراء بينهم، فصاروا بهذا العلاج أمة واحدة وجسداً واحداً، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

النور السائر من خطب المنابر

قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران ١٠٣].

وقال رسول الله ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) (١).

وقال: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (٢).

فلو تكافل المسلمون وتعاونوا، وتراحموا وتعاطفوا لصاروا قوة مهيبة الجانب، فلا يتجرأ عليها عدو يستيبح حرمتها، قال النابغة:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له      وتتقي حومة المستأسد الحامي

عباد الله، ومن المشكلات: مشكلة الفقر والبطالة في كثير من بلدان المسلمين، حتى لقد صار يطلق على دول العالم الإسلامي: دول العالم الثالث؛ لفقرها وقلة تحضرها وتطورها، والحقيقة أن بلاد المسلمين بلاد غنية لو استثمرتها أيادٍ أمينة، ولكن مشكلة المشكلة أن خيراتها لتلك الدول الكفورية المتحضرة بأساليب مباشرة وغير مباشرة. فلو كان خيرها لها لقل الفقر والبطالة. هذا جانب، ومن جانب آخر فقد جاءت التشريعات الإسلامية الحكيمة بشرع فريضة الزكاة والحث على الصدقة والحث

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

على العمل والتكسب واستثمار خيرات الأرض. فالزكاة لو أخذت على من وجبت عليهم بقدرها وصرفت إلى مستحقيها كما ينبغي لقضي- على الفقر والبطالة، وتأتي الصدقات بعد ذلك محسنة ومتممة، وحينما تتوفر الأعمال ينطلق المسلم إلى التكسب والعمل.

ففي الزكاة قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَىٰ فَلَوْلَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠].

وفي الصدقة قال: ﴿ لَنْ نَّالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٩٢]. وقال: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وفي العمل قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥].

وقال رسول الله ﷺ: (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)<sup>(١)</sup>.

معشر- المسلمين، ومن المشكلات: مشكلة الاختلاف والتنازع، وهذه من أعظم

(١) رواه البخاري.

النور السائر من خطب المنابر

المشكلات الحاصلة بين المسلمين، فقد قضت على قوتهم وإخائهم، وعلى تطورهم وتقدمهم، وعلى تحرر قراراتهم، وعلى استمرار سيادتهم على غيرهم. لقد صارت اليوم منطقة العالم الإسلامي والشرق الأوسط خصوصاً منطقة الصراعات الداخلية، والحروب الأهلية التي لا تنتهي، حتى لقد شكلت مادة إعلامية خصبة في وكالات الأنباء العالمية؛ حتى يقلوا غير المسلمين: انظروا ماذا يصنع المسلمون، وماذا يدور في بلدانهم!!؛ من أجل الصد عن دين الله تعالى.

هذه المشكلة تعالج بتذكير المسلمين بالإسلام الذي جمعهم، والإخاء الذي ألفهم، والنتائج السيئة التي ولدها هذا الاختلاف والتنازع. لقد حدث اختلاف الصحابة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حينما أشعل أعداء الدين فتيل التنازع بينهم دون أن يشعروا، لكن انظروا كيف عالج رسول الله المشكلة: "قال ابن إسحاق: مرّ شاس بن قيس - وكان شيخاً يهودياً قد عسا، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم - على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه، فغاضه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملاً بني قيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتي شاباً من يهود كان معه، فقال: اعمد إليهم، فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بُعث وما كان من قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، وتنازعوا وتفاخروا حتى تواتب رجلان من الحيين على الركب

فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها الآن جَدَعَة . يعني الاستعداد لإحياء الحرب الأهلية التي كانت بينهم . وغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة . والظاهرة: الحرّة . السلاح السلاح، فخرجوا إليها، وكادت تنشب الحرب . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال: (يا معشر المسلمين، الله الله، أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم)؟!!

فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس ."

وما أشبه الليلة بالبارحة، فاليهود والنصارى وأولياؤهم اليوم يسيرون على منوال شاس بن قيس في تأجيج الصراع بين المسلمين، فهلا استيقظنا فعرنا مكر عدونا؟!

عباد الله، ومن المشكلات: مشكلة التعدي على الحقوق من النفس والمال والعرض، وهذه أم الجرائم التي تلد جرائم أخرى، فيعيش الناس في ظلها في خوف وقلق، وركود عن الإنتاج والعمل . لقد حصلت السرقة في عهد رسول الله صلى عليه وسلم فقطع يد السارق، وحصل الزنا فجلد البكر ورجم المحصن، وحصلت أعمال توجب القصاص فقتل رسول الله أهلها، فعاش المجتمع بعد هذا العلاج آمناً على نفسه وماله وعرضه . فلو طبقت حدود الله على أهلها كيف سيكون المجتمع! . إن

النور السائر من خطب المنابر

إقامة حدود الله على أصحابها صام أمان للناس، وحصن حصين يصد عنهم سطوة الباغين وشرارة المفسدين.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لحد يقام في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا ثلاثين صباحاً)<sup>(١)</sup>.

ومن المشكلات العظيمة: مشكلة الأيدي الخفية التي تعبت داخل البلاد الإسلامية، وتصير عيوناً للأعداء، فهناك قوم لم يخالط الإيمان قلوبهم قد مرقوا من الدين؛ حباً للعالمية وكرهية لتعاليم الإسلام، وطمعاً فيما ينالونه من أعداء الدين مكافأة على عملهم الخبيث في نقل أسرار المسلمين وإيجاد الاضطرابات بينهم، إنها مشكلة النفاق والمنافقين. وهذا ليس غريباً فقد حصل ذلك في المجتمع المدني أيام رسول الله، فواجههم رسول الله بالصبر والحلم والحذر واليقظة، والردع والزجر، وعدم توليتهم مناصب تأثير في المجتمع الإسلامي.

لقد تطور بالمنافقين الحقد في عهد رسول الله فعزموا على بناء مقر لاستقبال أعداء الإسلام في المدينة وسموه خداعاً مسجداً، فجاء الوحي رسول الله ليخبره بعمل المنافين مسجد الضرار، فأمر رسول الله بهدمه وحرقه.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ

(١) رواه أحمد وابن حبان والطبراني، وهو حسن.

لَكَذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا نَقْمَ فِيهِ أَبَدًا لَمَسَّجِدٍ أُتِيَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ  
 فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِروا لِلَّهِ يَحِبُّونَ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨].

وفي في بلاد المسلمين اليوم أوكار للفساد المتنوع بين المسلمين، تعمل لتنفيذ أهداف خارجية لزعة المجتمعات المسلمة، أفلا ينبغي أن يصير مآلها مآل مسجد الضرار بعد أن تبين خطرها وضررها على البلاد والعباد؟! نسأل الله أن يصلح أحوالنا ويعيننا على حل مشكلاتنا.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:  
أيها المسلمون، تلکم المشكلات الداخلية وعلاجها، أما المشكلات الخارجية،  
فمنها:

مشكلة شدة الإيذاء والتضييق على الإسلام والمسلمين في بعض البلدان التي  
يمثل فيها المسلمون أقلية، فكم يواجه المسلم الحريص على التمسك بدينه من تضييق  
وصعوبات، حتى صار غريباً في المجتمع. بل العجيب أنه يواجه هذه الغربة في بلاد  
المسلمين، وقد يجد من السعة والفسحة في خارجها ما لا يجده فيها. عن ابن عمر  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: (إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى  
للغرباء)<sup>(١)</sup>.

لقد كان التضييق على أشده على الثلة المؤمنة الأولى في مكة، فعالجها رسول الله  
بالصبر والتصبير، والتفاؤل والتبشير، والهجرة. يمر على أسرة ياسر فيقول: (صبراً آل  
ياسر، فإن موعدكم الجنة).

وعن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في  
ظل الكعبة قلنا له ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ قال (كان الرجل فيمن قبلكم يحفر  
له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده

(١) رواه مسلم وأحمد.

ذلك عن دينه. ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون<sup>(١)</sup>.

عباد الله، ومن المشكلات: التهديد والوعيد من قبل أعداء الله، فكم يتوعدون المسلمين ويتهددونهم بالاستئصال والحروب المتنوعة، ويسخرون إعلامهم الواسع في ذلك، لقد حصل مثل هذا لرسول الله وأصحابه، فعالج رسول الله ذلك بإعداد العدة وتربية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى الثِّقَةِ بِاللَّهِ وَالْيَقِينَ بِحِمَايَتِهِ وَنَصْرِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا نُنْصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

وقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَابِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقال: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [١٧٣] فَاَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا

رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ [آل عمران ١٧٣-١٧٤].

ومن المشكلات الكبيرة: مشكلة حرب المسلمين والاعتداء عليهم، وهذه المشكلة التي تبكي العيون وتدمي القلوب حينما يرى المسلم الغيور على دينه المحب لإخوانه أعداء الله يتعدون على ديار المسلمين ويقتلون مئات الآلاف بل الملايين من المسلمين والشعوب المسلمة تفرج، أو تندد وتعدد القمم والمؤتمرات التي لا تجدي في الأمر شيئاً، وقد قال العرب في الأمثال: "الحديد بالحديد يُفْلَح"، وقالوا أيضاً: "ادفع الشر بمثله إذا أعياك غيره"؛ فإنه لا يوقف العدوان إلا القوة، فلا مكان للضعفاء بين العالم. ولذلك قام رسول الله والخلفاء الصالحون من بعده بإعداد الجيوش والدفاع عن بيضة الإسلام وفتح البلدان وكبح جماح كل من يطمع في غزو بلاد المسلمين والاعتداء عليهم.

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

هذا وصلوا وسلموا على النبي الكريم...

## الثقة بالله تعالى (١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَانْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأفضل الهدي هدي محمد رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

أيها المسلمون، إن تعلق العبد بخالقه ومعبوده سبحانه وتعالى مطلب من مطالب العبودية لله تعالى، وعلى قدره يكون تأييد الله تعالى ونصره وقربه وعونه لعبده.

(١) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٢٠/١٠/١٤٣٣ هـ، الموافق ٧/٩/٢٠١٢ م.

النور السائر من خطب المنابر

وحينما ابتعد كثير من المسلمين في الأزمنة المتأخرة عن كثير من تعاليم دينهم وشريعة ربهم وحلت بهم الخطوب والبلايا نظروا أثناء ذلك إلى البشر- آملين أن ينجدوهم من مصائبهم، ولم يرجعوا إلى ربهم الذي بيده كل شيء. تعلقوا بخيوط العنكبوت ليخرجوا من هوتهم السحيقة وتركوا الحبل المتين الكفيل بإخراجهم من كل مأزق.

عباد الله، في زماننا كثر القلق، وتواردت الهموم، وادهمت الأحزان على بعض المسلمين عندما ينظر إلى حاله وحال سائر الناس.

لقد كثر تعلق المخلوق بالمخلوق فصار يخشاه ويرجوه، وربما باع دينه بعرض من الدنيا قليل.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "إن الرجل ليخرج من بيته ومعه دينه فيلقى الرجل وله إليه حاجة فيقول له: أنت كيت وكيت!- يثني عليه-؛ لعله أن يقضي. من حاجته شيئاً فيسخط الله عليه، فيرجع وما معه من دينه شيء".

فأين الثقة بالله تعالى والتوكل عليه وتفويض الأمر إليه؟

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۚ ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣]. وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۚ ﴿٤﴾﴾ [الطلاق: ٤].

قال ابن القيم: "أي: كافي من يثق به في نوائبه ومهاته، يكفيه كل ما أهمه، وكلما

كان العبد حسن الظن بالله حسن الرجاء له، صادق التوكل عليه، فإن الله لا يخيب أمله فيه ألبتة؛ فإنه سبحانه لا يخيب أمل آمل ولا يضيع عمل عامل، وعبر عن الثقة وحسن الظن بالسعة؛ فإنه لا أشرح للصدر ولا أوسع له بعد الإيمان من ثقته بالله ورجائه له وحسن ظنه به".

أيها الأحبة الكرام، إن الثقة بالله تعالى معراج وثيق يصل بين العبد وربّه، يصل به إلى المحبوبات والمرغوبات، وينجو به من المكروهات والمرهوبات.

والثقة بالله تعالى صرح شامخ في قلب المؤمن لا تهزه عواصف المصائب والمحن، بل تزيده شموخاً ورسوخاً، ولا يهدمه إلا سوء الظن بالله، والشك في حصول فرجه، وكثرة التعلق بالمخلوقين، وتناسي الخالق جل وعلا.

والثقة بالله تعالى اطمئنان قلبي لا يخالطه ريب، وتسليم مطلق لمن يصرف أمور خلقه وحده.

الوائق بالله يعتقد أن الله تعالى إذا حكم بحكم وقضى. أمراً فلا مرد لقضائه، ولا معقب لحكمه، فمن حكم الله له بحكم وقسم له بنصيب من الرزق أو الطاعة أو الحال أو العلم أو غير هفلا بد من حصوله له ومن لم يقسم له ذلك: فلا سبيل له إليه، فبهذا القدر يقعد عن منازعة الأقسام فما كان له منها فسوف يأتيه على ضعفه، وما لم يكن له منها فلن يناله بقوته.

عباد الله، إن الإنسان مهما بلغ من قوة الوسائل في الوصول إلى المطالب

النور السائر من خطب المنابر

والرغائب فإنه ضعيف عاجز؛ لأن الضعف وصف خلقي ملازم للإنسان منذ خلق إلى أن يموت.

قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٢٨).

وهذا يوجب على الإنسان أن يطلب القوة والقدرة على ما يريد من القوي المتين سبحانه وتعالى. وأن لا يركن إلى نفسه وقوته؛ لأنه لو فعل ذلك لكان الخسران والخذلان في انتظاره.

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يقضي عليه اجتهاده

أيها الأخوة الفضلاء، إن ما يجري في الكون لا يغيب عن علم الله العليم الخبير، وقد يكون شراً في ظاهره، ولكن عواقبه إلى الخير أقرب، والإنسان محدود العلم والقدرات فلا يدرك الخفايا والعواقب، لكن الواثق بالله تعالى يسلم قياد أمره إلى من يتصرف في خلقه بعلمه وقدرته ومشيتته؛ لأنه جل وعلا أعلم بما يصلحنا وينفعنا، واختياره لنا خير من اختيارنا لأنفسنا.

فأحسن الظن بالله -أيها المسلم- وثق به تسلم وتغنم. عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (إن الله جل وعلا يقول: أنا عند ظن عبدي بي: إن ظن خيراً فله، وإن ظن شراً فله) (١).

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " ما أعطي عبد مؤمن شيئاً خيراً من حسن الظن بالله

(١) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح.

تعالى، والذي لا إله إلا هو لا يحسن عبد بالله الظن إلا أعطاه الله عز وجل ظنه، ذلك أن الخير في يده".

أيها المسلمون، إن الثقة بالله تعالى وسيلة نجاح يحتاجها المسلم في كل المجالات المشروعة، فيحتاجها في تحصيل الرزق، حيث يمشي- في مناكب الأرض، ويسعى في جوانبها طالباً رزق الرزاق الكريم مما أحله الله له، معتقداً أن الرزق من عند الله وحده، حتى صار قلبه معلقاً بالله دون غيره، وما سعيه إلا بذل للسبب الممكن، راضياً بما قسم الله له، فلا يحسد الناس إن زادوا عليه في الرزق؛ لأنه يعلم أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر بعلمه وحكمته ورحمته، وأن الغنى لا يدوم، والفقر لا يبقى. وبهذا الشعور يجد البركة في رزقه وإن قل، ويذوق طعم الراحة والاطمئنان.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

وقال تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

معشر المسلمين، ويحتاج المسلم الثقة بالله تعالى أيضاً عند المخاوف فيأمن بها من كيد أعدائه ومكر الماكرين به، فما دام من أهل الطاعة والاستقامة فليثق بأن الله تعالى يدافع عن الذين آمنوا، وأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

النور السائر من خطب المنابر

لقد كان أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام واثقين بالله تعالى ثقة لم تزعزعها رياح الابتلاءات وأعاصير الرزايا، فكان ذلك من أسباب نجاتهم ونصر الله لهم.

يقول تعالى عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿وَأْتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوُّوْا إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِبَايَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ عِمَّةً تُمْ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۗ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَعْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۗ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يونس: ٧١-٧٣].

إنها كلمات مشرقة بالثقة بالله تعالى وتحدي أعدائه الذين كانت عاقبتهم الزوال، وعاقبة نوح ومن معه من المؤمنين النجاة والسلامة.

ويقول جل وعلا عن نبيه هود عليه السلام: ﴿إِنْ تَقُولُ إِلَّا أَعْتَرْنَاكَ بِبَعْضِ آيَاتِنَا يَسُوءُ ۗ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ بِاللَّهِ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ ۗ فَكِيدُوا فِي جَمِيعَاتِكُمْ وَلَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ءَعَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾ [هود: ٥٤-٥٦، ٥٩].

وهذا خليل الله إبراهيم عليه السلام الذي ألقى به قومه المشركون في النار فوثق

بالله وفوض أمره إليه فنجاه الله تعالى.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَبَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [١٧٣] ﴿آل عمران: ١٧٣﴾<sup>(١)</sup>.

قال تعالى في نجاة إبراهيم عليه السلام: ﴿قُلْنَا نَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَّمًا عَلَيَّ إِبرَاهِيمَ﴾ [٦١] ﴿الأنبياء: ٦٩﴾.

وقال في نجاة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مَنَ اللَّهِ وَفَضْلِ لَّمْ يَمَسَّ سُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [١٧٤] ﴿آل عمران: ١٧٤﴾.

وقال تعالى عن كليمة موسى عليه السلام حينما خرج ببني إسرائيل من مصر- والبحر أمامهم والعدو خلفهم: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرَكُونَ﴾ [٦١] ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [٦٢] ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [٦٣] ﴿وَأَرْزَلْنَا نَمَّ الْأَخْرِينَ﴾ [٦٤] ﴿وَأَجْبَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [٦٥] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْرِينَ﴾ [٦٦] ﴿الشعراء: ٦١-٦٤﴾.

عباد الله، إن البلاء إذا اشتد على أهل الإيمان قويت ثقتهم بالله تعالى ولم تضعف.

\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

فهذا الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يعقوب عليه السلام قد فقد حبيبه وقرّة عينه: يوسف عليه السلام، ثم فقد بعده الحبيب الثاني بنيامين، فاشتد عليه الحزن حتى فقد حبيبته أي: عينه على فقد ولديه الكريمين، ومع هذا كله لم يفقد ثقته بالله تعالى ولم يقنط ولم ييأس، بل قال لأولاده: ﴿يَبْنَىٰ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكٰفِرُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ [يوسف: ٨٧].

فرد الله عليه بصره ورد إليه ولديه الحبيين. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩١﴾ قَالُوا يَا بَنِيَّ إِنَّا كُنَّا نُؤْتِبِنَا إِنَّا كُنَّا نَحْنُ الْكٰفِرِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا بَنَاتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُ لَكُمْ رِجْلًا حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴿١٠٠﴾ [يوسف: ٩٦-١٠٠].

معشر-المسلمين، إن نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام كان على جانب كبير من الثقة بالله تعالى في حمايته له ونصرة ما جاء به ورفعته من اتبعه.

فإن أبا طالب-كما ورد في السيرة- حينما رغب رسول الله عليه الصلاة والسلام في عرض قريش عليه بعض متاع الدنيا على أن يترك ما جاء به، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: "والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته لشيء". فحماه الله من كيدهم فخرج مهاجراً من بين أيديهم، حتى



وصل غار ثور ثم المدينة النبوية. قال تعالى: ﴿إِلَّا نُنْصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة: ٤٠].

قال له صاحبه ورفيقه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما) (١).

وفي يوم من الأيام خرج رسول الله ﷺ مع بعض أصحابه فاتفقوا يستظلون تحت الشجر من حر الحجير، فإذا عنده أعرابي جالس فقال رسول الله ﷺ: (إن هذا اخترط سيفي، وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فما هو ذا جالس). ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ (٢).

أيها المسلمون، لقد ضربت المرأة المسلمة أيضاً أمثلة رائعة من الثقة بالله تعالى، فما هي أم إسماعيل عليهما السلام حينما وضعها إبراهيم عليه السلام في مكة بوادٍ غير ذي زرع بلا أنيس ولا شيء قالت وهو يودعها وابنها: (يا إبراهيم، أين تذهب وتركننا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يتلفت

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

إليها، فقالت له: آله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا<sup>(١)</sup>.

فحسن بعد ذلك حال هذه الأسرة المؤمنة هناك وجاءها القوت والجيران الصالحون.

وهذه أم موسى عليها السلام أيضاً تضرب مثلاً آخر في الثقة بالله تعالى، فهي لما خافت على ولدها من ذبح فرعون ألهمها الله تعالى أن تلقي فلذة كبدها في الماء الذي هو مظنة الهلاك المحقق، ثم لو سلم فلا تدري إلى أين سيأخذه الماء! لكن الله تعالى ألهمها أن تلقي موسى الرضيع في اليم، فلثقتها بالله تعالى وبوعده الذي وعدها برده ألقته وانتظرت تحقق وعد الله الذي لا يخلف الميعاد، فرجع إليها سالماً غانماً الإكرام والمكانة المرموقة لأسرته لدى فرعون.

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَأَلْقَتْهُ ۖ ءَالَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِئِذَا لَأَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَدَرِيًّا ۗ إِن كَادَتْ لِنُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لِأُخْتِي ۖ قُصِّيه ۖ فَبَصَّرْتِ بِهِ ۖ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ

لَهُ نَصْحُونُ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ [القصص: ٧-١٣].

عباد الله، إن الثقة بالله تعالى لا تعني تعطيل الأسباب، وانتظار القدر المنجي بدون سعي وعمل لجلب المرغوب ودفع المرهوب.

وإنما الثقة بالله تعالى تعني: أن تفوض أمرك إليه وتعلق قلبك به، وتتوكل في أمرك كله عليه، وتبذل ما في قدرتك ووسعك من الأسباب لتحصيل المحبوبات ودفع المكروهات.

ولذلك قال نبي الله ﷺ: (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً)<sup>(١)</sup>.

فذكر عليه الصلاة والسلام أن الطير تخرج من أوكارها لطلب الرزق ولا تبقى فيها.

أيها الأحبة الكرام، إن الخطأ كل الخطأ في فهم هذا الأمر لدى طائفتين من الناس: الطائفة الأولى: اتجهوا إلى العمل بالأسباب واثقين بأنفسهم وما عندهم من القدرة، وتركوا الاعتماد على الله تعالى. وهذا تخلُّ عن الله ووثوق بالنفس، ومن توكل على غير الله وكله الله إلى من توكل عليه، وليس له عند ذلك إلا الدم والخسارة.

والطائفة الأخرى: وثقت بالله ثقة مغلوبة بحيث انفصلوا معها عن العمل

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان، وهو صحيح.



النور السائر من خطب المنابر

بالأسباب وقعدوا ينتظرون. وهذا هو التواكل الذي يذمه العقل والشرع.  
وكلتا الطائفتين على خطأ، والصواب هو تعليق القلب بالله تعالى وفعل ما  
يستطاع من الأسباب الممكنة المشروعة.  
نسأل الله تعالى أن يبصرنا بديننا، وأن ينمي في قلوبنا الثقة بربنا، وأن يصلح بذلك  
جميع أحوالنا.  
أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

## الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه الأخيار الأوفياء، أما بعد:

أيها المسلمون، إن الواقع الذي يعيشه كثير من المسلمين اليوم -شعوباً وحكومات، أفراداً وجماعات- واقع مريب، أوصل بعض الناس إلى شيء من الإحباط وضعف الثقة بالله تعالى الذي بيده مقاليد أمور الخلق.

فاحتاج هؤلاء -بل نحتاج جميعاً- إلى وسائل تجذر الثقة بالله تعالى والركون عليه وحده في قلوبنا الذي هو خالقنا ورازقنا، ومالك أمرنا كله وبيده حياتنا ومماتنا.

فمن تلك الوسائل التي تقوي الثقة بالله في قلب المسلم: العلم بالله تعالى عن طريق النظر والتفكير في أسمائه وصفاته، وفي مخلوقاته وصنعه عز وجل في خلقه، والعلم بقضائه وقدره وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ

مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: ١١].

وقال رسول الله ﷺ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضرّوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع

النور السائر من خطب المنابر

الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً<sup>(١)</sup>. وكذلك العلم بدين الله تعالى عن طريق القراءة في القرآن والسنة وسؤال العلماء الناصحين عما لم يفهم منها؛ فإن ذلك يورث المسلم البصيرة والنور في معضلات الحياة.

ومن وسائل تقوية الثقة بالله تعالى: التحلي بالصبر؛ فإن الصبر مفتاح الفرج، وعلاج للألم، وبوابة للأمل، فمن صبر ظفر، فالحال السيئة لا تدوم، وتغيرها يسرع إليها أكثر من إسراعها لأهل العافية منها، وكلما اشتد الهم وتواترت المشقات آذنت بانفراج قريب كالليل الذي تتكاثف ظلماته عند اقتراب الفجر، فإذا وصل المسلم إلى اليقين بهذه الحقائق نمت الثقة في قلبه نماء راسخاً.

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٥-٦].

ومن الوسائل الناجعة لتقوية الثقة بالله تعالى: الإقبال على الله تعالى والتضرع بين يديه والإلحاح عليه بالدعاء؛ فإن المسلم إذا عاش مع الدعاء صادقاً فيه أكثر منه وثق قلبه واطمأنت نفسهن وقوي بالله وحده يقينه.

أيها المسلمون، إن الثقة بالله تعالى كنز عظيم، إذا ظفر به المسلم وصل إلى الراحة وذهاب القلق والهموم والغموم، وزاد إيمانه وكثر إحسانه، واستمر في اللجوء إلى الله تعالى، وانتصر على عدوه وغلب الماكرين به؛ لأن الثقة بالله تعالى من أمضى الأسلحة

(١) رواه أحمد والترمذي وغيرهما، وهو صحيح.

وأقوى العُدَد الناجحة.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ. عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

جاء عن بعض المفسرين أن من معاني القوة في الآية: الثقة بالله تعالى.

فعلينا-معشر-المسلمين- أن نكون واثقين بالله تعالى في إصلاح أحوالنا وذهاب  
الآمنا وتحقق آمالنا الحَيِّرة، فالليل المظلم عما قريب يدركه الفجر الصادق.

يا صاحب الهمِّ إن الهم منفرج      أبشر—بخير فإن الفارج الله  
إذا بليتَ فثق بالله وارض به      إن الذي يكشف البلوى هو الله

هذا وصلوا وسلموا على خير الأنبياء...

## الحفاظ على نعمة العقل (١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

وَسَاءَ ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ﷺ،  
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، اعلموا أن نعم الله علينا كثيرة، وآلاءه علينا غزيرة، وما زالت تتواصل بامتداد الأعمار وتواتر الأيام.

ألا وإن من أعظم نعم المنعم الكريم علينا: نعمة العقل الذي ميزنا به عن سائر الحيوان، فصرنا بها ندرك المنافع من المضار، والخير من الشر- في أمر المعاش وأمر

(١) ألقى في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٩/٨/١٤٣٤هـ، الموافق ٢٨/٦/٢٠١٣م.

## المعاد.

فالعقل أساس الأعمال وينبوعها، والمميز بين الأشياء ومرجعها؛ ولذلك كان مناط التكليف الإلهي في الإنسان، فإذا وجد وجد التكليف وإذا انعدم انعدم به التكليف، فلا تكليف على قاصر حتى يبلغ، ولا على مجنون حتى يعقل.

قال رسول الله ﷺ: (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الغلام حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يفيق)<sup>(١)</sup>.

وإذا أردت أن تعرف-أيها الإنسان- فضل الله عليك بهذه النعمة فانظر إلى من فقدوها كالمجنون أو أصحاب الأمراض العقلية، فالحمد لله على نعمته ونسأله المزيد من فضله، وأن تكون هبته سائقة لنا إلى شكره وحسن عبادته.

ومما يبين لنا عظم هذه النعمة وأهميتها في الشريعة الإسلامية: أن الجناية على العقل حتى يخرج عن حد التكليف توجب الدية كاملة كدية النفس؛ لأن العقل أشرف المعاني والأعضاء، وهو من أعظم آلات السعادة وصلاح الحياة.

أيها المسلمون، إن العقل عند العقلاء ينقسم إلى قسمين: الأول: العقل الغريزي، وهو العقل المشترك بين العقلاء. والثاني: العقل الاكتسابي، وهو ما يكتسب من تجارب الزمان ووقائعه.

والعقل الغريزي لا يبلغ غاية الكمال إلا بمعاونة العقل المكتسب كالنار والخطب،

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن حبان وغيرهم، وهو صحيح.

\_\_\_\_\_ النور السائر من خطب المنابر

وذلك أن العقل الغريزي آلة، والمكتسب مادة، وإنما الأدب عقل غيرك تزيده إلى عقلك.

وأما العقل المكتسب فإنه لا ينفك عن العقل الغريزي، وقد ينفك العقل الغريزي عن المكتسب فيكون صاحبه مسلوب الفضائل موفور الرذائل، وبهذا يتمايز العقلاء، ويعرف الألباء من الجهلاء.

أيها العقلاء، إن العقل نور يهدي صاحبه إلى محاسن الأقوال والأفعال، وكم من إنسان يتصرف تصرف المجانين والبهائم، بحيث يعيش لشهواته ونزواته وأهوائه واعتدائه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَانُوا لَآتَعْلَمِينَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ولقد خلق الله الإنسان وخلق له العقل ليتدبر الأمور ويحسن التصرفات، ويعرف قيمة الحياة الفانية وقيمة الحياة الباقية. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ [النحل: ٧٨].

وقد أدرك العقلاء فضل العقل وأهميته، فقال بعض السلف: " ما أوتي رجل بعد الإيمان بالله عز وجل خيراً من العقل ". وقال بعضهم: " مروءة الإنسان عقله ".



وقال آخر:

يُعَدُّ رَفِيعَ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا  
وإن لم يكن في قومه بحسب  
وإن حلَّ أرضاً عاش فيها بعقله  
وما عاقل في بلدة بغريب

وقال بعضهم:

وأفضل قَسَمِ اللَّهِ للمرء عقله  
وليس من الخيرات شيء يقاربه  
ويزري به في الناس قلة عقله  
وإن كرمت أعراقه ومناسبه

عباد الله، إن العقل الصحيح النافع يقود صاحبه إلى معرفة خالقه والعمل  
بشرائعه، والسير على الطريق التي جعلها سبيلاً موصلة إليه، يعرف من أين جاء ولماذا  
جاء وإلى أين المصير.

والعقل الصحيح هو المستفيد من آيات الله تعالى المسطورة، وآياته المنشورة على  
هذا الكون؛ لتهديه - حينما يشاهدها ويتفكر فيها- إلى الصراط المستقيم.

وهذا العقل هو اللب والنهي الذي أثنى الله على أصحابه في كتابه العزيز، وبين  
أنهم هم المستفيدون من آيات الله ومن العظات والعبر في هذه الحياة.

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا  
وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي  
تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ

\_\_\_\_\_ النور السائر من خطب المنابر

فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ  
يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقال: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ [طه: ٥٤].

أيها الأحبة الكرام، هناك عقول ذكية وألباب مشرقة، لكن على مصالح الدنيا فحسب، فهذه عقول مظلمة في مصالح الآخرة ربحت في الدنيا لكنها خسرت الآخرة. كم من ذكي ألمعي، ومخترع عبقري هداه عقله الفطري وذكاءه الخارق إلى مجاهل ومسالك في الدنيا لم يصل إليها أحد قبله، فصار صاحب اكتشافات وحقائق ونظريات، وأوصله عقله وذكاءه إلى مقامات رفيعة في الدنيا، لكنه لم يوصله إلى خالقه ويعرفه الدين الحق، فماذا استفاد من عقله وذكائه عند ربه؟!

وكم من إنسان مسلم بصير بمصالح الدنيا ذكي في تحصيل منافعها ودفع مضارها بعقله الخصب وذكائه الوقاد. غير أنه لم يستغل هذا الذكاء في جلب مصالح الآخرة والإكثار منها، ولعله قد يصرف هذا الذكاء وطاقته العقلية الجبارة في المكر وإضرار إخوانه المسلمين.

فماذا استفاد من هذا العقل الذي لم يصرف إلى مصالح دينه وأسباب نجاته بين

يدي ربه؟!

عباد الله، إن العقل المدوح في الشرع له نتائج حسنة ومظاهر منبئة عن كماله واستقامته، تظهر على صاحب هذا العقل الحصيف في أقواله وأعماله وأحواله، فمن

تلك المظاهر الدالة على عقل صاحبها:

الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة؛ لأن الزاهدين الصادقين المتبعين عرفوا حقيقة الدنيا بحسن عقولهم فلم يركنوا إليها، وعرفوا حقيقة الآخرة فاستعدوا لها ورغبوا فيها.

فالعاقل من عقل عن الله أمره ونهيه، والزهاد منهم؛ ولهذا قال بعض علماء الشافعية: إن من أوصى بثلاث ماله لأعقل الناس فإنه يكون مصروفاً في الزهاد؛ لأنهم انقادوا للعقل ولم يغتروا بالأمل. فالزهاد أخذوا من الدنيا ما يكفيهم لبلوغ الآخرة، ولم تكن هذه الحياة هدفهم ومنتهم أمانهم فيصرفوا الزمن والجهد كليهما في خدمتها والانشغال بها، وإنما بغيتهم الحياة الأبدية في جنة عرضها السموات والأرض، هؤلاء هم العقلاء الفطناء والأذكياء النبهاء:

إن لله عباداً فطناء      طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا  
نظروا إليها فلما علموا      أنها ليست لحي وطننا  
جعلوها لجة واتخذوا      صالح الأعمال فيها سفناً

ومن علامات وجود العقل الصحيح عند الإنسان: الإقبال على المنافع والبعد عن المضار في أمر الدين والدنيا. فالإنسان العاقل يحرص على ما ينفعه، ويستعين بالله على تحصيله، ولا يعجز، وأعظم ما ينفع الإنسان في عيشه الأخروي: الإيمان والعمل الصالح. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتٍ

النور السائر من خطب المنابر

طَيِّبَةٌ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل: ٩٧]. وأعظم ما ينفع الإنسان في عيشه الدنيوي: أن يكون معافي في بدنه آمناً في بيته عنده قوت يومه، فإذا نال ذلك فقد حيزت له الدنيا كما أخبر بذلك نبينا عليه الصلاة والسلام.

فالعاقل من بني آدم يكدح في عمره كي يسلم من مضار الدنيا ويسلم من مضار الآخرة.

وكم من إنسان يجلب الشقاء على نفسه بجهله وحمقه، وتوانيه وغفلته، فلا يعود إليه عقله وصوابه إلا حين تنزل ببابه المكاره، وتحل عليه الخطوب، ويودع الدنيا ويتعلق بالأمل إلى الرجوع، ولكن ولات حين مناص، إذا هجم الأجل انقطع الأمل وذهب العمل.

ألا وإن مما ينفع الإنسان-يا عباد الله- أن ينشغل كل امرئ بنفسه مما يعنيه في أمر دنياه ودينه، ويصرف الوقت والجهد في ذلك، دون أن يقحم نفسه في شؤون غيره مما لا يعنيه.

قال رسول الله ﷺ: (إن من حسن إسلام المرء: تركه ما لا يعنيه)<sup>(١)</sup>.

ومما ينفع الإنسان: أن ينظم حياته الدينية والدنيوية، وأن يسير على خطط واقعية مرسومة بعيدة عن الفوضى والعشوائية، وأن يستفيد من أخطاء الماضي؛ لئلا يعود إليها في المستقبل، وأن يستفيد من مواعظ الأيام ومرور الزمان ومن تجارب الآخرين

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان وغيرهم، وهو صحيح.

وعقولهم؛ لتزداد فضائله وتنتظم أمور معاشه. وكتبُ المذكرات والذكريات الحياتية النافعة للشخصيات الصالحة، والتاريخ وأحداثه، والواقع ومجرياته معارف مغذية للعقول التي يريد أهلها أن تتشكل تشكلاً صحيحاً لتنتج نتائج صحيحة.

والعقل منظم الحياة، فإذا تشبع بمعارف صحيحة وإضاءات سليمة كانت مخرجاته وآثاره كذلك، والعكس بالعكس.

أيها المسلمون، إن العقل إذا اكتمل واستنار عند صاحبه أثمر له معرفة استغلال الفرص وكيفية الاستفادة منها؛ فقد أدرك بتجاربه وبتجارب غيره التي أضافها إلى عقله أن الفرص أطيا فتمر، وأنفاس تخرج وقد لا تعود مرة أخرى، فعندما يجد الفرصة أو يعيش فيها فإنه يستفرغ حاجته منها ولا تفارقه إلا وقد نال منها ما يريد.

فيا أيها المسلم العاقل عمرك فرصة، وفراغك فرصة، ورخاؤك فرصة، وأمنك فرصة، وقدرتك فرصة، وأمرك بيدك في بعض شؤونك فرصة، وامتلاك الوسائل الميسرة والمؤثرة فرصة؛ فلا تضيعن منك هذه الغنائم وتمر عليك وأنت نائم غير مكترث بها.

يا أهل الحجا، إن العقل إذا اكتمل واتسع عرف صاحبه كيف يخرج من المضائق، ويفك عنه قيد المآزق، وكيف يتعامل مع المواقف الشديدة التي تطيش فيها الأحلام، فينقُب عقله الوقاد جُدد الأزمات وحصونها العتيدة ليصل إلى مخارج من قبضتها وشقائها بالأسباب المباحة والوسائل الصحيحة المتاحة.

\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

فقبيل غزوة بدر خرج رسول الله عليه الصلاة والسلام مع أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يستطلعان أمر قريش، حتى وقفا على شيخ من العرب، فسألاه عن قريش، وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك، قال: أذاك بذاك؟ قال: نعم، قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قريش. فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ: نحن من ماء، ثم انصرف عنه. فظل الشيخ يقول: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟. فاستعمل رسول الله ﷺ التورية خروجاً من الكذب، ومحافظة على الأسرار الحربية.

أيها المسلمون، إن العقلاء من الناس: مسلمهم وكافرهم متفقون على وجوب حماية العقل من كل ما يخرجه عن الاستقامة الفطرية؛ حتى لا يصير سيء التصرف يجني به على نفسه وعلى غيره.

فلقد حافظ الإسلام على العقل البشري محافظة شديدة، واعتنى به اعتناء بالغاً؛ لأنه مناط استقامة دنيا الإنسان ودينه، وسبب للسلامة في المجتمعات.

فقد حرم على صاحبه كل المفسدات العقلية الحسية والمعنوية. فالمفسدات الحسية هي التي تؤدي إلى الإخلال بالعقل حتى يصبح الإنسان كالمجنون لا يعرف الضار من النافع، ولا الزوجة من الأم أو البنت. وهذه المفسدات العقلية الحسية هي الخمر

والمخدرات وما قام مقامها. وقد جاء النص على تحريم الخمر ويقاس عليه ما مثله في الإسكار أو زاد عليه أو نقص، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

وقال النبي ﷺ: (كل مسكر خمر، وكل خمر حرام) (١)

وقال رسول الله ﷺ: (إن الله لعن الخمر وعاصرها، ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وشاربها، وبائعها ومبتاعها وساقيتها ومسقاها) (٢).

عباد الله، إن آفة السكر هي أم الخبائث، ومفتاح كل شر، وبوابة الهلاك، فهل هناك إنسان عاقل يدخل نفسه إلى وادي الهلاك والخسارة؟.

هذه الآفة- معشر- العقلاء- قد تقضي- على الضرورات التي جاءت الشريعة لحمايتها. فكم حصل بسببها من سفك للدماء المعصومة، وانتهاك للأعراض المصونة- حتى على المحارم، وكم حصل بسببها من إتلاف للأموال الخاصة والعامة، وكم قضت على طاقات عقلية وعقول ناضجة، وأشقت من أسر سعيدة، وكم أذلت من عزيز، وأفقرت من غني، وأهانت من كريم، وصغرت من عظيم، وأمراضت من صحيح،

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد وابن حبان والطبراني والحاكم، وهو حسن.

النور السائر من خطب المنابر

وفرت بين الأقارب والأحبة والأصدقاء.

إن السكر-أيها العقلاء- إهلاك للفرد والمجتمع: إهلاك ديني، وإهلاك أخلاقي، وإهلاك اقتصادي، وإهلاك صحي ونفسي.. يتحدث العقلاء كلهم عن أضرارها ووجوب تجنبها على اختلاف أديانهم وتخصصاتهم العلمية.

إن الدول العالمية الكبرى كأمریکا حاربت الخمر وأنفقت في سبيل ذلك أموالاً وقدرات كثيرة، لكنها لم تفلح.

لكن الإسلام حينما ربي أهله على أساس الدين وغرس تعاليمه في نفوس معتنقيه لم يكن بحاجة إلى تلك الجهود الضخمة التي بذلتها تلك الدول، فالمسلم الصادق عندما يعلم أن السكر حرام في الإسلام ينكف ويتتهي دون أن يراجع أو يراوغ أو يتردد. فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (فإني لقائم أسقي أبا طلحة وفلاناً وفلاناً إذ جاء رجل فقال: وهل بلغكم الخبر؟ فقالوا: وما ذاك؟ قال: حرمت الخمر، فقالوا: أهرق هذه القلال يا أنس، قال: فما سألتها عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل). وهكذا يصنع التسليم لحكم الله تعالى.

عباد الله، إن الدولة في بلاد المسلمين عليها واجب عظيم تجاه هذه القضية الخطرة على أفرادها، وعلى استقرار شعبها يحتمه عليها الشرع الحنيف والمصلحة العامة. فمن مسؤوليتها: بث الوعي الديني والصحي والاجتماعي عن أخطار هذه الآفة عبر وسائل الإعلام المختلفة، وحجب كل الوسائل الإعلامية التي تسعى لترويجها ولتحسينها بين

الناس.

ومن مسؤوليتها: منع التجارة بها: استيراداً وعصراً وتصنيعاً وبيعاً وشراءً، وسن القوانين الرادعة للمخالفين ذلك.

ومن مسؤوليتها: مراقبة مظان وجودها وتعاطيها كالفنادق والمنتزهات وغيرها، وفرض العقوبات التعزيرية الصارمة على أصحاب هذه الأماكن التي تسهل للسكارى تناول السكر.

ومن مسؤوليتها: تطبيق حد الله تعالى على تناول المسكر: أربعين جلدة، وقد تزداد إلى ثمانين جلدة تعزيراً، وقد أقام هذا الحد على أهله رسول الله وخلفاؤه والأمراء العادلون بعد ذلك؛ فكان في ذلك ردع للناس عن أن يتناولوا هذه البلية. ولكن حينما عطل هذا الحد كما عطل غيره من حدود الله انتشرت الجريمة وعظمت المصيبة واتسع الخرق على الراقع.

أيها العقلاء الكرام، وأما المفسدات المعنوية فهي كل ما يطرأ على العقول من تصورات فاسدة في الدين أو السياسة أو الاجتماع أو غيرها، وهذه قد يكون بعضها أشد من الخمر والمخدرات.

فكل تصور يفسد العقل عن التفكير السليم، والفهم الصحيح، ويعكر تصوراته النقية التي يأمر بها دين الإسلام والخلق الكريم فإنه تصور يجب إبعاده عن العقول؛ لأنه داء قتال ومرض عضال.

النور السائر من خطب المنابر

وبسبب تطور وسائل التأثير والإعلام، ولجهل كثير من الناس بدين الإسلام وغلبة الشهوات على القلوب والشبهات على الأحلام انتشرت بعض الأفكار المشبوهة والآراء المسمومة في بعض العقول التي قلت أنوارها من مشكاة الشرع، فتقبلت الإلحاد والعلمنة، والرفض والزندقة، والشك والحيرة، فجانب الحق عندما تشربت تلك المفاهيم الخاطئة، وأفسدت أعمالها حينما أصبحت أسيرة تلك التصورات الهدامة حتى صار حال أصحابها كما قال أحدهم:

نهاية إقدام العقول عقال      وغاية سعي العالمين ضلال  
وأرواحنا في وحشة من جسمنا      وحاصل دنيانا أذى ووبال  
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا      سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

نسأل الله أن ينير عقولنا بنور كتابه، وأن يرزقنا الهداية والرشاد إلى مرضاته.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



## الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أكرمنا بالعقول؛ لندرك بها المنقول والمعقول، والصلاة والسلام على خير رسول محمد بن عبد الله الذي دلنا على معارج القبول وسبيل الوصول إلى أعظم مأمول، صلى الله عليه وعلى آله ذوي النفوس الزكية، والألباب النقية، وسلم تسليماً، أما بعد:

فيا أيها المسلمون، إن العقول إذا أظلمت وفسدت خلّفت آثاراً سيئة على أصحابها وعلى الناس.

فأصحاب العقول الناقصة المظلمة يتبعون أهواء أنفسهم الأمارة بالسوء، ويلبون رغباتها دون نظر إلى قبح ما يفعلون وجُرم ما يرتكبون.

واتباع الهوى وطاعة النفس في الشر من أعدى أعداء العقل.

إذا ما رأيت المرء يقتاده الهوى فقد ثكلته عند ذا كئواكله

وما يزع النفس اللجوج عن الهوى من الناس إلا حازمُ الرأي كامله

وإذا صار للهوى على الإنسان سلطان فقد ذهب العقل واندحر؛ لأن الهوى ملك غشوم ومتسلط ظلوم.

وأصحاب العقول القاصرة لا يفكرون إلا بملذات أجسادهم وشهواتها العاجلة، ويقولون:

إنما الدنيا طعام وشراب ومُــــدام

\_\_\_\_\_ النور السائر من خطب المنابر

فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام

وليس لديهم تفكير في أسباب النجاة في الآخرة، فهم في سكر الهوى والشهوة، فإذا جاءهم ملك الموت صحوا!.

وأصحاب العقول الصغيرة يجنون أن يستمتعوا بالإضرار بالآخرين وإيذائهم، وبالإفساد في الأرض وإذهاب السكينة والطمأنينة في المجتمع، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

عباد الله، هناك صنف من الناس ينسبون أنفسهم إلى الثقافة والتور والعقلانية، ويطلقون لعقولهم القاصرة العنان في شريعة الله فيعرضون ما جاء فيها على عقولهم فما قبلته أخذوه وما أبته رفضوه، فقدموا عقولهم الصغيرة الضعيفة على وحي الله: القرآن والسنة؟.

وأنتم تعلمون أن شرع الله معصوم، والعقول غير معصومة، وشرع الله واحد والعقول متعددة، والشرع متفق، والعقول مختلفة، فكيف تقدم العقول على المنقول بعد هذا؟!.

ولهذا فإن الذين قدموا العقل على نص الشارع الحكيم ضلوا وانحرفوا عن الصراط المستقيم، ولو كانت عقولهم سليمة لما وجدوا في شرع الله مطعناً؛ لأن العقل الصحيح لا يعارضه النقل الصريح.

أيها المسلمون، أخيراً أقول: ما واجبنا تجاه نعمة العقل الذي وهبه الله لنا؟

إن من واجبنا: أن نشكر الله تعالى على هذه النعمة ونستعملها في الفضائل ودحر الرذائل، وأن تكون لنا نوراً يهديننا إلى سبيل الله الذي يسعد سالكه في الدنيا والآخرة. وأن نحاول أن ننمي عقولنا، ونزيدها بالمعارف النافعة، والتجارب المشرقة. وأن نحافظ على هذه النعمة من مفسداتها الحسية والمعنوية، وأن نحصنها بالثقافة النظيفة والوعي الصحيح ضد الشبهات والشهوات.

وأن نعلم علم اليقين أن العقل البشري له حدوده التي ينبغي أن لا يتجاوزها بتفكيره؛ لأنه إذا سبح في غيره جوه تاه وتحير.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

## فصل الاستغفار (١)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا وَجْهَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أستغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد إليه القول والعمل

اللهم إن استغفارنا-مع إصرارنا- لكؤم، وإن تركنا الاستغفار-مع علمنا بسعة

(١) ألقى في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١١/٩/١٤٣٢هـ، الموافق ٧/١٠/٢٠١١م.

عفوك - لعجز، فكم تتحجب إلينا بالنعمة مع غناك عنا، وتبغض إليك بالمعاصي مع فقرنا إليك، يامن إذا وعد وفى، وإذا توعد تجاوز وعفا، أدخل عظيم جرمنا في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين.

عباد الله، حينما يتباعد الناس عن نور الرسالة تتسارع إليهم ظلمات الضلالة، فتسهل عليهم الخطيئة فينسونها أو يتناسونها، وقد يجاهرون بها، وحينئذ تدلهم عليهم الخطوب، وتتوالى الكروب، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

أيها المسلمون، إن حصول الأضرار، ونزول الأخطار، وارتحال النعمة، وحلول النقم ابتلاء من الله لعباده، ولعل هذا البلاء يردهم إلى باب الله خاضعين منكسرين.

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٤١] ﴿[الروم: ٤١].

أيها الأحبة الأفاضل، هل تذكرنا- ونحن نسير في هذه الحياة الرحيبة، ونواجه معضلاتها ومشكلاتها الخاصة والعامة - هل تذكرنا استغفار الغفور الغفار، وفكرنا في هذا السبيل للخروج من مضائق هذه الحياة؟

فرينا تبارك وتعالى يأمرنا باستغفاره، ويدعونا إلى المسارعة واللياذ بجواره فيقول: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩]. ويقول: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

فلماذا نرى أنفسنا متباطئين عن هذه الدعوة، وهي دعوة كريم رحيم؟!!

النور السائر من خطب المنابر

عباد الله، إذا أردنا المتاع الحسن والرزق الكافي والسعة المحمودة وكثرة الخيرات والبركات فلنركب سفينة الاستغفار فهي وسيلة النجاة إلى شواطئ السلامة والسعادة.

قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: ١٠-١٢].

خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يستسقي فما زاد على الاستغفار فقالوا: "يا أمير المؤمنين ما نراك استسقيت! فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر"، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وكان لأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مزرعة في البصرة أصابها قحط فقام فصلى ركعتين واستغفر. قالوا: "مالك؟ قال: أما سمعتم قول الله: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: ١٠-١٢]."

فما قام من مجلسه حتى أتت غمامة فطوقت مزرعته وأمطرت حتى سالت جداولها، وما جاوز الماء المزرعة.

أيها المسلمون، من شكا المرض فعليه بالاستغفار، ومن شكا الفقر فعليه بالاستغفار، ومن شكا قلة الولد فعليه بالاستغفار.

"جاء رجل إلى الحسن البصري رحمه الله يشكو الجذب فقال له: استغفر الله،

وجاءه رجل ثانٍ يشكو الفقر، فقال: استغفر الله، وجاءه ثالث يشكو العقم، فقال: استغفر الله، ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].

من شكا الضعف وقلة الأعوان والأنصار فليلذ بالاستغفار. قال تعالى عن نبيه هود عليه السلام: ﴿وَيَقَوْمٍ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢].

من استصعبت عليه الأمور وانغلت أمامه الأبواب والحيل فليلجأ إلى نور الاستغفار. قال ابن تيمية رحمه الله: "إنها لتعجم عليّ المسألة الواحدة فأستغفر الله ألف مرة أو أكثر فيفتحها الله عليّ".

من كثرت ذنوبه، وأحرقه لهيب معاصيه فليطهر من درن الأوزار بفرات الاستغفار.

عن زيد مولى النبي ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان فرًّا من الزحف) (١).

وحينما ألمّ ماعز رضي الله عنه بالفاحشة جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: (يا رسول الله، طهرني، فقال: ويحك! ارجع فاستغفر الله وتب إليه، قال ذلك ثلاث مرات) (٢).

(١) رواه أبو داود والترمذي، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

النور السائر من خطب المنابر

فيا عبد الله، إياك أن يغلبك الشيطان على فعل المعصية، ثم يغلبك على ترك الاستغفار منها فتهلك، فاستغفر الله وتب إليه تجد الله غفوراً رحيمًا. فهو سبحانه وتعالى يناديك في الحديث القدسي فيقول لك: (يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة)<sup>(١)</sup>.

هل وجد الخلق أكرم وأحلم من خالقهم سبحانه وتعالى وهم يعصونه صباح مساء، وهو يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها.

قيل للحسن البصري رحمه الله: "ألا يستحيي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود، ثم يستغفر ثم يعود، فقال: ودّ الشيطان لو ظفر منكم بهذه، فلا تملوا من الاستغفار".

وقال قتادة رحمه الله: "إن هذا القرآن يدلكم على دوائكم ودوائكم، فداؤكم الذنوب، ودواؤكم الاستغفار".

فأي عقل يجب صاحبه البقاء مع الداء ولا يتناول الدواء، وهو يُعرض عليه بدون مقابل!.

فأكثرُوا-يا عباد الله- من الاستغفار.

(١) رواه أحمد والترمذي والطبراني، وهو حسن.

قال لقمان رحمه الله لابنه: "يا بني، عود لسانك الاستغفار؛ فإن لله ساعات لا يرد فيهن سائلا".

فمن أحب أن تسره صحيفته يوم القيامة فليكثر من الاستغفار، قال النبي ﷺ: (طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا) (١).

أيها المسلمون، إن المسلم بحاجة كبيرة إلى الاستغفار الكثير خاصة النساء؛ فقد أمرهن رسول الله ﷺ بذلك فقال: (يامعشر. النساء، تصدقن وأكثرن من الاستغفار؛ فإني رأيتكن أكثر أهل النار) (٢).

عباد الله، إننا مهما قلّت ذنوبنا، ومهما بلغنا المراتب العالية في الصلاح والتقوى فنحن بحاجة إلى عبادة الاستغفار، ولنا قدوة بأعبد الناس وخيرهم وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فآدم عليه السلام عندما اقترب الخطيئة في السماء هبط بها إلى الأرض، فلم يرتفع بعد ذلك عند أهل السماء والأرض إلا عندما أناب واستغفر، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقال: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام -الذي قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر- كان يعدّ له في المجلس الواحد مائة مرة: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم (٣).

(١) رواه ابن ماجه، وهو صحيح.

(٢) رواه ابن ماجه، وهو صحيح.

(٣) رواه الأربعة، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

وقال رسول الله ﷺ: (إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة) (١).

لقد كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يطلب من الصبيان الاستغفار ويقول: "إنكم لم تذبوا"، وكان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول للغلمان: "قولوا: اللهم اغفر لأبي هريرة، ثم يؤمن على دعائهم".

انظروا- يا عباد الله- إلى حرصهم على الاستغفار مع أنهم قد بُشروا بالجنة وما زالوا يمشون على وجه الأرض.

معشر- المسلمين، لا ينبغي أن يكون استغفارنا في وقت دون وقت، أو مكان دون مكان، بل علينا أن نلهج بالاستغفار في جميع أوقاتنا وفي كل مكان يشرع فيه ذكر الله تعالى.

فأكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقكم وفي أسواقكم وفي مجالسكم؛ فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة، كما قال الحسن البصري رحمه الله.

أيها المسلم، إذا أصبحت فأكثر من الاستغفار، وإذا أمسيت فأكثر من الاستغفار، وإذا جئت إلى النوم فأكثر من الاستغفار.

وإذا ركبت فاستغفر الله؛ فرسول الله ﷺ كان إذا ركب دابة قال: (بسم الله، فإذا استوى على ظهرها قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له

مقرنين وإنما إلى ربنا لمنقلبون، ثم قال: الحمد لله. ثلاث مرات. ثم قال: الله أكبر. ثلاث مرات، ثم قال: سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت<sup>(١)</sup>.  
أيها الأحبة الكرام، لقد شرع الله لعباده الاستغفار في ختام الأعمال الصالحة؛ ليقبل العمل ويجبر الخلل.

ففي ختام الوضوء يقول المسلم: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين.  
وعندما ينصرف من صلاة الفريضة يستغفر الله ثلاثاً، ثم يقول بقية الأدعية.

وفي صلاة الليل يقول تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِقَوْلِ رَبِّكُمْ إِذَا اتَّعَسْتُمْ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا تَرْكَبُوا السَّيِّئَاتِ إِنَّهَا لَا تَأْكُلُ الرِّبَا وَلَا تَرْضَىٰ مِنَ اللَّهِ وَلَا تَرْضَىٰ اللَّهُ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٨﴾﴾

[الذاريات: ١٧-١٨].

ونعمت البشرية لأولئك العابدين المستغفرين في تلك الساعة بقوله تعالى في الحديث: (هل من سائل يعطى، هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له حتى حتى يطلع الفجر)<sup>(٢)</sup>.

وفي الحج يقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ

إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة: ١٩٩].

وبعد التضحيات العظيمة، والجهاد الطويل، والصعاب المتتابعة والانتصارات

(١) رواه الثلاثة وابن حبان، وهو صحيح.

(٢) رواه مسلم.

النور السائر من خطب المنابر

الإسلامية الممتدة يقول الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ﴾ ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۗ﴾ ﴿٣﴾ [النصر: ١-٣].

وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، قالت: فقلت: يا رسول الله، أراك تكثر من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه؟ فقال: خبرني ربي أي سأرى علامة في أمتي فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه فقد رأيتها: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ﴾ ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۗ﴾ ﴿٣﴾ [النصر: ١-٣] (١).

عباد الله، يجب على المسلم أن يكون صادقاً فيما يقول، فيقرن صدق القول بصدق الفعل، فالاستغفار النافع ما كان أوله العزم على الإقلاع عن الذنب والندم على اقترافه، ثم الاستجابة والإنابة والتوبة، فيجمع أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فهذا هو الاستغفار النافع.

أما ذكر اللسان بدون مطابقة الفعل واستقامة الطريق فإنه استغفار قد لا ينفع صاحبه. فإذا كان استغفارنا هكذا فاستغفارنا يحتاج إلى استغفار.

أستغفر الله من أستغفر الله      من لفظه بدرت خالفت معناها  
وكيف أرجو إجابات الدعاء وقد      سددت بالذنب عند الله مجراها

عباد الله، أحسن الاستغفار ما جمع الثناء على الله تعالى، والاعتراف بالفقر والحاجة إليه، وبنعمته على عبده، وجميل صنعه فيه، مع الدوام والاستمرار.

قال النبي ﷺ: (سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء لك بنعمتك وأبوء لك بذنبي؛ فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أعوذ بك من شر ما صنعت. إذا قال حين يمسي. فمات دخل الجنة أو كان من أهل الجنة، وإذا قال حين يصبح فمات من يومه)<sup>(١)</sup>.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.

---

(١) رواه البخاري.

## الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه،

أما بعد:

أيها المسلمون، إن نار الأخطار لا يطفئها إلا نور الاستغفار، فالاستغفار بوابة الفرج من الكروب العامة والخاصة، وهو الدليل إلى الحياة الهنية والعيش المطمئن.

في ظل هذه الأزمات التي نعانيها هل مر بنا قول الله تعالى فوقنا عنده: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

قال أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " كان لنا أمانان، ذهب أحدهما - وهو كون الرسول فينا - وبقي الاستغفار معنا، فإذا ذهب هلكنا".

فلو لزمنا الاستغفار - معشر - المسلمين - لم تجد الكروب والهموم عندنا مكاناً أو مقاماً.

روي عنه رضي الله عنه أنه قال: (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب) (١)

قال أحد الحكماء: " أنت لا تستطيع أن تمنع الطيور أن تحلق فوق رأسك، ولكنك تستطيع أن تمنعها أن تعشش فيه".

(١) رواه أبو داود وابن ماجه، وهو ضعيف.

قد نتساءل: ما سبب البلاء الذي حل بيننا ولم يرحل، والجواب ما قاله أحد الأعراب الحكماء حينما قيل له: ما للقطر لا ينزل في بلادكم؟ فقال: "لأننا هداًنا عن الاستغفار".

ولقد صدق في هذا الجواب الحصيف، فرحمة الرحيم الرحمن تنزل بدوم الاستغفار.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَنْقُورٌ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦].

وللإنسان العاقل أن يعجب من أحوالنا! كيف نعاني آلام البلاء، ونحن نعرف طريق النجاة منها ولا نسلكه!.

قال علي رضي الله عنه: "العجب ممن يهلك ومعه النجاة، قيل: وما هي؟ قال: الاستغفار".

وكان يقول: "ما ألهم الله عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه".

فاتقوا الله-يا عباد الله- والزموا الاستغفار فما أقرب الفرج وأدنى المخرج.

وفقنا الله لدوام الاستغفار، ورزقنا عاقبته الحسنة في الدنيا والآخرة.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

## مفاتيح الرزق<sup>(١)</sup>

الحمد لله الغني الوهاب، الكريم التواب، لا تغيظه نفقة بإعطاء، ولا تلحقه فاقة بإسداء؛ فله خزائن السموات والأرض، ويد الله ملأى، لا تغيظها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغيض ما في يده.

ولو أن العباد أولهم وآخرهم، وإنسهم وجنهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكه إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل في البحر. فسبحان الواسع المعطي!

وأشهد أن لا إله إلا الله الغني عن عباده وجميعهم إليه مفتقرون: ﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ  
أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد:

فأوصيكم -أيها الناس- ونفسي- بتقوى الله؛ فإنها العروة الوثقى، والعون الأقوى، قال الله تعالى: ﴿يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦].

عباد الله، إن الله خلق الخلق، وأسكنهم هذه الأرض وهم عاجزون عن كفاية

(١) أُلقيت في مسجد ابن تيمية في ٢٨/١٠/١٤٢٨ هـ.

أنفسهم، وإصلاح معاشهم، وبهم حاجة ملحة إلى بارئهم اختياراً واضطراً، لا يسدها أحد سواه.

فالفقر والحاجة، والعوز والفاقة أو صافهم الذاتية السرمدية، والغنى والوسع، والملك والعز أو صاف خالقهم الذاتية الأبدية، فلما خلقهم تكفل برزقهم وحده قبل وجودهم على هذه الأرض، ودخولهم بالحياة إليها، كما قال رسول الله ﷺ: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم تكون علقة مثل ذلك، ثم تكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله الملك فينفخ فيه الروح، ثم يؤمر بأربع كلمات: كتب رزقه، وعمله، وأجله، وشقي هو أم سعيد)<sup>(١)</sup>.

ولن يخرجوا عن الحياة بالموت حتى يستكملوا ما كتب لهم من ذلك الرزق، قال رسول الله ﷺ: (إن روح القدس نفث في روعي: أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله؛ فإن الله تعالى لا يُنال ما عنده إلا بطاعته)<sup>(٢)</sup>.

عباد الله، لقد كان من حكمة الله العليم الخبير أن يكون الناس صنفين: فقراء وأغنياء؛ وأن لا يكونوا صنفاً واحداً، ويبدو أن من حكمة ذلك: حصول تبادل المنافع بينهم، وتحقيق مقاصد الحياة الجماعية، قال تعالى: قال تعالى: ﴿أَمْ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ<sup>٤</sup> نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الحاكم وعبد الرزاق وغيرهما، وهو صحيح.

بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَيْكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢].

والله حكيم في بسطه وقدره رزق عباده، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [العنكبوت: ٦٢]، وفي ذلك التفاوت دلائل على حكمة الله وعلمه بعباده، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الروم: ٣٧]، وبعض الناس لا يعرف هذه الحكمة؛ فيظن إغناؤه محبة ونعمة، وبقدره كراهية ونقمة! قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سبأ: ٣٦].

بل إن من نعمة الله على بعض الناس: العيش في ظل الفقر؛ لأن الغنى خطر عليه؛ إذ هو بوابة البغي والطغيان، والله يعلم وأنتم لا تعلمون، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يَنْزِلُ بِقَدَرِ مَا يُشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى: ٢٧].

فعلى المسلم أن يرضى بقدر الله وقضائه، ويعلم أن اختيار الله له خير مما يتشوف إليه ويريده، وعليه أن يعلم كذلك أن قضية الرزق من قضايا الإيمان بالقدر، وأن الغنى غير آتٍ بذكاء الأذكىاء، أو سعة عقول العقلاء؛ فكم من صاحب ذكاء كبير يرافقه الفقر والحاجة، وكم من جاهل غير فطن يتقلب بين أحضان الغنى والترف:

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني      بتخوم أعناق السماء تعلقني  
ومن الدليل على القضاء وكونه      بؤس الذكي وطيب عيش الأحمق

فما أحسن الشكر للمنعم، والتسليم للقادر الحكيم، وسبحان الله الرزاق الذي

كفى خلقه، ووسعهم رزقه، وأعطى خلقه حسب العلم والحكمة، والल्प والرحمة!

عباد الله، إن الله هياً لعباده في هذا الكون أسباب الرزق ووسائله: فأرض  
مبسوطة فيها عوامل العيش، وساء تسكب الغيث عليها فتنت من كل زوج بهيج،  
قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَبْنَا  
فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَبَا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَكْهَةً وَأَبًا (٣١) مَنَعَا لَكُمْ  
وَلَا نَعْمَكُمْ (٣٢) [عبس: ٢٤-٣٢].

وخلق لهم من الأنعام ما فيه طعامهم وشراهم، ولباسهم وركوبهم، وسخر لهم  
وأرشدهم إلى ثروات الأرض الطبيعية قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ  
أَيْدِيَانَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ  
وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣)﴾ [يس: ٧١-٧٣].

وخلق لهم الأعضاء التي بها يكتسبون، والعقول التي بها يصلحون أمر معيشتهم  
ويسعدون، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ  
السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨)﴾ [النحل: ٧٨].

معشر المسلمين، إن الله تعالى أمر الإنسان أن يسعى في طلب الرزق، وتحصيل ما  
يصلح العيش؛ فالرزق لا ينزل على متكاسل أو متواكل، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ  
لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشَوْا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)﴾ [الملك: ١٥].

ولقد عمل الأنبياء والصالحون ولم ينتظروا مجيء الرزق إليهم، وإنما أكلوا من

عمل أيديهم، قال رسول الله ﷺ: (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)<sup>(١)</sup>. وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "كان آدم عليه السلام حراثاً، ونوح نجاراً، وإدريس خياطاً، وإبراهيم ولوط زراعين، وصالح تاجراً، وداود زراداً، وموسى وشعيب ومحمد صلوات الله عليهم رعاة".

كان كثير من أصحاب رسول الله حريصين على حضور مجالسه، ومواطن تعليمه وتربيته، ومرافقته في حله وترحاله، ولو وجدوا كفايتهم لما فارقوا مسجده، ومواضع إرشاده، لكنهم أخذوا من ذلك ما استطاعوا، وخرجوا باحثين عن الرزق، وطلب ما يقيم الأبدان.

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "كان أصحاب رسول الله عمال أنفسهم"<sup>(٢)</sup>. وربما تناوبوا في سماع رسول الله، حيث كان عند بعضهم يوم للعمل، ويوم لطلب العلم، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك..."<sup>(٣)</sup>.

إخواني الكرام، إن العمل وطلب الرزق أمر يحث عليه العقل والفطرة والشرع،

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

فالعقل جعل الكافر يبحث عن الرزق ويسعى في تحصيله.

والفطرة جعلت الحيوان يخرج من وكُره ومسكنه باحثاً عما يملأ بطنه، ولا يقعد منتظراً رزقه إلى مكانه.

وجاء الإسلام وحث على العمل وطلب الرزق وبذل الأسباب مع كمال التوكل على الرزاق الكريم، ونهى عن تكفف الناس وسؤالهم والذل لهم، قال عليه الصلاة والسلام: (لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنع)<sup>(١)</sup>.

روي عن لقمان رحمه الله أنه قال لابنه: "يا بني، استعن بالكسب الحلال؛ فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته، وأعظم من هذه الخصال: استخفاف الناس به".

وحيثما حث ديننا الحنيف على طلب الرزق فإنه قد حرم كل طريق مشبوّه لأخذ الرزق وتحصيله، فحرم السرقة والسلب والنهب والغصب والغش والتدليس والكذب في البيع والشراء وغير ذلك من الأساليب المحظورة.

عباد الله، إن الله تبارك وتعالى قد يبسط الرزق لبعض العصاة ابتلاء واستدراجاً، لا محبة ولا مكافأة، وإن كان لهم في الدنيا المال الكثير فإنه مال لا خير فيه، ويغدو نقمة عليهم لا نعمة، وعذاباً لا نعيماً، ولكن أكثر الناس لا يفقهون، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الأنفال: ٣٦]،

(١) رواه البخاري.

النور السائر من خطب المنابر

وقال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [الفصل: ٨٢]، وقال النبي ﷺ قال: (إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يجب فإنما هو استدراج، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ (٤٤) ﴿١﴾).

وأما الطائع لربه، المتحري الحلال في كسبه فإن لطاعته أثراً كبيراً في جلب الرزق وبركته؛ فالإيمان والعمل الصالح - وهو تقوى الله تعالى - سبب كبير من أسباب الرزق، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقال: ﴿ ... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾ (٢) ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ [الطلاق: ٢-٣].

فإقامة شرع الله والاستقامة على دينه سبب كبير لجلب الرزق، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٦].

أيها الفضلاء، من أسباب جلب الرزق: استغفار الله تعالى استغفاراً صادقاً، قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴾ (١٠) ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ﴾ (١١) ﴿ وَيُمِدُّكُمْ

(١) رواه أحمد والبيهقي والطبراني، وهو حسن.

**بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَرًا ﴿١٢﴾** [نوح: ١٠-١٢]، قال الشعبي رحمه الله: "خرج عمر يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فأمطروا، فقالوا: ما رأيك استسقيت؟! فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح<sup>(١)</sup> السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ الآية السابقة".

البر وصلة الأرحام من أسباب زيادة الرزق، ففي الصحيحين عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (من سره أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه).

التبكير في طلب الرزق يزيد الرزق، فعن صخر الغامدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (اللهم بارك لأمتي في بكورها)، قال: وكان إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم في أول النهار. قال: وكان صخر رجلاً تاجراً. فكان يبعث تجارته في أول النهار فأثرى وكثر ماله<sup>(٢)</sup>.

التوكل على الله - مع الأخذ بالأسباب الممكنة - يجلب الرزق، قال رسول الله ﷺ: (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً

(١) مجاديح السماء: نجومها، والمراد: النجوم التي يحصل عندها المطر عادة، فشبّه الاستغفار بها، والذي يراد من الحديث: أنه جعل الاستغفار استسقاء، وأراد إبطال النجوم والتكذيب بها، وإنما جعل الاستغفار مشبهاً للنجوم مخاطبة لهم بما يعرفونه لا قولاً بالنجوم التي يزعمون أن من شأنها المطر. ينظر: القاموس المحيط، تاج العروس.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان، وهو صحيح.

وتروح بطانا<sup>(١)</sup>.

وفعل الأسباب الشرعية لا يقدر في التوكل، وإنما يربي النفس على البذل والحركة النافعة، فرسل الله وصالحو عباده أمروا بفعل سبب الرزق، ودفع الهلكة عن أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]، قال بعض المفسرين: أي: يتجرون ويحترفون.

وقال الله لموسى عليه السلام: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]، وهو تعالى قادر على فلق البحر دون ضرب العصا.

وقال لمريم رحمها الله تعالى: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجُنْحِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِينًا﴾ [مريم: ٢٥]، وهو سبحانه القادر على إسقاط الرطب دون هز.

أيها المسلمون، ومن أسباب جلب الرزق: الجهاد في سبيل الله تعالى، روى الإمام أحمد وغيره عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي). وقال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩].

ومن مفاتيح الرزق: الصدقة والإنفاق في وجوه الخير. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي بَيِّسْتُ الرِّزْقَ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ وَيُقَدِّرُ هُوَ مَا أَنْفَقْتُمْ مَشِيءٌ فَهُوَ يُخْلِفُهُ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾

(١) رواه أحمد وابن حبان والترمذي وهو صحيح.

﴿سبأ ٣٩﴾، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: (قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم، أنفق أنفق عليك). وقال ﷺ لبلال: (أنفق بلال، ولا تحش من ذي العرش إقلالاً) (١).

شكر النعم يحفظ الرزق الموجود ويجلب إليه المزيد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧) [إبراهيم: ٧].

ومن تلك الأسباب الجالبة للرزق: الزواج من أجل العفاف، قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٢) [النور: ٣٢]، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "عجبي ممن لا يطلب الغنى في النكاح! وقد قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾!"، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف) (٢).

عباد الله، إذا أردتم الرزق الحسن المبارك فاطرقوا باب السماء بالدعاء واللجوء الصادق إلى الرزاق الكريم، الذي لا يخيب من رفع يديه إليه واثقاً به متفائلاً بجوده وفضله.

فالدعاء من الأسباب العظيمة، وهو باب مفتوح لكل مسألة مشروعة من أمور الدنيا والآخرة، فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما قال عبد قط

(١) رواه البيهقي وأبو يعلى، وهو صحيح.

(٢) رواه الترمذي والبيهقي، وهو حسن.

النور السائر من خطب المنابر

إذا أصابه هم أو حزن: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهب همي، إلا أذهب الله همه، وأبدله مكان حزنه فرحاً) قالوا: يا رسول الله، ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات؟ قال: (أجل، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن)<sup>(١)</sup>.

فألهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وأغننا بفضلك عن سواك.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح.

## الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المجتبي، وعلى آله وأصحابه  
الأخيار الأوفياء، أما بعد:

عباد الله، إن ثمة أموراً تذهب الرزق وتمحقه، وتحول بين العبد وبين التنعم  
برزقه، وهذه الأمور على كثرتها ترجع إلى أصل واحد هو: معصية الله تعالى، ومن هذه  
المعاصي:

كفران النعم وجحودها، ونسبتها إلى استحقاق الإنسان لها، وذكائه في تحصيلها،  
والتباهي بها على عباد الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً  
مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ  
وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ قُرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَأَيْنَهُمْ مِنَ الْكُفُورِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ  
لَتَنْوَأُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَأَبْتَغِ فِيمَا  
ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ  
وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَمْ  
أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۗ وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ  
الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ  
مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ

النور السائر من خطب المنابر

لَمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَحَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ [القصص: ٧٦-٨١].

ومن الأمور التي تقضي- على الرزق: التعامل بالربا؛ لأن الربا معصية كبيرة للخالق سبحانه، وظلم شنيع للمخلوق، وقطع للمعروف بين الناس، وإفساد للمجتمعات، قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [٢٧٨] فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

معشر- المسلمين، إن كثرة الحلف في البيع تمحق الأرباح، وتذهب بركة الرزق، وقد صارت اليمين عند بعض الباعة لفظاً سهلاً يفوه به دون أن يبالي، هذا إذا كان ما يحلف عليه حقاً، فكيف إذا كانت يميناً كاذبة غموساً؟!

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الحلف منفقة للسلعة محقة للبركة) وفي لفظ: (للربح)، وعند مسلم قال رسول الله ﷺ: (إياكم وكثرة الحلف في البيع؛ فإنه ينفق ثم يمحق).

وبعض الناس قد لا يحلف، لكنه يغش ويدلس، ويكذب؛ طلباً لزيادة المال، ولا يدري أن ذلك ينقصه، وقد يدري، غير أنه غلبه حب المال على قلبه فأخذه من غير حلّه، قال النبي ﷺ: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما،

وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما<sup>(١)</sup>.

ومما يغلق باب الرزق الطيب المبارك على صاحبه: الانشغال بطلب الرزق عن فرائض الله، وهذا الفعل المنكر صار ظاهرة في كثير من الأسواق، فالمؤذن ينادي للصلاة، والناس في غفلة منشغلون بالبيع والشراء، فأين تعظيم الله، وأين تقديم طاعته وحب الآخرة على هوى النفس وحب الدنيا؟!!

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لِأَنَّهُمْ كَرِهُوا آمُولَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩].

فيا من رزقك الله، ومد عليك بساط رزقه الواسع، أنفق فيما يرضي من رزقك وأعطاك فيما يجب عليك من زكوات، ونفقات على نفسك وأهلك وأولادك ومن ولاك الله الإنفاق عليه، وتناول منه على وجه الاقتصاد بلا إسراف في وجوه الكرم والمباحات ولا تبذر؛ فإن المبذرين كانوا إخوان الشياطين.

ولا تبخل وتشح عن إخراجه في أوجهه المشروعة من حقوق الله وحقوق الخلق؛ فإن البخيل غني اليد فقير الحال، يكد ويتعب لغيره، عليه الغرم ولسواه الغنم.

ومن قدير عليه رزقه، فليطمئن إلى قدر الله، ويرض بقسمة الله؛ فإنه تعالى أرحم به من نفسه، ويلزم القناعة شعاراً والصبر دثاراً، فما أحسنه من لباس على العبد!

وليعلم أن الرزق ليس باباً واحداً هو المال؛ فالصحة والعافية رزق قد يرزقها

(١) متفق عليه.

النور السائر من خطب المنابر

الفقير ويحرمها الغني، فكم من فقير يأكل ما يشاء ويشرب ما يشاء مما عنده، وغني لا يأكل إلا كسرة خبز وشربة لبن، فمن أسعد قلباً وأحسن حالاً؟!!

وكذلك الستر رزق، ومحبة الناس رزق، والزوجة الصالحة رزق، والأبناء البررة رزق، والجار الصالح رزق، والتوفيق من الله رزق، والعلم والعقل رزق، وغير ذلك.

فما أكثر مجالات الرزق، ولكن ما أقل من يتفكر فيها!

فيا رزاق ارزقنا ما يكفيننا ولا يطغينا، ويعيننا على طاعتك ولا يلهينا، اللهم وارزقنا التوفيق إلى شكرك، وحسن عبادتك، ومدِّ يد العون إلى خلقك، واجعلنا من أهل اليد العليا، ولا تجعلنا من ذوي اليد السفلى يا كريم.

وصلوا وسلموا على المبعوث رحمة للعالمين.....



## بين يدي رمضان<sup>(١)</sup>

الحمد لله المنعم على العباد، الهادي إلى سبيل الرشاد، ينعم جوداً وفضلاً، ويمنع ما شاء حقاً وعدلاً، كم من خير منه على خلقه نازل، وكم من شر منهم إليه صاعد، يتقرب إليهم بفضله ونعمته، وهو الغني عنهم، ويتعدون عنه بمخالفته ومعصيته، وهم الفقراء إليه، فرحمك ربي رحماك ما أكرمك وما أحلمك!

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المعبود عبادة حق في أرضه وسماؤه، وأشهد أن محمد بن عبد الله عبده ورسوله، سيد أنبيائه وخيرة أصفياؤه، خير من صلى وصام وتبتل وقام. بلغ رسالة ربه كما أراد ربه بلاغاً أنار المحجة حتى لا يكون للناس على الله حجة، فصلى الله عليه ما صلى المصلون وصام الصائمون صلاة وسلاماً دائماً إلى يوم المعاد، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فاتقوا الله -عباد الله- واعلموا أنه قد هل عليكم شهر التقوى، فحققوها فيه تفلحوا، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني، صنعاء، يوم ١/ رمضان/ ١٤٣٣ هـ.

\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

أيها الناس، مع امتداد فجر هذا اليوم الأغر من هذا الشهر الأزهر نحمد الله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبه ربنا ويرضى، نحمده عز وجل على أن بلغنا هذا الشهر الفضيل ونحن في صحة وإقامة، وجعلنا ممن هل عليهم هلاله وشملتهم ظلاله، فكم قد حُرِمَ هذا الخير ناس بين ميت فارق الحياة إلى قبره، ومريض حبسه مرضه، وحي يعيش بجسد ميت ترك الصيام لغلبة شره. فالحمد لله على فضله ومنتته، فاللهم أدم علينا نعمك وأسبغ علينا فضلك.

أيها الصائمون، لقد أقبل علينا رمضان يحمل معه الجوع والظمأ، والتعب والنصب، ولكنه جوع تشبع معه الروح وتروى، وعناء تستريح فيه وتقوى.

لقد جاء رمضان لتورق فيه شجر الطاعة، وتذبل فيه أشجار المعصية.

أتى رمضان ليستمتع المؤمن بجنة من جنات الدنيا، يشتم فيها نسائم التلاوة العذبة، ويذوق فيها حلاوة الصيام الماتع، ويتلذذ بطول القيام الخاشع بين يدي الرب الكريم.

حل رمضان على الأمة ليفتح للعاصي صفحة بيضاء من صفحات الأيام؛ ليتوب فيها بعد أن سوّد صفحات العام.

نزل رمضان ضيفاً كريماً على عباد الله ليتزود المتقون، ويقبل الشاردون، ويكثر التالون والعابدون، والقائمون والمتصدقون، ويتنصر الصادقون على الشيطان والنفس الأمارة بالسوء.

هكذا هل رمضان ليربط الماضي بالحاضر؛ فالصوم عبادة قديمة في الأمم الماضية، كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

غير أن الصيام في هذه الأمة يختلف عما قبلها بالزمان والمقدار واليسير. أيها المسلمون، إن شهر رمضان شهر تفتح فيه أبواب الجنان لكثرة الطاعات، وتغلق فيه أبواب النار لقلّة السيئات، وتصفد فيه الشياطين لقلّة الإغواء. شهر تفضل الله فيه على عباده بليلة العبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر، وهذه الليلة هي ليلة القدر.

شهر شُرف بالصيام الذي يقي صاحبه النار والشهوات، ويسوق خطاه إلى أعلى الدرجات في الجنات، ويشفع له عند لقاء ربه، ويكفر عنه ذنبه، ويسعده في دنياه وأخراه.

عباد الله، فلا عجب -بعد هذا- إذا شُرع الاستبشار والتبشير بقدم هذا الضيف الكريم؛ فرسولنا العظيم -عليه الصلاة والسلام- كان يبشر أصحابه بمجيئه -كما روي عنه- أنه قال: (أتاكم رمضان شهر بركة يغنيكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرا؛ فإن الشقي من حُرِم فيه رحمة الله عز وجل)<sup>(١)</sup>.

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه محمد بن أبي قيس ولم أجد من ترجمه.

\_\_\_\_\_ النور السائر من خطب المنابر

فماذا أنت فاعل فيه يا عبد الله؟ وما الخير الذي قد نويته واستعدت له؟ وما أبواب الخير التي ستلجها، وأبواب الشر التي ستوصدها؟ أم أن الشهور كلها عندك سواء، وعملك في جميع السنة لا يختلف؟!

تذكر أن رمضان فرصة قد لا تعود، وغنيمة قد لا ترجع، وعمرٌ خيرٌ قد يذهب ولن تلقاه بعد رحيله.

أتى رمضان مزرعة العباد      لتطهير القلوب من الفساد  
فأدّ حقوقه قولاً وفعلاً      وزادك فاتخذاً للمعاد  
فمن زرع الحبوب وما سقاها      تأوه نادماً أيام الحصاد

أيها الصائمون، إن الصوم عبادة من العبادات التي شرعها الله تعالى لغايات حميدة، وأسرار في الخير كثيرة، علم ذلك من علم وجهله من جهل. فالصيام سبيل إلى تحصيل التقوى، وتربية النفس على الإخلاص والمراقبة للمولى، وهو طريق إلى تخلي القلب للفكر، واللسان للذكر، وسائر الجوارح للمسابقة إلى الخيرات في جميع الأوقات. والصيام يعرف الغنيَّ قدر نعمة الله عليه بالغنى.

والصيام يعين على ضبط النفس والسيطرة عليها والحد من كبرياتها وانفلاتها. والصيام يربي المسلم على الإيثار ورحمة المحتاجين، والصبر على إساءة المسيئين، والصبر على طاعة الله ومُرتّ قضاؤه. ويذكر الصائم بأنه عبد لله تعالى مستسلم لأمره وحكمه.

وهذه العبادة العظيمة تزرع في نفس المسلم التطلع إلى الدار الآخرة حينما يجوع

ويظماً ويحرم من الشهوات ويعاني النصب والتعب، فيتذكر ما يلاقه أهل النار من ذلك فيبحث لنفسه عن منجاة وخلاص.

أيها المسلمون، إن الصيام من العبادات العامة التي جعلت بعض المسلمين يؤديها عادة وجرياً مع الجمع الصائم مكتفياً بظاهرها دون التأمل في معانيها والأهداف التي شرع لأجلها.

فالمسلمون يصومون رمضان كل عام، لكن بعضهم اقتصر- على الإمساك عن الطعام والشراب والمعاشرة الزوجية فحسب، وظن أن الصيام هو ذلك فقط، والحق أن الصيام أعمق من ذلك، وأوسع مما ظن وتصور.

إن الصوم الشرعي- معشر- الصائمين- ليس هو الامتناع عن تلك المفطرات وحدها، بل هو إمساك عن جميع ما لا يرضي الله عز وجل من المعاصي صغيرها وكبيرها.

فالصوم الكامل أن تصوم جميع الجوارح عن المساخط والردائل، فاللسان يصوم عن قول الزور والباطل، والسوء والفحش، والبذاء والتعدي على الآخرين بالطعن والثلب ونحو ذلك من سقط الكلام وعييه.

والصوم الصحيح أن تصوم العينان عن النظر إلى الحرام من الأعراض الممنوعة والعورات المستورة.

والصوم التام أن تصوم الأذنان عن سماع اللهو والخنا، والنم والتعيب للخلق.

والصيام النافع أن تصوم الرجلان عن الخطوات إلى الحرمات والثبات على

العثرات.

والصوم الناجح أن يصوم القلب والعقل والنفس كلها عما لا ينبغي ديناً وخلقا. هذا هو صيام العبادة، أما أهل صوم العادة فإنهم يطلقون لجوارحهم العنان في رمضان لترتع حيث شاءت مما تعودت عليه أو ما استحدثت لها في شهر الصيام من المكروهات.

فأصبحوا يسمعون ويشاهدون ويبطشون ويسعون إلى منازل الشر- عن علم أو عن جهل.

ففي رمضان قد يرى بعض صوَّام العادة صائماً ولا يصلي، أو يصلي بعض الفروض ويترك بعضها الآخر.

وفي النهار يقضي- نهاره بالنوم، وفي الليل يقدح زناد اللهو لينطلق في ليالي الغفلة إلى عكوف أمام قنوات تحدش حياؤه وتجرح صومه، وتذهب عنه أثر عبادة الصيام إن أثمرت فيه شيئاً.

ومنهم من يجعل رمضان شهراً للغضب وضيق الخلق؛ فيخرج منه السب والشتم والجواب غير اللائق بالمسلم وذي الخلق الكريم.

ومنهم من يجعل رمضان فرصة للكسل والإكثار من المأكولات والمشروبات. ومن النساء من تجعل رمضان دورة مكثفة للتفنن في إعداد الأطعمة والأشربة المختلفة وتظل حبيسة مطبخها مفوتة على نفسها فضائل رمضان.

ما بهذا- يا عباد الله- أمر الصائم، وما لهذا شرع الصيام!

إن الصيام - معشر الصوَّام الكرام - امتثال قولي وفعلي لما يأمر به الهدى والخير، قال رسول الله ﷺ: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) (١). وقول الزور هو: كل قول وفعل يغضب الله تعالى.

وقال رسول الله ﷺ: (رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر) (٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: (ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فلتقل: إني صائم إني صائم) (٣).

وقال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إذا صمتَ فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل يوم فطرك ويوم صومك سوءاً".

إذا لم يكن في السمع مني تصاون وفي بصري غض وفي منطقي صمت  
فحظي إذا من صومي الجوع والظما فإن قلت إني صمت يومي فما صمت

فيا أيها الصائم، هذه مائدة رمضان مدت أمامك فلا تحرم نفسك الصيام المقبول، والفوز بنيل المأمول، ولا تضيع وقت رمضان النفيس في اللهو واللعب، والغفلة وكثرة العبث؛ فالمفلح من انتهز الفرص وبادر العمل قبل مفاجأة الأجل، وتهباً بالزاد

(١) رواه البخاري

(٢) رواه الطبراني والحاكم وأحمد وابن ماجه والنسائي، وهو صحيح.

(٣) رواه البيهقي والحاكم وابن خزيمة، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

الذي ينجيه يوم المعاد. ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ

﴾ [البقرة: ١٩٧].

رزقني الله وإياكم المسارعة إلى الخيرات، والكف عن المنكرات والخطيئات.

قلت قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله ذي الفضل والمنة، العليم بما تخفي الأجنة، وما تستر الأكنة، جعل الصوم جنة، وسبيلاً إلى الجنة، أنزل القرآن هدى للإنس والجنة، فاستنارت به العقول، ولانت به القلوب، وغدت النفوس به مطمئنة، والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير، وسلم تسليماً.

أما بعد:

أيها الصائمون الأفاضل، الصيام عبادة من العبادات التي تحتاج إلى معرفة أحكامها؛ حتى يؤديها المسلم كما ورد في الشرع الحنيف، وهذا من العلم الذي قد تتعين معرفته وعدم جهله على كل مسلم يجب عليه الصيام؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما زاد على الواجب فهو من الخير الذي ينبغي الحرص عليه.

عباد الله، لا يجوز للمسلم المكلف أن يسبق رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا إذا كان معتاداً للصيام فوافق ذلك كذلك، كأن يكون ممن يصوم الاثنين والخميس، أو يصوم يوماً ويفطر يوماً، فلا حرج عند ذلك في الصيام إن صام.

قال رسول الله ﷺ: (لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين، إلا رجل كان

يصوم صوماً فليصمه) (١).

ومن الأحكام: أن رمضان يثبت دخوله برؤية هلاله، فإن لم يُر الهلال فتكمل عدة شعبان ثلاثين يوماً.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غمي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين) (٢).

ومن الأحكام: أن من وجب عليه صيام رمضان فعليه أن ينوي صومه قبل مجيء فجر أول يوم منه، فينوي بقلبه أنه إذا كان الغد من رمضان فإنه صائم، فإن أصبح ولم ينو لم يصح صومه ذلك اليوم، وعليه القضاء، فعن حفصة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له) (٣).

أيها المسلمون، يجب صيام رمضان على المسلم البالغ العاقل الصحيح المقيم والمرأة النقية من الحيض والنفاس، ولا يجب الصيام على كافر حتى يسلم، ولا على مجنون حتى يعقل، ولا على صبي حتى يبلغ، لكن لو صام صح منه وأجر عليه وينبغي أن يشجع على ذلك كما كان بعض الصحابة يصومون صبيانهم ليتدربوا على هذه العبادة، ولا يجب على مريض يؤثر عليه الصوم حتى يصح، ولا على مسافر سافراً تقصر فيه الصلاة حتى يقيم، فلو صام صح منه، ولا يجوز للحائض والنفساء أن تصوما حتى

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البيهقي والنسائي وغيرهما، وهو صحيح



تطهرا.

عباد الله، على المسلم أن يعلم أن الصيام يبطل بالأكل والشرب وما في معناهما مما يقوم مقام الطعام والشراب كالإبر المغذية، ويطله أيضاً الجماع والاستمناء في نهار الصوم، والتقيؤ عمداً، ونزول دم الحيض أو النفاس من المرأة، أما دم الاستحاضة فلا يفطر المرأة ويجب عليها الصيام معه متى ما علمت أنه دم استحاضة لا حيض، ومن أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه وليس عليه شيء، ومن اغتسل أو اكتحل أو شم الطيب أو بلع الريق أو رعف أو احتلم فأنزل في نهار الصوم فصومه صحيح. والله أعلم

فنسأل الله أن يعيننا على صيام رمضان وقيامه والظفر بخيراته وفضائله.

هذا وصلوا وسلموا على الهادي البشير...

## رمضان والقرآن (١)

الحمد لله الذي جعل القرآن مناراً للمهتدين، وضياءً للسالكين، ومعجزة باقية إلى يوم الدين؛ لا يعتريه النقص والتبديل، ولا التحريف والتغيير، محفوظ بحفظ الله الذي أنزله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

لا يخلق مع كثرة ترداده، ولا ينضب مَعِينُهُ باستقواء ورّاده، ولا تفنى جواهره بازدياد غائصيه؛ فما زال البحر الذي لا ساحل له، والغيث الذي لا تحصى قطراته، والنور الذي لا أمد لهداياته، فمن سأل عن الشفاء فيه وجدّه، ومن استرشد به أرشده، ومن تدبره وعقله فما نسي- حلاوته، ولا هجر تلاوته، ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٦].

وما ذاك إلا لأنه تنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على سيد المرسلين؛ ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

والصلاة والسلام على النعمة المسداة، والقدوة المهداة الذي بعثه الله تعالى على فترة من الرسل، وانقطع من السبل، فكان فجرًا ظهر في الآفاق بعد الليل الدامس، ليكسو البسيطة بضياؤه وسنائه، ويتلو على الكون الحائر هدى ربه عز وجل؛ ليتضح

(١) ألقى في مسجد ابن تيمية يوم ١٢ / رمضان / ١٤٢٩ هـ، ١٢ / ٩ / ٢٠٠٨ م.

لوجود الصراط المستقيم ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته الأكرمين، وزوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين، وسلم تسليماً.

أما بعد:

أيها الصائمون الأخيار، حديثنا في هذا اليوم المبارك عن خير الحديث، وكلامنا فيه عن خير الكلام الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِنَبَأٍ مُتَشَبِهًا مَثَانِيَ نَقَشِعُرْمِنُهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

إنه الكلام الذي أعى الفصحاء، وأعجز البلغاء، وأخرس الخطباء، ولم يكن بنظم شاعر، ولا سجع كاهن، ولا بقول إنس ولا جن.

له حلاوة وعليه طلاوة، أسفله مغدق وأعلاه مثمر. إنه القرآن الكريم، كلام رب العالمين، وحبل الله المتين، والنور المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، فيه خبر من قبلكم، ونبا من بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، والشفاء الناجع، والعصمة لمن تمسك به، والنجاة لمن اتبعه.

أيها المسلمون، إن هذا القرآن حياة الأرواح من موت الكفر والعصيان والقسوة،

النور السائر من خطب المنابر

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].  
وهو نافع لقارئه في الدنيا والآخرة، شافع مشفع، وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار.

قال رسول الله ﷺ: (اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة) (١).

فيه الأجر والثواب، والتجارة التي لا تبور، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

قال رسول الله ﷺ: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف) (٢).

عباد الله، إن حفاظ القرآن العاملين به هم أصفياء الله من خلقه، وخيرته من عباده، ومن أعلى الناس درجات في الجنة يوم القيامة.

قال رسول الله ﷺ: (إن لله أهلين من خلقه)، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي، وهو صحيح.

قال: (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته)(١).

وقال رسول الله ﷺ: (يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلك عند آخر آية تقرأها)(٢).

أحبتي الفضلاء، نحن في شهر رمضان في روضة فواحة بالفضائل والعبادات المتنوعة، وعلى رأس هذه العبادات: قراءة القرآن الكريم.

فللقرآن ارتباط وثيق بالصيام عموماً وبرمضان خصوصاً، فكلاهما يصفي الروح ويجلو القلب والعقل، والقيام بهما معاً له شأن من الحلاوة والراحة، وقد جمع رسول الله بين الصيام والقرآن فقال: (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعتك الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعتك النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان)(٣).

وفي رمضان أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

أيها الصائمون، ما أحسن قراءة القرآن للصائم في رمضان، وما ألد حروفه في

(١) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، وهو صحيح.

(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن حبان، وهو صحيح.

(٣) رواه أحمد والطبراني والحاكم، وه حسن صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

اللسان، وأطف وقعها على القلوب. حينما يفرغ البطن ويصفو العقل من كدر المأكولات والشهوات يكون للقرآن طعم آخر؛ فالطعام والشراب والشهوة تكسب القلب قسوة، والنفس غفلة، والجوارح ثقلاً وكسلاً، فيأتي الصيام ليقدح الفكر، ويذهب الغفلة، وينقل القارئ الصائم إلى التفهم والتدبر، والمعرفة ورقة القلب. وهذه الحال التي يمكن للقارئ الاستفادة منها.

فالعين ترى في تلك الصفحات المشرقة نوراً يهديها إلى الطريق المستقيم، والأذن تسمع أحلى كلام يصل الأسماع، والقلب يتنعم بتلك المعاني المؤثرة التي تزرع فيه حب هذا الكتاب وحب منزله العظيم، فيعظم رجاؤه لما عند الله من الخير، ويشتد خوفه أن يصل إليه غضبه أو تناله عقوبته، والعقل يتدبر ذلك الكلام البديع الذي لا يدرك من أسراره إلا الشيء اليسير، وكلما زادت قراءته وتأملته انكشفت له حقائق ودقائق لم تكن مرت عليه من قبل.

أيها الأحبة، إن القرآن الكريم لا ينفع قارئه إلا إذا تدبره، والصوم زمان خصب لتحقيق هذه الغاية الحميدة، ومن الخطأ الكبير أن يكون الهم الأكبر للقارئ في رمضان وفي غير رمضان الوصول إلى نهاية السورة أو نهاية المصحف بإسراع القراءة وأكل الحروف والكلمات.

قال بعض السلف: "لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ"إذا زلزلت" والقارعة"، لا أزيد عليها أتردد فيها، وأتفكر أحب إلي من أهد القرآن ليلتي كلها".

والقرآن إنما أنزل للتدبر الذي يعقبه العمل به، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا لَهُ الْإِنشَاقَ﴾

﴿مُبَرِّكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

معشر المسلمين، تدبر القرآن يفتح لصاحبه آفاقاً رحبة من الخير العاجل والآجل، فهو يُريه طرق الخير وأهلها، وسبل الشر- وأصحابها، فيدعوه إلى الطريق الأولى وصحبة سالكيها، ويحذره من الطريق الأخرى والهالكين فيها.

ويريه حكمة المشرع المعبود سبحانه في نبيه وأمره، وعظمتَه في خلقه، وفضله في إكرامه، وعدله في عقابه، وقوته في مؤاخذته، ورحمته بعباده، وسعة علمه في مخلوقاته، وجبروته في قهر أعدائه، ونصرتَه لأنبيائه وأوليائه، وعزته ومنعته أن يناله أذى المؤذنين، وقدرته أن يفوته أحد المخلوقين، وسمعه الواسع في إدراك نطق الناطقين، وبصره النافذ العظيم أن تحفى عليه حركة أو سكون من خلقه أجمعين.

أيها الصائمون، ما ملل القرآن من تدبر ألفاظه ومعانيه، وما نسي- لذة القرآن من تدبر أحكامه وحكمه، وما هجر القرآن من ذاق طعمه وخالطت بشاشته قلبه.

إن القرآن -متدبراً- ما تلاه لسان إلا طاب وحلا، ولا وصل أثره قلباً إلا صلح وصفاء، ولا حل صدره إلا انبسط وانشرح، ولا تأمل فيه عقل راجح إلا اتسع وانفسح.

وهل هملت الدموع الصادقة عند تلاوته أو سماعه إلا بتدبره، وخشعت القلوب بعد أن كانت قاسية كالحجارة إلا بتعقله، وهل عرفت علوم الشريعة إلا بالنظر فيه،

والتفكر فيما يحويه. ﴿أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا

كثيراً ﴿٨٢﴾ [النساء: ٨٢].

ألا إن الصديقين والشهداء والصالحين أوصلهم تدبر القرآن إلى ما هم فيه من  
المراتب العالية والمناقب السامية، وإن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين.  
لقد كان لأهل الإيمان مع تدبر القرآن حديث مؤثر، خشعت له قلوبهم، ودمعت  
منه عيونهم، وسارعت به إلى الأعمال الصالحة جوارحهم.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله - ﷺ: (اقرأ علي  
القرآن). قال: فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: (إني أشتهي أن  
أسمعه من غيري). فقرأت النساء حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ  
بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ﴿٤١﴾ [النساء: ٤١]، رفعت رأسي أو غمزني رجل  
إلى جنبي فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل (١).

فما الذي أبكاه عليه الصلاة والسلام إلا التدبر والتفكير فيما سمع.

وكان خليفته أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلاً أسيفاً أي: حزيناً لا يفتح الصلاة  
قارئاً إلا هملت عيناه.

وعمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ليلة من ليالي عدله وإحساسه بالمسؤولية الملقاة على عاتقه  
يخرج ليتفقد رعيته، إذ مر بدار رجل من المسلمين فوافقه قائماً يصلي فوقف يستمع قراءته  
فقرأ الطور حتى بلغ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ فِعُّ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ [الطور: ٧-٨]، فقال

(١) متفق عليه.

عمر: قسم ورب الكعبة، فنزل عن حمارة واستند إلى حائط فمكث ملياً ثم رجع إلى بيته فمكث شهراً يعود الناس لا يدرون ما مرضه، وما مرضه إلا تأثره بما سمع.

وهذا الصحابي الكريم أبو طلحة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقرأ سورة التوبة، فلما بلغ قوله تعالى:

﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ [التوبة: ٤١]. قال: أرى ربنا يستنفرنا شيوخاً وشباباً، جهزوني يا

بني. فركب البحر غازياً في سبيل الله فمات فلم يجدوا جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد تسعة أيام فنزلوا فدفنوه، ولم يكن قد تغير جسده خلال تلك الأيام التسعة فوق السفينة رضي الله عنه ورحمه.

وجبير بن مطعم صحابي آخر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سمع رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب

بالطور حتى بلغ قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ [الطور: ٣٥].

قال: فكاد قلبي يطير، فكان ذلك من أسباب إسلامه، نعم لقد تأثر حتى طار إلى رسول الله ﷺ.

والفضيل بن عياض رحمه الله كان قبل توبته من لصوص الليل فينا هو في ليلة من

تلك الليالي المظلمة أشرقت في قلبه آية فبددت تلك الظلمات، إذ رقي تلك الليلة بيتاً فسمع

قارئاً يقرأ: ﴿الَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ

أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ [الحديد: ١٦].

فقال: بلى، والله قد آن، فنزل وتاب وصار يضرب بعبادته وصلاحه المثل بعد

ذلك، رحمه الله.

أمة الإسلام، هذا كتاب ربنا الذي أنزله إلينا لنقرأه ونتدبره ونعمل بما فيه، فلو تدبرت الأمة هذا الكتاب ورجعت إليه لعزت وسادت، وتخلصت من مشكلاتها وأزماتها، ولكن ما حال أمتنا مع القرآن؟!

أين القراءة، وأين التدبر، وأين التحاكم، وأين العمل بهذا الدستور العظيم.

هناك هجر كبير وإعراض كثير، فهلا من رجعة وأوبة إلى هذا الكتاب تلاوة وتأملًا وتحكيماً واسترشاداً.

فالقرآن القرآن يا أمة القرآن، والتدبر التدبر؛ فإنه نعم المحبب والمقرب للأنس بهذا الكتاب الكريم.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعمي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله الرحيم الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المرسل بالقرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً،

أما بعد:

أيها الصائمون، إن قراءة القرآن الكريم عبادة عظيمة، لها آداب حسنة يستحب للقارئ أن يتمسك بها لكي يكمل أجره ويتم انتفاعه. ومن تلك الآداب:

إخلاص النية في القراءة والتمهل فيها؛ طلباً لرضوان الله لا طلباً لحظوظ الدنيا. عن جابر بن عبد الله قال: دخل النبي ﷺ المسجد فإذا فيه قوم يقرؤون القرآن قال: (اقرأوا القرآن، وابتغوا به الله عز وجل، من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القِدْح يتعجلونه ولا يتأجلونه)<sup>(١)</sup>. والمعنى: اقرأوا القرآن لله تعالى قبل أن يأتي قوم يسرعون في تلاوته كإسراع السهم إذا خرج من القوس، يطلبون بقراءته عرض الدنيا وأعراضها ولا يريدون به جزاء الآخرة.

ومن الآداب: الخشوع عند قراءته، وذلك أثر التدبير، وقد يؤدي ذلك إلى البكاء، وهذه صفة أهل العلم العاملين به، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا

(١) رواه أحمد وأبو داود والبيهقي، وهو صحيح.

﴿١٠٨﴾ وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

ومن الآداب: الطهارة من الحدثين، واستعمال السواك، واستقبال القبلة، وتحسين الصوت ما أمكن من غير تكلف.

ومن الآداب لحفاظ القرآن وقارئيه: أن تظهر آثار القرآن على أخلاق القارئ وسلوكه وأعماله.

قال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر)<sup>(١)</sup>.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليته إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون". وقال الفضيل بن عياض: "حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو؛ تعظيما لحق القرآن".

فالقرآن القرآن - يا عباد الله - حافظوا على تلاوته وتدبره، وتحكيمة والعمل به، وأكثروا من قراءته هذه الأيام؛ فإنها أيام فاضلة وموسم خير فسيح، فأروا الله من أنفسكم مع كتابه خيرا؛ فالسعيد من كان القرآن حجة له لا عليه.

(١) متفق عليه.

---

---

رزقني الله وإياكم الإقبال على كتابه، والعمل بما فيه، وجعله حجة لنا لا علينا.  
هذا وصلوا على النبي المصطفى...

## رمضان والجدود<sup>(١)</sup>

الحمد لله الغني الكريم، الوهاب الرحيم، الذي أغنى وأقنى، وأنعم وأولى، وأعطى وأسدى، وأفضل وأجزل، فسبحانه ما أكثر منه على عباده، وما أعظم كرمه وجوده، وأوسع غناه وسخاءه، لا ينفد ما عنده ولو أعطى كل عبد من عباده ما سأل، وهو القائل جل وعلا- في الحديث القدسي -: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر)<sup>(٢)</sup>.

أشهد إلا إله إلا هو، إله كريم يحب الكرم، جواد يجب الجود، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بلغ المدى فيما سخا وأنفق، وبذل في الخير وتصدق، أعطى عطاء من لا يخشى الفقر، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].  
 ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني يوم ٨ / رمضان / ١٤٣٣ هـ، ٢٧ / ٧ / ٢٠١٢ م.

(٢) رواه مسلم.

فَقَدَّ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الصائمون الفضلاء، اعلموا - رحمني الله وإياكم - أن شهر رمضان شهر الخيرات والبركات، وموسم المسارعة إلى الطاعات والقربات.

ينتقل المسلم في رياضه من خير إلى خير، ومن بر إلى بر، ومن نعمة إلى نعمة، ومن أجر إلى أجر. فله الحمد والشكر.

فمما يزخر به هذا الشهر الكريم من الطاعات: طاعة الجود بالصدقات، وبذل المال في سبل البر والخيرات، وما أحوج الصائمين الفقراء إلى من يعينهم بسخائه ليكملوا عدة رمضان وقد حمدوا نزوله عليهم، فأقبلوا على الطاعات وقد خُفف عنهم هم المعيشة، وأعينوا على التفرغ لإدراك فضائل رمضان.

والله إنها لسعادة كبيرة لك أيها الغني المتصدق عندما ترى مسلماً أعتته على طاعة الله بمالك فأصبح يتقرب إلى الله تعالى خالي البال من هموم الحاجة والعوز، فكيف لو رأته متفرغاً للقيام والقراءة والإقبال على العبادة في هذا الشهر الغالي وأنت سبب ذلك؟

النور السائر من خطب المنابر

قال رسول الله ﷺ: (من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا) (١).

وقال: (من فطر صائماً كتب له مثل أجره، لا ينقص من أجره شيء) (٢).  
هذا العمل من أحب الأعمال إلى الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: (أحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تطرد عنه جوعاً، أو تقضي عنه ديناً) (٣).

أيها المسلمون، إن الله تعالى كريم ويجب من عباده أن يتصفوا بصفة الكرم، قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى جواد يحب الجود، ويجب معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها) (٤).

ومظاهر كرم الله تعالى وجوده لا تعد ولا تحصى، فمن ذلك: ما تفضل به عليهم من الخير في شهر رمضان: عبادات متعددة، وأجور مضاعفة، ومغفرة ورحمة، وقبول وعتق من النار.

فيا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر.  
عباد الله، إن النفس البشرية مطبوعة على حب المال والاستئثار به، فإذا طُلب منها فقد تشح به ولا تعطيه، لكن النفس المسلمة الراغبة في الخير إذا دُعيت إلى البذل

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد وابن حبان وابن ماجه والنسائي والترمذي، وهو صحيح.

(٣) رواه الطبراني، وهو حسن.

(٤) رواه البيهقي، وهو صحيح.

في مرضي الله تعالى فلا تبخل؛ لأنها ترجو الأجر على ذلك من الله تعالى، ولها في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، الذي كان أكرم الخلق وأسخاهم مع قلة ذات يده.

فلقد كان الجود ديدن رسول الله عليه الصلاة والسلام وصفته الملازمة له في كل شهور العام، غير أن جوده في رمضان كان يتضاعف ويكثر.

ويحكى لنا ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا صورة من صور دوام جود نبينا عليه الصلاة والسلام وإسراعه إلى العطاء الكثير فيقول: (كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة)<sup>(١)</sup>.

إن جود رسول الله عليه الصلاة والسلام يزداد في رمضان لمناسبة الزمان والحال، فحينما رأى رسول الله عليه الصلاة والسلام جود الله على عباده في هذا الشهر المبارك دعاه ذلك إلى مزيد من البذل، فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه، والكرم يذكّر بالكرم.

وازداد جود رسول الله في الشهر؛ طلباً لزيادة الحسنات؛ فإن الأجور في رمضان مضاعفة على غيره.

وتضاعف جود رسول الله عليه الصلاة والسلام وسخاؤه في رمضان لأن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة، قال رسول الله ﷺ: (إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدّها الله عز وجل لمن أطعم الطعام، وأدام

(١) متفق عليه.

الصيام، وصلى بالليل والناس نيام)<sup>(١)</sup>.

وهذه الأعمال تجتمع في رمضان.

ويتضاعف جود رسول الله لمجالسته جبريل عليه السلام؛ فإن لقاء الصالحين يرغب في الخير، وفي الاقتداء بأهله.

وهناك سبب عظيم آخر وهو: مدارس القرآن؛ فلتأثره بكتاب الله بكثرة قراءته زاد كرمه؛ عملاً به؛ لأنه -عليه الصلاة والسلام- كان خلقه القرآن، كأنه قرآن يسير على وجه الأرض؛ لتطبيقه ما يحث عليه كتاب الله الكريم.

أيها الأحباب الكرام، لقد كانت صفة الجود والكرم خلقاً ثابتاً في شخصية النبي عليه الصلاة والسلام حتى قبل البعثة، قالت له خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "أبشر؛ فوالله لا يخزيك الله أبداً، والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"<sup>(٢)</sup>.

وما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم، أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة<sup>(٣)</sup>.

وقال صفوان بن أمية: "والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ - ما أعطاني وإنه

(١) رواه الطبراني والترمذي، وهو حسن.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي" (١).

وفي غزوة حنين يوزع رسول الله غنائمها بين الناس ولم يبق لنفسه شيئاً، مع كثرة الغنائم، ثم يقول: (لو كان عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً) (٢).

ويلخص ابن القيم رحمه الله جود نبينا عليه الصلاة والسلام فيقول: "كان ﷺ أعظم الناس صدقة بما ملكت يده، وكان لا يستكثر شيئاً أعطاه الله تعالى ولا يستقله، وكان لا يسأله أحد شيئاً عنده إلا أعطاه قليلاً كان أو كثيراً، وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر، وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاج آثره على نفسه: تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان ينوع في أصناف عطائه وصدقته: فتارة بالهبة، وتارة بالصدقة، وتارة بالهدية، وتارة بشراء الشيء ثم يعطي البائع الثمن والسلعة جميعاً كما فعل ببيعير جابر، وتارة كان يقترض الشيء فيرد أكثر منه وأفضل وأكبر، ويشترى الشيء فيعطي أكثر من ثمنه، ويقبل الهدية ويكافئ عليها بأكثر منها أو بأضعافها؛ تلطفاً وتنوعاً في ضروب الصدقة والإحسان بكل ممكن، وكانت صدقته وإحسانه بما يملكه وبحاله وبقوله فيخرج ما عنده ويأمر بالصدقة ويحض عليها، ويدعو إليها بحاله وقوله، فإذا رآه البخيل الشحيح دعاه حاله

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

النور السائر من خطب المنابر

إلى البذل والعطاء، وكان من خالطه وصحبه ورأى هديه لا يملك نفسه من الساحة والندى".

هذا -يا عباد الله- مع فقره وقلة ما عنده، فكيف لو كان ذا سعة وغنى؟

ويصدق فيه قول القائل:

تعوّد بسط الكف حتى لو انه      أراد انقباضاً لم تطعه أنامله  
تراه إذا ما جتته متهللاً      كأنك تعطيه الذي أنت نائله  
ولو لم يكن في كفه غير نفسه      لجاد بها فليثق الله سائله  
هو البحر من أي النواحي أتته      فلجته المعروف والجود ساحله

أيها المسلمون، إن الجود بالصدقة من الأعمال الصالحة التي دعا الله عباده إليها، ووعدهم العوض والمضاعفة عليها. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن

قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقال: ﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٣٩﴾ [سبأ: ٣٩].

وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي

كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦١﴾ [البقرة: ٢٦١].

إن الصدقة -معشر- الصائمين- تدفع البلاء وتديم النعماء؛ فصنائع المعروف تقي مصارع السوء. وهذا مشاهد في الواقع، فكم دفع الله تعالى من الكوارث والمصائب عن أهل الصدقة والجود.



بخلاف أولئك البخلاء الذين يمنعون حق الله تعالى فيما رزقهم فضلاً عن الصدقة، فإنهم لا يزالون يتنقلون بين أحضان البلاء في أنفسهم وأهليهم وأولادهم وأموالهم.

ذكر الشوكاني رحمه الله تعالى في كتابه: البدر الطالع هذه القصة فقال: "كان رجل من الزرعة وكان ذا دين وصدقة، فاتفق أنه بنى مسجداً يصلى فيه وجعل يأتي ذلك المسجد كل ليلة بالسراج وبعشائه، فإن وجد في المسجد من يتصدق عليه أعطاه ذلك العشاء، وإلا أكله وصلى صلاته، واستمر على ذلك الحال، ثم إنها اتفقت شدة ونضب ماء الآبار، وكانت له بئر فلما قل ماؤها أخذ يحتفرها هو وأولاده، فخربت تلك البئر والرجل في أسفلها خراباً عظيماً، حتى إنه سقط ما حولها من الأرض إليها فأيس منه أولاده، ولم يحفروا له، وقالوا: قد صار هذا قبره، وكان ذلك الرجل عند خراب البئر في كهف فيها فوقعت إلى بابه خشبة منعت الحجارة من أن تصيبه فأقام في ظلمة عظيمة، ثم إنه بعد ذلك جاء السراج الذي كان يحمل به إلى المسجد وذلك الطعام الذي كان يحمله كل ليلة، وكان به يفرق ما بين الليل والنهار، واستمر له ذلك مدة ست سنين والرجل مقيم في ذلك المكان على تلك الحال، ثم إنه بدأ لأولاده أن يحفروا البئر لإعادة عمارتها فحفروها، حتى انتهوا إلى أسفلها فوجدوا أباهم حياً، فسألوه عن حاله فقال لهم: ذلك السراج والطعام الذي كنت أحمل إلى المسجد يأتيني على ما كنت أحمله تلك المدة".

فانظروا-يا عباد الله- إلى حفظ الصدقة لصاحبها، ونجاته من مصيبتة بسببها.

النور السائر من خطب المنابر

أيها المسلم، ألا تحب أن يغفر الله لك ذنبك، ويقيك عذابه يوم تلقاه، إن كنت تريد ذلك - ولا أظنك تأبى - فعليك بالصدقة، قال رسول الله عليه وسلم: (فتنة الرجل في أهله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والمعروف)<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: (اتقوا النار ولو بشق تمرة)<sup>(٢)</sup>.

عباد الله، إن الصدقة من الأعمال الشاقة على النفوس التي لم تتعودها؛ لأن النفس من طبيعتها الشح والصد عن كل بر؛ ولذلك سمي هذا العمل الصالح صدقة؛ لأنها دليل على صدق صاحبها في العبودية لله تعالى، وسميت أيضاً برهاناً؛ لأنها تبرهن على إيمان معطيها.

أيها الصائمون، إن الجود في سبيل الخير يحتاج إلى نية صالحة بأن يكون البذل ابتغاء مرضاة الله تعالى وطلب ما عنده، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ [الإنسان: ٩].

ويحتاج إلى ستر وإخفاء مهما أمكن؛ لأن ذلك أَدْعَى للإخلاص، وإلى استصغار ما يُعْطَى ولو كثر البذل؛ لأن الاستعظام للمبذول قد يغير النية ويمنع استمرار العطاء. قال بعض السلف: "لا يصلح المعروف إلا بثلاث: تعجيله، وستره، واستصغاره". وأن يكون المال حلالاً؛ فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، ومن الأفضل أن تكون الصدقة من أحسن المال وأحبه إلى النفس كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

طَيَّبْتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ  
بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَعَلِّمُوا أَنْ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وأن يتخير المتصدق في صدقته القريب، والأشد حاجة، والطائع قبل العاصي،  
والمساكين الذين تسترهم بيوتهم عن التعرض للناس، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ  
أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ  
الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا  
تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَاِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ [البقرة: ٢٧٣].

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعمي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر  
الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد،  
والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن الحديث عن السخاء المستحب يدعونا إلى الحديث عن السخاء  
الواجب؛ لأن بعض أصحاب الأموال التي تجب فيها الزكاة يجعلون رمضان موسماً  
لإخراج زكاتهم؛ حرصاً على مضاعفة الأجر. وهذا عمل طيب إذا كان رمضان هو  
موعد حولان الحول على ذلك المال، أو كان الحول بعده بشهر أو أشهر وأراد صاحب  
الزكاة أن يعجل زكاته قبل وجوبها؛ حرصاً على خير رمضان. أما إذا كان موعد  
وجوب الزكاة في ذلك المال في شهر أو أشهر سابقة لرمضان؛ فإنه لا يجوز تأخيرها إلى  
رمضان؛ لأن ذلك فيه ظلم للفقراء والمستحقين للزكاة بتأخير حقهم عن مواعده  
المحدد، وهذا أمر مهم ينبغي لأصحاب الأموال أن يتنبهوا إليه.

أيها المسلمون، إن الزكاة ركن ركين من أركان الإسلام، وسمة ناصعة في جبين  
هذا الدين؛ لأنها صمام أمان للمجتمعات من الأخطار التي تهددها، ومن أعظمها خطر  
الحاجة والفقر. والذي ينتج عنه الأخطار الأخرى كالأضطراب الأمني والاجتماعي  
والسياسي.

فالزكاة لو أُخذت كما وجبت وصرفت إلى مستحقيها لتحسن الوضع الاقتصادي  
للمجتمعات المسلمة، وربما لن يوجد حينها فقير معوز.

ولما ظلت بعض الدول الإسلامية مادة أيديها للمساعدات الغربية والأوروبية، والقروض الربوية التي لا تعطى إلا بضرائب تدفعها البلاد من تحجيم لبعض شعائر الشريعة الإسلامية، والسيادة الوطنية، والتبعية لتلك الدول المانحة.

أيها الأخوة الأحبة، إن الله تعالى لم يوجب الزكاة على كل مسلم، ولا على كل مال، وإنما أوجبها على المسلم الذي ملك مالاً زكواً ملكاً تاماً، وحال عليه الحول، وبلغ النصاب. وهذا من عدل الله تعالى ورحمته بصاحب المال والفقراء أيضاً.

فالأصناف التي تجب فيها الزكاة هي: بهيمة الأنعام: الإبل والبقر والغنم. والخارج من الأرض من الحبوب والشمار. وعروض التجارة. والذهب والفضة وما يقوم مقامها في عصرنا الحاضر من الأوراق النقدية.

وسأتحدث في هذه العجالة عن الصنفين الأخيرين.

أيها الصائمون الأفاضل، من ملك ذهباً قدره خمسة وثمانون جراماً فأكثر - أو ما كان قيمة لها من العملة الورقية - فقد وجبت عليه الزكاة وهي ربع العشر.

وطريقة إخراج الزكاة في ذلك: أن يعرف قيمة الجرام ثم ينظر ما عنده من الذهب ويضربه به ثم يقسم على أربعين وخارج القسمة هو الزكاة، فلو كان عنده ذهب بمليون فزكاته خمسة وعشرون ألفاً، وهكذا.

وأما عروض التجارة - وهي كل ما يعرض ويعد للبيع والشراء من مواد غذائية وقطع غيار وعمارات وأراض وغيرها - فنصابها أيضاً نصاب الذهب ومقدار الواجب

\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

فيها كذلك.

وطريقة الإخراج أن يقوم التاجر بحساب ما عنده من البضائع المعروضة والمخزنة والتي في البنك أو هي ديون يرجى قضاؤها ثم يقسم ناتجها على أربعين - كما سبق - والناتج هو الزكاة، ويكون ذلك عند حولان الحول.

أسأل الله تعالى أن ينفعنا بما سمعنا.

هذا وصلوا وسلموا على رسول الله محمد....

## رمضان والتفكير (١)

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، أحمده على نعمه الوفيرة، وآلائه الغزيرة، وأشهد أن لا إله إلا هو المعبود الحق في أرضه وسماؤه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد أوليائه، وخيرة أصفياه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، في رمضان تتعدد الخيرات، وتنوع الطاعات، فتسمو الروح إلى آفاق الصفاء والنور، وتتسع في النفس مساحات البهجة والسرور، وتحيا القلوب

النور السائر من خطب المنابر

وتصفو العقول، وتسعد الجوارح بالإقبال على القُرب التي تجد فيه لذتها وأنسها. عباد الله، هناك عبادة عظيمة من العبادات التي قد يكون الصيام الصحيح سبباً لقيام العبد بها؛ لأن هذه العبادة تفتقر إلى انتشال النفس من هو الدنيا ومشاغلتها، وتصفية العقل من مكدراته التي قد تحول دون الوصول إلى هذه العبادة.

فطغيان الحياة المادية المعاصرة بملهياتها ومشكلاتها جعلت الإنسان مأسوراً في بحار الغفلة التي تتقاذفه أمواجها من مكان إلى آخر، فهو في ذلك دائم الانشغال بلذة تلهيه، أو مشكلة تنسيه.

تحتاج هذه العبادة إلى وقفة وتريث وإعمال للروح واللب والقلب معاً. ولا شك أن رمضان إذا صيم الصيام الشرعي من أحسن الأحوال للسياحة في آفاق هذه العبادة الشريفة.

هذه العبادة هي: التفكير.

نعم، التفكير بمعناه الشامل في ملكوت الله وأمره، وتشريعه لخلقه، وفي مصالح العباد وطرق اجتلابها، وفي مفاصد المعاد وطرق اجتنابها.

أيها الصائمون، لقد دعا القرآن الكريم الإنسان إلى التفكير وإعمال النظر؛ لما في ذلك من آثار حسنة، وعوائد حميدة.

قال بعض العلماء: "كثير الحث في كتاب الله تعالى على التدبير والاعتبار والنظر والافتكار، ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار، ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم،

ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته، لكن جهلوا حقيقته وثمرته".

إن من أحسن الأحوال التي تعين على التفكير: الصيام؛ وذلك أن التقليل من الطعام والشراب والشهوات، والإقبال على قراءة القرآن وكثرة الصلاة وغيرهما من سائر العبادات تصقل الروح، وتصفى العقل، وتطهر القلب. فإذا وصل الإنسان إلى هذه الحال من الصفاء والنقاء انطلق فكره واتقد ذهنه، وراح ينظر ما يدركه بالمشاهدة أو الحس أو السمع أو الخبر الصادق بعين التأمل؛ ليجني من وراء ذلك العظة والعبرة. فيا أيها الصائم الكريم، تفكر في أسماء الله وصفاته في معانيها وآثارها في خلقه تعالى، انظر إلى حلم الله عز وجل ورحمته بعباده، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِزُونَ سَاعَةً ۗ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

وتفكر في علمه وقيوميته وإحاطته بكل شيء، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وتفكر في قوته وجبروته، ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ ۗ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

النور السائر من خطب المنابر

وتفكر في عظمته؛ لتربي هيئته في قلبك؛ فتسعى لعبوديته، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

قال بشر بن الحارث الحافي رحمه الله: "لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل".

وتفكر في شريعة الإسلام التي من الله بها عليك، كيف أكملها وأتمها، ويسرها ورفع الحرج عنها، وكيف كانت مراعية لمصالح الخلق في كل زمان ومكان، شاملة لكل ما يهمهم، باقية قوية صامدة شامخة رغم شدة الحرب عليها والتآمر على مبادئها وأحكامها المساوية الخالدة،

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. وقال: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعام: ٣٨].

تفكر -أيها الصائم- في خلق الله تعالى كيف خلقه وأبدعه، وأنشأه وصنعه، ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

فانظر هذه الأرض كيف بسطها وسواها، وهذه السماء كيف رفعها وبنائها، وهذه الجبال كيف ثبتها وأرساها، وهذه الأنهار كيف أنبعها وأجراها، وهذه البحار كيف مدها ودحاها، والمواخر الجوارى عليها كيف حفظها وأجراها إلى مهواها، والأرض الجذباء البور كيف أخصبها وأحياها، وأشجارها وثمراتها كيف تفاوتت -بقدرته-

صنوفها وألوانها وطعومها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ أَلْوَانِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيلَمًا وَفُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

قال ابن عمير لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أخبرينا بأعجب شيء رأيتُه من رسول الله ﷺ، قال: فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: (يا عائشة، ذريني أتعبد الليلة لربي) قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ما سرك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟! قال: (أفلا أكون عبدا شكورا، لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية (١)).

ألم تقرأ -أيها الصائم- قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

أما نظرت إلى النحلة كيف هداها، والنملة كيف علمها، والطير كيف حفظها في طيرانها ورزقها.

(١) رواه ابن حبان، وإسناده صحيح.



النور السائر من خطب المنابر

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ

﴿النحل: ٦٨﴾

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا تَوَّأْنَا عَلَىٰ وَادِ النَّعْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّعْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا

يَحِطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿النمل: ١٨﴾

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ

فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿النحل: ٧٩﴾

|                          |                        |
|--------------------------|------------------------|
| تأمل في نبات الأرض وانظر | إلى آثار ما صنع المليك |
| جفون من لجين ناضرات      | كأن حذاقها ذهب سبيك    |
| على قضب الزبرجد مخبرات   | بأن الله ليس له شريك   |
| فيا عجباً كيف يعصى الإله | أم كيف يجحده الجاحد    |
| وفي كل شيء له شاهد       | يدل على أنه واحد       |

أيها الصائمون، ألا تفكرنا في نعم الله علينا، وسوابغ آلائه فينا، خلقنا فأحسن

خلقنا، ومنَّ علينا بالهداية إلى الإسلام وأكرمنا، ورزقنا وسخر ما في الكون لنا.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْأَكْبَرِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾

﴿الانفطار: ٦-٨﴾

وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا

لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ [يس: ٧١-٧٣].



معشر الصائمين، هلا وقفنا وقفة تفكر صادقة، ونظرنا إلى هذه الدنيا التي نعيش فيها، وتأملنا في حقارتها وقلتها، وسرعة زوالها وتحولها، وكدر عيشها وتغير ما فيها، ماذا أخذ منها من دخلها حينها فارقتها؟! ألم يأن للسكري بشهواتها وهواها أن يصحوا ليعرفوا الحقيقة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا آتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤].

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: دخل عمر بن الخطاب على النبي ﷺ وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال: يا رسول الله، لو اتخذت فراشا أوتر من هذا؟ فقال: (يا عمر، مالي وللدنيا، وما للدنيا ولي، والذي نفسي بيده ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها)<sup>(١)</sup>.

بكى عمر بن عبد العزيز رحمه الله يوماً بين أصحابه فسئل عن ذلك فقال: "فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضي - حتى تكدرها مرارتها، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر، إن فيها مواضع لمن ادكر".

قال بعض الشعراء:

(١) رواه ابن حبان وأحمد، وهو صحيح.



النور السائر من خطب المنابر

إني رأيت عواقب الدنيا      فتركت ما أهوى لما أخشى  
فكرت في الدنيا وعالمها      فإذا جميع أمورها تفنى  
وبلوت أكثر أهلها فإذا      كل امرئ في شأنه يسعى  
أسنى منازلها وأرفعها      في العز أقربها من المهوى  
تعفو مساويها محاسنها      لافرق بين النعي والبشرى  
ولقد مررت على القبور فما      ميزت بين العبد والمولى  
أتراك تدري كم رأيت من الـ      أحياء ثم رأيتهم موتى

وفي مقابل ذلك أما تفكرنا في الآخرة الدار الباقية، وتأملنا في دوامها وخلودها، وراحتها وسعودها، واستمرار طيبها ولذاتها، وذهاب الأحزان والعناء عند دخولها،

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٣٤].

خيرها متصل، وعيشها مستقر، ﴿ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ

فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الزخرف: ٧١].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ، فَيَنَادِي مَنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيُشْرِبُونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ. ثُمَّ يَنَادِي يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيُشْرِبُونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ فَيَذْبَحُ. ثُمَّ يَقُولُ:



يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. ثم قرأ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٩) (١).

ثم تفكر -أيها المسلم- في بضاعتك التي ستقدم بها على الله تعالى، ماذا عملت، وكيف عملت؟ قال تعالى: ﴿وَتَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَىٰ وَأَتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ (١٩٧) [البقرة: ١٩٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

أيها المسلمون، إن عبادة التفكير تدل المتفكر على طريق الجنة فيعمل لها قبل مفاجأة الموت. وقد ليّم لقمانُ رحمه الله تعالى على الوحدة فقال للائمه: "إن طول الوحدة أفهم للفكر، وطول الفكر دليل على طريق الجنة".

وحينما يتفكر الإنسان يدعوه ذلك إلى فعل الخيرات وترك المنكرات؛ لأنه علم بذلك أنه خلق لغاية فلا بد من سعيه لها.

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: "اعلم أن التفكير يدعو إلى الخير والعمل به، والندم على الشر. يدعو إلى تركه، وليس ما يفنى - وإن كان كثيرا - يعدل ما يبقى، وإن كان طلبة عزيزا، واحتمال المئونة المنقطعة التي تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل راحة منقطعة تعقب مئونة باقية".

ألا رحم الله امرئ تفكر قبل أن يُقبر، فساقه تفكره إلى إحسان العمل، وإصلاح

النور السائر من خطب المنابر

الخلل، قبل حضور الأجل.

وتفكر في دنياه فلم يركن إليها، ولم يشغل قلبه بها، وتفكر في آخرته فأعد زاد النجاة، وبعث قلبه إليها فعاش في الدنيا غريباً بين أهلها؛ لأن دار أنسه الحقيقية هي دار السلام بجوار الرب السلام.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.



## الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

أيها الصائمون الفضلاء، فما زالت أيام رمضان ولياليه تتسارع وتتسابق، وأنفاس الصائمين الصادقين، والقائمين الخاشعين، والتالين المتدبرين تتصاعد وتتلاحق؛ خوف الفوات والفراق.

ولكن تلك الأزمان الشريفة لا يزيدنها مرور الوقت إلا شرفاً وحلاوة، فكلما تتقدم ازدادت حسناً وبهاءً.

وإنما مع تسارع هذه اللحظات السعيدة قد أصبحنا على مشارف خير زمان في رمضان، وأسعد لحظات يعيشها الصائم القائم في شهر البركة والغفران، بل لعلها أبهى لحظات تمر عليه في العام.

وبهذا المضي يزداد الشهر ألقاً، ويفتح أمام الصائم المجد من الخير والفضل أبواباً كثيرة. تمضي أيام رمضان كالفجر الذي يخرج كبصيص ضعيف ثم يكبر ويكبر حتى ينير الآفاق والدروب. من هذا التجدد الزمني المشرق يفيد الإنسان منه الجد؛ فإنه كلما كبر صغر عمره، وقرب أجله، وضائق مهلة حياته، ومن كان كذلك فليقصر الأمل،



النور السائر من خطب المنابر

وليحسن العمل مع تقدم الزمن ومروره.

أيها الصائمون، في ختام شهر رمضان ليالٍ مباركة هي العشر الأخيرة من رمضان، التي كان رسول الله ﷺ يستعد له استعداداً خاصاً، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد وشد المنزر (١).

وقد تميزت على العشرين السابقة بمزايا وخصائص تجعلها محل اهتمام المسلم الحريص على الخير والسبق إلى الفضل.

فمن فضائلها: مشروعية الاعتكاف في المساجد الجامعة؛ ليتفرغ فيها العبد الصائم لروحه وقلبه، بعيداً عن مشاغل الدنيا واهتماماتها.

وقد اعتكف رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده؛ لنيل هذا الخير العظيم.

إن المعتكف يتأمل في هذه المدة اليسيرة في حاله ماذا قدم، وماذا سيقدم من الأعمال، فيتفكر في سالف أيامه: فإن كان محسناً يزد في إحسانه، ويعترف بتقصيره تجاه ربه.

وإن كان مسيئاً تضرع إلى الله تعالى ودعاه بغفران ذنبه، وستر عيبه، مع ندم صادق على زمان انقضى في التضييع والعصيان.

ويتفكر في مستقبل أيامه التي يكتنفها المجهول، فيعزم على الجد وترك التفریط

(١) متفق عليه.



والفتور، ويدعو الله تعالى بالتوفيق والسداد في القول والعمل.

فالاعتكاف فرصة للمراجعة والمحاسبة، وفرصة للتزود وشحذ الهمة الإيمانية، وطلب الصواب في قابل الأيام.

والاعتكاف فرصة لتعويض ما ضيع الصائم في أيام رمضان الأولى، فإن كان جرح صومه بمخالطة الناس فلم يسلم صومه من غيبة أو تعدد فالاعتكاف مكان للسلامة والمداواة.

وإن كان فاته القيام فيما مضى فالاعتكاف يعينه على المحافظة على القيام فيما بقي.

وإن كان قد شُغل عن كثرة قراءة القرآن وتدبره فالاعتكاف ظرف كريم لما فاته من ذلك.

أيها الصائمون، ومن مزايا هذه العشر الأخيرة وفضائلها: أن فيها ليلة شريفة القدر عظيمة الفضل، لا يُلقى خيرها إلا ذو حظ عظيم من الصبر والجد والاجتهاد.

هذه الليلة ليلة أنزل الله فيها القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

في هذه الليلة تقدر الآجال، وتقسم الأرزاق للعام القابل، ويضاعف فيها العمل الصالح، وتنزل فيها ملائكة السماء إلى الأرض؛ لكثرة خير هذه الليلة وبركتها.

هذه الليلة هي ليلة القدر قال تعالى: ﴿حَمْدٌ ۝١ وَاللَّيْلِ ۝٢﴾ إِنَّا

أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ۝٣ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٤ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا

النور السائر من خطب المنابر

مُرْسَلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ [الدخان: ١-٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُوتُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾ [القدر: ١-٥].

هذه الليلة غير معروفة الزمن تحديداً؛ حتى يجتهد الناس في العبادة. غير أنها في العشر الأواخر أقرب، وفي أوتارها أقرب، وفي السبع الأواخر أقرب.

قال رسول الله ﷺ: (التمسوها في العشر- الأواخر من رمضان، ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى) (١).

ويستحب تحري هذه الليلة بكثرة العبادة، وتخصيصها بالدعاء الوارد عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: يا رسول الله، أرايت إن وافقت ليلة القدر ما أدعو؟ قال: (تقولين: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني) (٢).

فيا أيها الصائمون، هذا منهل عذبٌ فأين ورّاده، وزاد نافع أين أهله وقصاده، فيا سعداً من ظفر بخيره، وغنم فضله، فصار من الفائزين، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية....

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والنسائي والحاكم، وهو صحيح.



## رمضان والجهاد<sup>(١)</sup>

الحمد لله الذي أعز من أطاعه واتفاه، وأذل من خالفه وعصاه، مكن لمن نصر- دينه ووالاه، وقهر من حارب شره وعاداه، وأشهد أن لا إله إلا الله، لا معبود لنا غيره، ولا رب لنا سواه، وأشهد أن محمد بن عبد الله نبيه ومجتابه وخليته ومصطفاه، بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده حتى توفاه الله.

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره وسلك منهجه واتبع هداه.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۚ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. أيها الصائمون، في مثل هذا اليوم المبارك يوم الجمعة السابع عشر من رمضان قبل

(١) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في يوم ١٧/ رمضان/ ١٤٣٤هـ، ٢٦/ ٧/ ٢٠١٣م.



النور السائر من خطب المنابر

عام ألف وأربعمائة واثنين وثلاثين للهجرة النبوية حدث حدثٌ عظيم هز جزيرة العرب، وغير مجرى التاريخ، وقلب موازين القوى، ولفت انتباه الناس إلى أن الأمور لا تبقى دائماً على ما هي عليه من الظاهر، وأن هناك قوى وأموراً تخفيها سُجف الغيب عن نظر البشر- القاصر تنتظر الميلاذ؛ لتخرج من أرحام الغيوب إلى عالم الشهادة؛ فتحول عجلة الزمان إلى طريق أخرى.

فيعز ذليل ويكثر قليل، ويقوى ضعيف ويضعف قوي، وينتصر مظلوم ويقهر ظالم، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبواب، ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ شَاءٍ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ شَاءٍ وَتُعْزِزُ مَنْ شَاءَ وَتُذِلُّ مَنْ شَاءَ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

هذا الحدث الكبير كان نكسة كبيرة لرؤوس الظلم والجبروت والفخر والخيلاء، خسر- الباطل فيه بعض زعمائه، وأضاع فيه الغرور عصابة من كبرائه، خرجوا بطراً ورتاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط.

في هذا اليوم من ذلك الزمان أركب الشيطان ثلة من أوليائه مراكب الهلكة، وهم يحسبون أنهم خارجون إلى نزهة مع الهوى، ثم يؤوبون قافلين منصورين ظافرين، وذلك حين ﴿ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٤٨].

أمة الإسلام، في هذا اليوم الأغر في مدينة رسول الله ﷺ في شهر رمضان من العام

الثاني للهجرة عند ماء يسمى بدرأ التقى معسكر الإيوان: المهاجرون والأنصار بمعسكر الطغيان: مشركي قريش عبدة الأوثان، فتقابل الحق والباطل، والخير والشر، والنور والظلام، والإسلام والكفر، فكان آية من آيات الله تعالى، ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اتَّفَتَتَا فِعَةً تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣].

أيها المسلمون، إن يوم بدر يوم مشرق في تاريخ الإسلام، أضاء للمسلمين طريق العزة، وفسح الدرب أمام موكب الدعوة الحقّة؛ لتنتقل لفتح الأبواب الموصدة تجاه النور الساطع؛ ليملاء الآفاق والسبل. ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٦].

لقد كان يوم بدر يوماً أَرَادَهُ اللهُ تعالى، وإن لم يستعد له جند الإسلام الاستعداد التام، هم أرادوا العير والله أراد النفير، فكان الخير فيما أَرَادَهُ العليم الخبير.

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأنفال: ٥-٧].

كان ذلك اليوم الميمون موعداً اجتمع فيه جند الحق من السماء والأرض لمقارعة جند الباطل الذي صلب عود كبريائه، واشتد حبل إيذائه للفتنة المؤمنة، ووقف حجر عشرة أمام



النور السائر من خطب المنابر

النفوس الظائمة لزمزم الإيوان، فلما بلغ السيل الزبأ، ووصلت الغطسة المدى، وجاءت بحدها وحديدها تحاد الله ورسوله لتطفأ جذوة الهدى جاء نصر الله على حاجة. ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأفال: ١٢].

وقال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [١١٣] ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَأَلْفٍ مِنَ الْمَلَكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ [١١٤] ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَأَلْفٍ مِنَ الْمَلَكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [١١٥] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِينَ قُلُوبِكُمْ بِهِ. وَمَا لِنُصْرٍ إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٣-١٢٦].

أيها الصائمون، في هذه المعركة المقدسة واجهت الفئة المؤمنة الفئة القرشية الكافرة بجلد وثبات، وعزم لا تحبو جذوته، وعشق للموت لم تعرف له قريش مثيلاً. فانتتهت معركة الفرقان بهزيمة ساحقة تجرعها الكفر وساغها، وجاءه الموت من كل مكان على يد ثلة قليلة العدد والعدة، ولكنه الإيوان الذي يصنع العجائب.

خلفت المعركة وراءها سبعين قتيلًا، وسبعين أسيراً من المشركين، كان لصناديدهم وكبار أشقيائهم نصيب وافر ما بين قتيل وأسير. ليعذبهم الله بأيدي المؤمنين وينصرهم عليهم ويشفي صدورهم، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم.

لترتفع بعد ذلك راية الإسلام خفاقة في السماء، وتنكس أعلام الشرك والنفاق واليهودية المحرفة، وليموت أهل الباطل كمدًا وغيظًا؛ ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا حَآبِيئِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٧].



أيها المسلمون، إن شهر رمضان شهر الجِد والعمل، وليس شهر العجز والكسل؛ فهو في تاريخنا العريق شهر الفتوحات والملاحم.

فبعد غزوة بدر التي كانت في رمضان جاءت فتوحات أخرى للمسلمين في رمضان أيضاً.

ففي رمضان من العام الثامن للهجرة فتحت مكة المكرمة، وطُهرت من رجس الوثنية، وكان ذلك منطلق النصر إلى ما بعده من الانتصارات.

وفي رمضان من العام الثاني والتسعين من الهجرة فتح المسلمون بلاد الأندلس التي قامت فيها حضارة إسلامية دانت لها الدنيا آنذاك.

وفي رمضان من العام الثالث والثلاثين بعد المتئين من الهجرة فتح المسلمون مدينة عمورية، أيام حكم الخلافة العباسية.

وفي رمضان من العام السادس والستين بعد الستمائة من الهجرة انتصر المسلمون على الروم في أنطاكية.

وفي رمضان من السنة الثامنة والستين بعد الستمائة من الهجرة نصر الله المسلمين على التتار في معركة عين جالوت الشهيرة التي كانت سداً منيعاً أمام عزم التتار على اكتساح بلاد المسلمين وإذلالهم.

أيها الصائمون، إن عدو الإسلام والمسلمين لا يكبح جماح بطشه واعتدائه إلا قوةً تواجهه، وجهاد يوقف مدّ ظلمه وصدّه عن الحق. ولا يمكن أن يكون الذل وتقديم

\_\_\_\_\_ النور السائر من خطب المنابر

التنازلات الدينية والدينية سبيلاً إلى احترام المسلمين ومنع الصيالة عليهم، والكف عن تدنيس مقدساتهم وكرامتهم، وهضم حقوقهم بين الناس.

فلا حل لمواجهة القوة الظالمة إلا تحرك القوة العادلة، ولا رد لتيارات الإذلال الهادرة إلا موانع من العزة والكبرياء التي لا تعرف الوهن، أما من استمرى القهر فلا يبالي.

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

عباد الله، إن المسلمين الأوائل الذين ذاقوا طعم العزة لم يصلوا إليها إلا بعد كفاح ومهر غال بذلوه من دمائهم وممتلكات دنياهم، فهاهم العدو في عقر داره، ودفع الجزية عن يد وهو صاغر وهم في عقر دارهم، ولو أحبوا الدنيا كما أحبها كثير ممن تلاهم، وكرهوا المنيا في سبل الحق كما كرهها من وراءهم لصارت الأحوال متشابهة.

قال رسول الله ﷺ: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها)، قال: قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: (أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غشاء كغشاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن)، قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: (حب الحياة وكرهية الموت)<sup>(١)</sup>.

أيها المسلمون، إن الله تعالى شرع الجهاد في سبيله حفظاً للملة، وزياداً عن النفوس والأعراض والأموال والحقوق المعصومة، وسن فيه قوانين عادلة تمنع من الجور مع العدو المحارب؛ ولذلك لا يوجد في الأرض كلها- والنصوص الشرعية

(١) رواه أحمد والبيهقي والطبراني، وهو حسن.



والتاريخية تشهد - حروب أعدل من حروب المسلمين المجاهدين الصادقين للكافرين المحاربين.

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ. عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

أيها المسلمون، إن عبادة الجهاد في سبيل الله تعالى من أعظم العبادات؛ فهي ذروة سنام الإسلام، وعمل من أعظم الأعمال، بل لا عمل في الإسلام يعدل الجهاد في سبيل الله تعالى، فقد سئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ فقال: (إيمان بالله ورسوله). قيل: ثم ماذا؟ قال: (الجهاد في سبيل الله). قيل: ثم ماذا؟ قال: (حج مبرور)<sup>(١)</sup>.

وقيل للنبي ﷺ: ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل؟ قال: «لا تستطيعونه». قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه». وقال: في الثالثة: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى إلى أهله»<sup>(٢)</sup>.

وأما أهله المخلصون فيه فهم في أعلى المراتب وأسمى المقامات؛ فقد قال تعالى:

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَىٰ

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.



النور السائر من خطب المنابر

الْقَوِيدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٦﴾ [النساء: ٩٥-٩٦].

وأما الفائزون بالشهادة في سبيل الله فلهم من الكرامة والجزاء الحسن خير عظيم، فمن ذلك أن لهم حياة خاصة في البرزخ دون بقية الناس، وفرحاً واستبشاراً بما نالهم من النعيم الكبير، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

إن الشهيد حينما يرى إكرام الله تعالى له يجب أن يرجع إلى الدنيا؛ ليقاتل في سبيل الله فيقتل، قال النبي ﷺ: (ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات؛ لما يرى من الكرامة)<sup>(١)</sup>.

أيها المسلمون، إن الأمة الإسلامية في العصور المتأخرة أصيبت بالانحطاط والهزيمة من أعدائها، ومن أسباب ذلك: ترك الجهاد في سبيل الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)<sup>(٢)</sup>.

أيها المسلمون، إن الجهاد في سبيل الله تعالى ليس محصوراً في ميدان القتال

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البيهقي وأحمد وأبو داود، وهو صحيح.



فحسب، بل هو أوسع من ذلك، فهناك الجهاد بالمال من أجل نصره هذا الدين، وهناك الجهاد بالكلمة نشراً للإسلام، ودفاعاً عنه، ورد الشبهات عن حماه، وهناك غير ذلك مما فيه نصر وإعزاز للإسلام والمسلمين.

أسأل الله تعالى أن يرفع راية الإسلام على كل الرايات، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.



النور السائر من خطب المنابر

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه  
أجمعين،

أما بعد:

أيها الصائمون، إن حياة المسلم الصادق كلها جهاد ومراغمة ومصابرة لأعداء  
الحق من الداخلين والخارجيين، وهذا جزء من تكاليف العبودية. والجهاد بالسلاح  
والكلمة قد لا يتيسر- لكل مسلم؛ ولذلك هناك مجالات أخرى للجهاد يشترك فيها  
جميع المسلمين.

فعدم الاستجابة لدواعي الهوى والشيطان والنفس الأمارة بالسوء هو الجهاد  
الأكبر الذي يتولد عنه الجهاد في ميدان القتال وميدان كلمة الحق، فمن لم يجاهد نفسه  
وهواه- وهما العدو الداخلي- لن يستطيع أن يجاهد الكفرة والمنافقين، وهم العدو  
الخارجي.

قال رسول الله ﷺ: (المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر  
الخطايا والذنوب)<sup>(١)</sup>.

أيها الصائمون، نحن في شهر عظيم لمجاهدة النفس، فالقيام بفريضة الصيام،  
والمسابقة إلى الإكثار من الصلاة والصدقة والقراءة والقيام وسائر الطاعات هو من

(١) رواه أحمد والبيهقي والطبراني والترمذي وابن حبان، وهو صحيح.



المجاهدة.

لأن لزوم الطاعات فرضها ونفلها ثقيل على النفس يحتاج وقتاً طويلاً للانتصار فيه عليها، قال بعض السلف: "جاهدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت". لكن حينما تُربى النفس على فعل الطاعات وتجاهد على الاستمرار عليها تصير لها سجية، وأنساً لا تستطيع الراحة إلا معه. قال أحد الصالحين: "جاهدت نفسي في قيام الليل عاماً فذقت حلاوته عشرين عاماً".

ومن مجاهدة النفس في رمضان: أن يحافظ الصائم على صيامه من ركوب الخطايا القولية والفعلية، فيعود نفسه على القول الحسن، والاستماع المباح، ويبعد نظره ويده وخطاه عن كل ما حرمه الله عليه.

وهذه المجاهدة لعلها أشق من الأولى؛ لأن فعل الأوامر قد يوافق رغبة داخلية في الإنسان، وقد تكون تلك الأوامر محدودة القدر والزمن، بخلاف بعض المعاصي التي تركها صعب على النفوس؛ لأن دواعي المعصية وجواذبها كثيرة.

فيا سعد من جاهد نفسه، وانتصر. عليها حتى ألزمها طريق الاستقامة، وصار لها قائداً إلى مسالك الهدى والرشاد.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

هذا وصلوا وسلموا على النبي المختار...

## رمضان والدعاء<sup>(١)</sup>

الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، وعلم دعوات عباده مع اختلاف اللغات، بيده قضاء الحاجات، وكشف المكروهات، ونيل الأمنيات، سميع قريب، رحيم مجيب، في جميع الأحوال والأوقات.

وأشهد إلا إله إلا الله وحده لا شريك له، مغيث المستغيثين، ومجيب دعوة المضطرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير الداعين، وسيد المتضرعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَجَدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].  
 ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر

(١) ألقى في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٢/ رمضان/ ١٤٣٢ هـ.

الأمر محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الصائمون الأفاضل، فما زالت عطايا الرب الكريم في الشهر الكريم تتوالى وتتجيب لأهل الطاعة؛ عليها تجد لديهم همة عالية وعزيمة صالحة تُقبل بهم إلى معين تلك العطايات السنوية؛ ليغسلوا أرواحهم، ويظهروا قلوبهم؛ لتصفو- بعد ذلك- دنياهم وأخراهم.

ألا وإن من تلك التحف الثمينة التي يجدها الصائم في هذا الشهر الخير: استجابة الدعاء.

عباد الله، لقد قرن الله تعالى الدعاء بالصيام عندما تحدث عن آيات الصيام؛ ليعلمنا أن للدعاء شأنًا عظيمًا في رمضان، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فالروح في رمضان تسمو وتقبل، والقلب يرق ويخشع، والعين تبكي وتدمع، والنفس والهوى ووساوس الشيطان تقيم في هوة الانكسار والفتور.

فحينها يصل الصائم إلى هذه الحال من الاستقامة والإخبات بحيث اكتست جوارحه بالعمل الصالح والاستجابة والانقياد لربه يكون إقباله على الدعاء بقوة يقين، وذل وإحاح شديدين بين يدي ربه، فيغدو عند ذلك مسموع الدعوة، قريب الإجابة.

قال رسول الله ﷺ: (ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد، ودعوة الصائم،

ودعوة المسافر<sup>(١)</sup>.

أيها المسلمون، إن ربنا تبارك وتعالى يدعونا إلى دعائه، وعرض حاجتنا بين يديه، فيقول جل وعلا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. أي كرم هذا! يحثنا على دعائه ويعدنا الإجابة! فأين الداعون المستجيبون لربهم وهو يندبهم إلى الدعاء ويتفضل عليهم بالإجابة؟.

إن الدعاء-معشر- الصائمين- يُظهر عبودية العبد لربه، ويعرف الإنسان بأنه مخلوق فقير لخالق غني، وأنه محتاج يطلب كفايته من سيده القادر الكريم. وذلك حينما يرفع يديه إليه في ذل وانكسار، وخشوع ورجاء، ويقول: يا رب يا رب، عندها يشعر بعزة عبوديته لله، ولذة مناجاته والإلحاح عليه، ويجد أنس النفس بالاقتراب من ربه الرحيم، وانسراح الصدر ببث ما فيه إلى سيده العظيم.

ما أحسن تلك اللحظات-أيها الصائم الكريم- وأنت تناجي مولاك، وتبثه شكواك، وتطلبه حاجاتك، وتنزل به-وحده- طلباتك، ولم تسألها من البشر- بل خصصت ربك بطلبها؛ فهو القدير الغني الذي يكفي ويقضي- حاجات عباده المنكسرين بين يديه، ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: (يا عبادي، لو أن أولكم

(١) رواه البيهقي، وهو صحيح.



وأخركم، وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسأله ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر<sup>(١)</sup>.

لا تسألن بني آدم حاجة      وسل الذي أبوابه لا تحجب  
الرب يغضب إن تركت سؤاله      وبني آدم حين يُسأل يغضب

أيها الأحبة الكرام، لماذا لجأ الناس إلى الناس وتركوا رب الناس؟! لماذا كثر التذلل بين أيدي الخلق ولم يكن ذلك بين أيدي الخالق؟! لماذا بحث البشر عن الحلول لمشكلاتهم في الأرض ولم يبحثوا عن حلها في السماء؟! أما تشاهدون ذلك واقعاً في حياتنا-نحن المسلمين؟

أمن العقل والحكمة أن يُدعى العاجز والقادر موجود، ويستغاث بالضعيف والقوي ينتظر من يدعوه، ويُستمنح البخيل والكريم باذل لمن يأتيه ما يرجوه؟ أليس الله أرحم وأكرم أن يُدعى ويُسأل دون غيره!.

وإذا ابتليت بمحنة فالبس لها      ثوب السكوت فإن ذلك أسلم  
لا تشكون إلى العباد فإنها      تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

أيها الصائمون، إن الدعاء عبادة عظيمة تحمل معها دلالات واضحة على صفات المدعو سبحانه وتعالى، فالدعاء يدل على وجود الله تعالى؛ لأن الغائب لا يدعى، وعلى قدرة الله؛ فالعاجز لا يُسأل، وعلى قوة الله؛ فالضعيف لا يُرجى، وعلى غنى الله؛

(١) رواه مسلم.

النور السائر من خطب المنابر

فالفقير لا يطلب، وعلى سمع الله؛ فالأصم لا ينادى، وعلى علم الله؛ فالجاهل لا يغني شيئاً، وعلى كرم الله؛ فالشحيح لا يُسأل، وعلى رحمة الله عز وجل؛ فالغليظ الجاني لا يطلب فضله وخيره.

عباد الله، لا يظنن ظان أنه إن دعا الله تعالى ولم ينل إجابة سريعة أنه قد خسر، كلا، بل أبشر- أيها المسلم الداعي، فهناك خير كثير ينتظر الداعي المخلص وإن لم يحصل على مطلبه العاجل. قال النبي ﷺ: (ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها مآثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه إحدى ثلاث: إما أن يستجيب له دعوته، أو يصرف عنه من السوء مثلها، أو يدخر له من الأجر مثلها) قالوا: يا رسول الله، إذا نكث قال: (الله أكثر) (١).

فماذا فاتك أيها الداعي؟ فرب شُرف عنك وأنت لا تدري أن الدعاء كان سبب ذلك، وكم من خير قد يكتنز لك ليوم الحاجة الكبرى بدعواتك، فلا تمل من الدعاء فأنت كاسب على كل حال، وأما من استحسر- عن الدعاء استعجالاً للإجابة فهو الخاسر حقاً.

قال النبي ﷺ: (لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل) قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: (يقول: قد دعوت، وقد دعوت فلم

(١) رواه أحمد والحاكم، وهو صحيح الإسناد.



أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء<sup>(١)</sup>.

أيها المسلمون، إن الحياة الدنيا مشوبة بالأكدار والآلام، والأوجاع والأسقام، والشدائد والمصائب، والكروب والأحزان، فقر وديون، أمراض وذل، حروب وفتن، اضطراب وقلق، عقم وعنوسة، مع حاجات مستمرة، وأمانٍ غير منقطعة.

ثمانية لا بد منها على الفتى      ولا بد أن تجري عليه الثمانية  
سرور وبئس واجتماع وفرقة      وعسر - ويسر - ثم سقم وعافيه

من لهذه التحديات الحياتية الكبيرة؟ هل يستطيع هذا الإنسان الذي يحيط به النقص من كل جانب أن يتنصر. عليها وحده؟ إذا ظن بنفسه - دون عون ربه - القدرة عليها فقد خذل وذهب في كل مهلك.

إذا لم يكن عون من الله للفتى      فأول ما يقضي - عليه اجتهاده

إن المسلم الصادق يستطيع التغلب على هذه العضلات والخروج بالظفر منها إذا لجأ إلى الله تعالى وتضرع بيقين بين يديه.

وكم في التاريخ والواقع من نماذج تبرهن على هذا.

فأنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام واجهوا كرباً وشدائد خاصة وعمامة فكان الدعاء سبيلهم السالك إلى كشف تلك البليات.

فهذا نوح - عليه السلام - آذاه قومه وتهددوه وسخروا منه ولم يستجيبوا لدعوته

(١) رواه مسلم.

النور السائر من خطب المنابر

بعد ذلك العمر المديد في دعوتهم، حينها طرق نبي الله نوح باب الدعاء فكانت النجاة والغلبة له ولمن تبعه على قومهم الكافرين.

قال تعالى: ﴿ وَنوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ [الأنبياء: ٧٦-٧٧].

وذاك يعقوب عليه السلام الذي فقد أحب أولاده إلى قلبه الأول ثم الثاني فترة من الزمن، فوكل أمره إلى السميع القريب سبحانه وتعالى ودعاه فاستجاب الله تعالى له، فقال: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ [يوسف: ٨٦]. وقال تعالى: ﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ [يوسف: ٩٣-٩٦].

وموسى عليه السلام حينما خرج إلى مدين وسقى للمرأتين شياهما اشتد عليه الجوع فلم يسأل أحداً، وإنما سأل الله تعالى، فقال: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ [القصص: ٢٤].

وأيوب عليه السلام اشتد مرضه وطال سقمه، فرجع أمره إلى ربه جل وعلا فقال

تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ ۖ وَعَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ، وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا عِنْدَنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٠-٨٤].

ويونس عليه السلام لما أمسى حبس بطن الحوت في قاع البحر في ظلمة الليل دعا ربه في تلك الظلمات قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُثَجِّى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وزكريا عندما امتد عقمه، وطال عمره، واشتد شوقه إلى ولد يؤنسه ويرثه من بعده على بني إسرائيل لجأ إلى كشاف الكروب والقادر على تحقيق المرغوب، فقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ، رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨١﴾﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام قد دعا الله تعالى وتضرع بين يديه في الرغب والرهب كثيراً، فدعا لنفسه، ولأصحابه ولآل بيته، ولأمته، وأمثلة ذلك عديدة.

ففي بدر دعا فقال: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) (١).

(١) رواه مسلم.

النور السائر من خطب المنابر

وعن عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: (اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم)<sup>(١)</sup>.

وفي أيام حكم المأمون في الخلافة العباسية تبنى هذا الحاكم امتحان الناس بالقول بخلق القرآن، فمن استجاب له تركه، ومن خالفه كان مصيره القتل أو السجن والتعذيب، وكان من بين من أبى الاستجابة لدعواه الباطلة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فأمر بسجنه وتعذيبه، ثم أمر بالإتيان به إليه؛ لكي يكون آخر الأمر أن يُقتل بين يديه، وكان قد جهز له سيفاً صلتاً يقتله به، فدعا الإمام أحمد ربه أن يكفيه شر هذا الطاغية فاستجاب الله دعوته، فأتى الناعي بموت المأمون وأحمد في الطريق فأعيد إلى السجن ولم يقتل.

وهذا رجل كانت زوجته تعاني من أكياس دهنية في الرحم فقررت لها الطبيبة عملية جراحية عاجلة، فحار الرجل؛ لأنه لا يجد المال الكافي لتلك العملية، فدعا الله تعالى واستمر في رقية زوجته مدة شهرين كاملين، ثم أعاد الفحص مرة أخرى عند الطبيبة نفسها، فلم تجد شيئاً من تلك الأكياس، فتعجبت الطبيبة وسألت المرأة: أين أجرتم العملية؛ لأنها لم تجد تلك الأكياس؟ فقالت المرأة: إنه الدعاء والرقية الشرعية.

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج



## ضاقتم فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنتم أظنها لا تفرج

أيها الصائمون، في هذه الأيام المباركة ألحوا على الله تعالى بالدعاء والسؤال لأنفسكم وأهاليكم وأولادكم وللأمة الإسلامية جمعاء.

فما أحوجنا - في هذه الأيام إلى الدعاء-! كثرت الفتن، واشتدت عُقد الحياة، وضاقتم معاش الناس، وتواترت المصائب الخاصة والعامة من كل جانب، وفي خضم هذه الظلمات لا ينجي الإنسان المسلم إلا رجوعه إلى ربه ودعاؤه وابتهاله واليقين بأن الفرج من عنده.

نظر الناس يميناً وشمالاً والتفتوا إلى كل وجهة يظنون وجود الحلول هناك لكنهم لم يجدوا، أفما كان الأولى بالمسلمين أن يقصدوا باب الكريم سبحانه وتعالى صادقين فيدعوه واثقين، ويمدوا أيديهم إليه مستغيثين طالبين، فلو فعلوا لما خابوا؛ فالله سميع مجيب، ولكن أين الأدعية الصادقة والأيدي الصالحة المرفوعة؟

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها الصائمون، قال العرب: السيف بضاربه، وقالوا أيضاً:

إن السيوف مع الذين قلوبهم كقلوبهن إذا التقى الجمعان  
تلقى الحسام على جراءة حده مثل الجبان بكف كل جبان

وكذلك الدعاء؛ فإنه يحتاج إلى داع اجتمعت فيه وفي دعائه أسباب الإجابة؛ فإن دعاء الله تعالى عبادة لا بد فيها من شروط وآداب حتى ينيل الله صاحبها ما يريد.

فمن آداب الداعي: أن يكون مخلصاً في دعائه، ولو كان الدعاء خفياً بينه وبين ربه فذاك أقرب إلى الإخلاص، وأن يكون واثقاً بالله وأنه لا يقضي حاجته إلا هو، وعلى قدر يقينه تكون إجابته.

وأن يكون حاضر القلب، بعيداً عن الغفلة أثناء دعائه، فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: (القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله عز وجل يا أيها الناس، فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة؛ فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل)<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أحمد بإسناد جيد.

وأن يكون آكلاً للحلال بعيداً عن الحرام، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]». ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يا رب، يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك! « (١).

وأن يكون من أهل الدعاء في السراء والضراء، قال سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إذا كان الرجل يدعو الله في السراء فنزلت به الضراء فيدعو فتقول الملائكة: صوت معروف من آدمي ضعيف كان يدعو في السراء فيشفعون له، وإذا كان الرجل لا يدعو الله في السراء فنزلت به الضراء فدعا فيقول الملائكة صوت منكر من آدمي ضعيف كان لا يدعو الله في السراء فنزلت به الضراء، فلا يشفعون له".

ويا حبذا لو كان الداعي متوضئاً، متجهماً نحو القبلة، مثنياً على الله تعالى بما هو أهله قبل دعائه، رافعاً يديه إلى الله تعالى، فعن سلمان عن النبي ﷺ قال: (إن ربكم حيي كريم، يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه فيردهما صرفاً أو قال: خائبين) (٢).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن ماجه والبيهقي، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

أيها الأحباب الكرام، وأما الدعاء فلا بد أن يكون مباحاً، ليس فيه ما هو محظور في الشرع، قال النبي ﷺ: (لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم) (١). والإثم يشمل كل دعاء يجر إلى الذنب، والقطيعة تشمل كل دعاء فيه ظلم للمسلمين من الأقارب أو الأبعد.

ويا حبذا لو اختار جوامع الدعاء في دعائه، وجوامع الدعاء: هي الأدعية التي تتضمن خيري الدنيا والآخرة، ومنها- مما دعا به رسول الله ﷺ: - ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، وكذلك: اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر.

وأن يختار الأوقات المناسبة لإجابة الدعاء ومنها: نهار الصيام وعند فطره، والساعة الأخيرة من يوم الجمعة، وفي السجود، وفي الثلث الأخير من الليل ومنه عندما يقوم للسحور، وبين الأذان والإقامة، غير ذلك.

فيا أيها الصائمون، الدعاء الدعاء؛ فأنتم في زمن يتفضل الله تعالى فيه على عباده الصالحين، ويكرم فيه الصائمين المخلصين؛ فكونوا من أهل المسارعة في الطاعة، والإلحاح في الدعاء؛ فإنه من أعظم الطاعات، وأجل القربات، فادعوا تفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة.

فاللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك



---

---

من الشر. كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونسألك من خير ما سألك منه  
عبدك ورسولك محمد، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه عبدك ورسولك محمد،  
ونسألك صلاح الدين والدنيا والآخرة، يا كريم.  
ثم صلوا وسلموا على من أمرتم بالصلاة والسلام عليه....

## وداع رمضان (١)

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعونه تُنال المنى وتُبلغ الغايات، حمداً طيباً مباركاً فيه ملئ الأرض وملئ السموات، وملئ ما شاء ربنا من شيء بعد.

له الحمد كما ينبغي لوجهه وعظيم سلطانه، وله الشكر على جزيل كرمه، ووافر امتنانه. له الحمد في أول الأمر وآخره، وباطنه وظاهره، وعلنه وسره، وحلو القدر ومره. له الحمد كما حمد نفسه وفوق ما يحمده خلقه.

وأشهد أن لا إله إلا الله الحي القيوم الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون، الذي لا يزال على العرش مستويا، وفي الوجود حيا باقيا، لا يزول ولا يحول، وخلقه في تحول وزوال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خاتم الأنبياء والمرسلين، وإمام الأصفياء والمتقين، من عبد ربه حتى أتاه اليقين، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله -عباد الله- وداوموا عليها في كل زمان ومكان، كما قال تعالى لسيد المتقين -عليه الصلاة والسلام: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ

(١) أُلقيت في مسجد ابن تيمية في ٢٦/ رمضان/ ١٤٢٩ هـ، ٢٦/ ٩/ ٢٠٠٨ هـ.

## كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ [الأحزاب: ١].

أيها الصائمون، اعلّموا -رحمني الله وإياكم- أن الدهر يمضي. ولا يعود، وأن أيامه تجري تبعاً بلا سكون، حلوها ومُرُّها، وخيرها وشرها، وهي غنيمة باردة لمن سابقها فسبقها أو أدركها، والحياة مهلة واحدة لا تتكرر، والفرص متحولة لا ترجع، والآجال خطّافة، لا تَرِيث ولا تمهل.

يركض الزمان بالإنسان لينقله من مكانه الموقوت حتى يستقر في موطنه الخالد: إما الجنة وإما النار.

كلما بلغ الدنيوي مدة من العمر نقص نصيبه من الحياة الدنيا؛ فإنه كلما زاد نقص، وإذا امتد مكثه قُرب نكته.

لكل شيء إذا ماتم نقصان      فلا يُغَرِّبُ طيب العيش إنسان  
وهذه الدار لا تبقي على أحد      ولا يدوم على حال لها شان

عباد الله، لقد دنت ساعات الرحيل، وبدت أمارات التوديع من الضيف الكريم. فبينما قبل أيام قلائل نستقبله بشوق وتلهف، إذا بنا نودعه بحزن وتأسف. نعم، نودعه بالحزن على تلاوته وصيامه، وسخائه وقيامه، وتطهيره للنفس ورفعته للروح على مراقبي السعود إلى سعادات الدنيا والآخرة.

فوا أسفاه على تلك الرياض النضرة، والنسائم العطرة؛ فالمسرة لا تدوم.

كانت تلك الأيام والليالي لحظات سعيدة مرت وسرعان ما قربت من الأفول؛

النور السائر من خطب المنابر

فساعات الحلاوة دقائق.

أيها الصائمون، ها هو رمضان على وشك أن يرفع مائدته المباركة بعد أن مدها لباغي الخير، فهلا امرؤ منا وقف عند هذا الفراق وقفة محاسبة وتأمل فيما قدم في الأيام والليالي القريبة الخالية.

هلا سأل الصائم نفسه كيف كان صيامه؟ أكان صوماً يرضي ربه تعالى: نوى به القربة والزلفى، لا الموافقة والمجاراة للناس؟ وهل وصل صيامه عند الخاتمة سالماً من الجروح التي تخدش الصيام كسيئ القول والعمل؟

ما كان نصيبه من التلاوة، والقيام، والصدقة، وبذل الخير للناس؟

هل رق قلبه، ودمعت عيناه، وطابت نفسه، وارتفعت روحه، وصلحت جوارحه؟

هل غير رمضان حياته إلى الأفضل، أو أن رمضان كغيره من شهور العام؟

فمن وجد من المحاسبة في نفسه وعمله خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلو من إلا نفسه.

أيها الصائمون، ها هو شهر الصيام يلوح بالوداع، ويوشك أن يذهب عنا فماذا تعلمنا من هذا المعلم النافع؟

لقد علمنا رمضان أن الإنسان ضعيف مهما كان قوياً؛ ففقد اللقمة والشربة يُنهكه،

وتضييق مجال الشهوة قد يتعبه، فهو فقير الحاجات، فلماذا تستغني عن ربك يا ابن ادم،  
وأنت فقير إليه!

وأظهر لنا رمضان جانباً من جوانب رحمة الخالق الرازق بعباده حيث هيا لهم  
الطعام والشراب الذي يحفظ بقاءهم، ويجدون فيه لذتهم وراحتهم، مذكراً لنا- ونحن  
نتقلب في هذه النعمة متناولين ما نشاء مما أباح لنا- أقواماً لا يجدون ما نجد، حتى  
أصبح الجوع والحاجة شعارهم ودفارهم طوال العام.

وعلمنا معلمنا الحبيب رمضان أن السعادة الحقيقية هي سعادة الروح لا سعادة  
البدن، وأن ظن السعادة بظاهر الحياة ولذاتها الحسية ظن كاذب وبرق خلب: لا غيث  
فيه.

ففي رمضان تتجلى السعادة الروحية في صيام صادق، ومناجاة خاشعة، وتلاوة  
متدبرة، وكف سخية في دروب البر.

وعلمنا رمضان أن النفس لا تصلح إلا بكبح جماحها، ومنعها أهواءها، وحبسها  
عن طيشها، وعدم مجاراتها في شهواتها.

**وأنتك مهما تعط نفسك سؤلها تمننت وتاقت إلى كل مطلب**

ألا ما أنفع تلك الليالي الأخيرة من رمضان ونفس الصالحين مجدة، والقلب  
خاشع، والطرف داعم، والكف ممدودة إلى السماء، والأقدام منصوبة بين يدي الله  
تعالى، وبركات تلك الليالي تنزل فتكسو الوجوه ألقا، والصدور انشراحا، والنفس

النور السائر من خطب المنابر

زكاة وطهرة.

وآه من المسلمين حينما لم يتعلموا من رمضان الاتحاد وجمع الكلمة- وهو يجمعهم بالصيام في شهر واحد في العام-؛ لينهضوا من كبوتهم؛ ويصلحوا بذلك دينهم ودنياهم.

أيها الصائمون، إن رمضان سوق كثيرة الخيرات، وبضاعتهما معروضة لمن شاء، يردها الناس فيصدرون بين رابح وخاسر.

وربحها وافر مضاعف، وخسرها عظيم لو عرفه أهل الخسارة لتقطعت قلوبهم على خيره حسرات.

فالرابحون في رمضان هم الصائمون المخلصون، والتالون المتدبرون، والقائمون الخاشعون، والكرماء الباذلون لأهل الحاجة ابتغاء وجه الله تعالى.

والرابحون في رمضان من جعلوا رمضان مزرعة لخير تتدلى عليهم ثمراته في الدنيا باستقامة تعقب رمضان، وأجر ومثوبة في يوم الحساب.

وأما أهل الخسارة فهم المضيعون لحظ أرواحهم فيه، الذين فاتتهم فضائله، وتجاوزتهم نوائله.

الخاسرون فيه هم من أفطروا نهاره، وقضوا ليله في اللهو والعبث.

والخاسرون في رمضان من صاموا عما أباح الله تعالى، وأفطروا على ما حرم الله



عز وجل من هتك الأعراض بالطعن والبطش والتعدي.

الخاسرون في رمضان هم الذين لم تعرفهم المساجد، ولم تألفهم المصاحف، ولم يعرفهم القيام، ولم تدركهم ليلة القدر، ولم تعتق رقابهم من النار.

أهل الخسارة في رمضان هم الذين لم يعرفوا من رمضان إلا كثرة النوم والكسل، والتوسع في المشرب والمأكّل، والسياحة في عالم اللهو عبر الفضائيات أو صفحات الشبكة العنكبوتية، ناموا نهارهم وسهروا ليلهم في جلسات عابثة أو مجالس آثمة.

فماذا لو عرف الخاسرون قدر خسارتهم، ونتيجة تفريطهم، لا شك أنه سيشتد حزن من كان له قلب ويعظم تأسفه.

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ صعد المنبر فقال: (أمين أمين أمين) قيل: يا رسول الله، إنك حين صعدت المنبر قلت: آمين أمين أمين؟! قال: (إن جبريل أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان ولم يغفر له فدخل النار فأبعده الله قل: آمين فقلت: آمين، ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين فقلت: آمين، ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين فقلت: آمين) (١).

أيها المسلمون، في نهاية كل عمل يكون الأجر، فمن وثق عمله وفي له أجره، ومن قصر حصده نتيجة تقصيره وتفريطه حرمانا وندما:

(١) رواه ابن حبان والطبراني، وهو حسن.



## الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، لقد شرع الله تعالى للمسلم الصائم في ختام شهره شعائر يتقرب بها إلى ربه؛ ليزيد أجره، ويعظم ثوابه.

فمن ذلك: أن الله عز وجل شرع للأمة الإسلامية عيداً بعد صوم رمضان هو عيد الفطر، يفرح فيه الصائم بإتمام صيامه، ويتقاسم السرور مع أقاربه وجيرانه وخالته، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

إن العيد شاطئ السلامة بعد رحلة الجهد والعمل في شهر الصيام، فحق للصائم أن يسر بأمان الوصول، وحسن النزول.

ومع أنه يفرح إلا أن فرحه مضبوط بالشرع لا يتجاوز ما حده الله تعالى في سماع وبصر ومأكل ومشرب وهيئة.

وليت شعري أي فرح وسرور للخاسرين في رمضان؟

لأن العيد في الحقيقة إنما هو للفائزين فقط؛ ولذلك يعرف تفاوت الناس في رمضان باختلاف أحوالهم بعده.



النور السائر من خطب المنابر

فأهل التفريط لا يقدرّون الشرع حق قدره في العيد حيث يجعلون العيد زمناً للهو والعبث والمعصية، ويعدونّه فرجاً لهم من قيد الصيام في رمضان.

فبعد ما كان بعضهم يحافظ على الصلاة في أوقاتها يبدأ بتضييعها من أول ليلة من شوال. وبعد سماع القرآن صار أسير الألمان، وبعد معرفة سبل الخيرات ينهض لسلوك دروب المنكرات.

وحاله حال من قال الله فيه: ﴿كَأَلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا﴾ [النحل: ٩٢].

فيا عقلاء الصائمين، ما بهذا أمر الصائم، وما لهذا شرع العيد، فلماذا كان رمضان، إذن؟! أهو زمان عبادة موسمية تنتهي هي وآثارها الحسنة في يوم التاسع والعشرين أو يوم الثلاثين؟!

أيها الصائمون، ومن الشعائر التي شرعت للصائم في نهاية صومه: صدقة الفطر؛ طهرة له من اللغو والرفث في رمضان، وطعمة للمساكين يوم العيد. وهي فرض على من ملك قوت يوم العيد وليلته على الصغير والكبير والذكر والأنثى والحر والعبد من المسلمين، ومقدارها صاع من القوت المعتاد من بر أو أرز أو تمر أو ذرة أو نحو ذلك، وهذا الصاع يساوي كيلوين ونصف الكيلو تقريباً.

وأفضل وقت لإخراجها قبيل صلاة العيد، ويجوز تقديمها قبل ذلك بيوم أو يومين.

عباد الله، وإن كان رمضان على مشارف الوداع فإنه لم ينته بعد، ولم يخرج عنا

جميعه، فما زال في أيامه ولياليه بقية خيرة يمكن فيها عمل الكثير من البر.

فإذا ما تمت وبدا هلال شوال عند غروب يوم التاسع والعشرين من رمضان، أو غُم فأكمل رمضان ثلاثين يوماً فقد شرع للمسلم أن يكبر الله تعالى عند إكمال العدة، فإذا فعل ذلك فلعله أن يكون من الشاكرين.

قال الله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدٰنَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ١٨٥).

وصلوا وسلموا على النبي المختار....

## الناس بعد رمضان (١)

الحمد لله المعبود الحق في كل زمان ومكان، والشكر له على منته بإكمال عدة رمضان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان،، نبي الشريعة الدائمة، والرسالة الخاتمة، فصلاة ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحابه أجمعين.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَجَدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً  
 وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
 فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، أول القول حمدٌ جزيل لله تعالى على نعمة رمضان التي أنعم بها علينا فصمنا الشهر كاملاً، نسأل الله تعالى أن يتقبل منا ما عملنا فيه من الخير، ويعفو

(١) ألقى في مسجد ابن تيمية، في ٤/ شوال/ ١٤٢٩هـ، ٣/ ١٠/ ٢٠٠٨م.

عنا ما تجاوزنا فيه حدوده، فاللهم آمين.

عباد الله، لم يدم رمضان بيننا طويلاً، بل ارتحل عنا سريعاً ومعه أعمالنا: صالحها وطلحها شاهداً بها على أهلها لدى خالقنا، فمن أساء فإساءته كبيرة، ومن أحسن فلا يدري أقبل منه عمله أم رد عليه، ولكننا نسأل الله أن يعفو عنا وأن يتقبل منا صالح العمل.

فليست العبرة - معشر المسلمين - أن العامل عمل، ولكن العبرة كيف عمل العامل؛ فالله تعالى يقول: ﴿لِبَلْوَاكُمْ أَتُكْمَرُ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [المالك: ٢]. وأحسن العمل: إخلاصه وأصوبه، كما قال بعض العلماء.

كان بعض الصالحين يقفون على أبواب وداع رمضان ومعالم الحزن على وجوههم بادية، وعلى ألسنتهم ناطقة، مع أنهم كانوا يجتهدون اجتهاداً قد لا نستطيعه. فهمهم الأكبر في إتمام العمل وإتقانه، ورجاء قبوله وخشية رده.

روي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان ينادي في آخر ليلة من شهر رمضان: "يا ليت شعري من هذا المقبول فنهنيه، ومن هذا المحروم فنعزيه؟"، وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقول: "من هذا المقبول منا فنهنيه، ومن هذا المحروم منا فنعزيه؟ أيها المقبول، هنئاً لك، أيها المردود جبر الله مصيبتك".

وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "كونوا بقبول العمل أشد اهتماماً من العمل، ألم تسمعوا قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]؟".



النور السائر من خطب المنابر

وقال فضالة بن عبيد: "لأن أكون أعلم أن الله قد تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إلي من الدنيا وما فيها؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]".

وقال بعضهم: "أدرکتهم يجتهدون في العمل فإذا فعلوه وقع عليهم الهم أيقبل منهم أم لا؟!".

ورأى وهب بن الورد قوماً يعبثون حراماً بعد رمضان فقال: "إن كان هؤلاء تقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن لم يتقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الخائفين!".

أيها الناس، لقد كان رمضان كوكب إشعاع عم ضياؤه وهناؤه، ومورد خير لا تحصى فضائله وخيراته، فطوبى لمن شمله خيرُهُ وأدرکه فضله، واستمر معه أثره الحسن في استقامة النفس وصلاحها؛ فرمضان - عند ذوي الهدى - شحنة إيمانية مدخرة لما بعد رمضان تملأ الحياة نوراً واستبصاراً، ومن ذاق طعم الإيمان ووصل شغاف قلبه صعبت عليه مفارقتة.

أيها المسلمون، إذا اكتمل عقل الإنسان وبلغ بدأ تكليف الله له بفرائض يعملها ومحارم يتركها، ويبقى على هذا التكليف حتى يأتيه اليقين أي: الموت، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

ولا يخرج عن هذا التكليف إلا بفقد ما أدخله فيه وهو ذهاب العقل والتمييز للأمر.

ليتبين بعد هذا أن فرائض الله تعالى على عباده إنما فرضت على الدوام، فإن أخصبت بعض المواسم الزمانية أو المكانية بمزيد المضاعفة وكثرة الطاعة فلا يعني ذلك انحصار تلك القرب في تلك الأزمنة والأمكنة الفاضلة.

إن المداومة على العمل الصالح دليل العبودية الصادقة، سواء كان ذلك العمل الصالح فرضاً أم نفلاً، وهذا هو هدي نبينا عليه الصلاة والسلام، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً أثبتته -يعني: جعله ثابتاً غير متروك- وكان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة)<sup>(١)</sup>.

وهذه دعوة إلى أهمية الاستمرار على العمل الصالح، ولو كان قليلاً، فقليل دائم خير من كثير منقطع، كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إن رسول الله ﷺ قال: (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل)<sup>(٢)</sup>.

و كان للمداومة هذه المكانة عند الله تعالى؛ لما للعمل الصالح المداوم عليه من الآثار الطيبة على المسلم بحيث يبقى متصلاً بالعبادة التي يصلح الروح استمرارها، ولعل الأجل يأتيه وهو فيه فيقبض على عمل صالح؛ فمن مات على شيء بعث عليه، كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام<sup>(٣)</sup>.

فالصلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر إلا بالمواظبة عليها، فعن أبي هريرة

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

النور السائر من خطب المنابر

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ فَلَانَا يَصَلِي اللَّيْلَ كُلَّهُ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ؟ قَالَ: (سِينَهَا مَا تَقُولُ) (١).

والتوبة لا ينال صاحبها محبة الله تعالى إلا إذا استمر عليها التائب، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. فالتواب كثير التوبة.

والمسلم إذا كان كثير الدعاء في كل الأحوال: في السراء والضراء كان أقرب إلى الإجابة من غيره، قال رسول الله ﷺ من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء) (٢).

أيها الأحبة الفضلاء، مما لا شك فيه أن المداومة على العمل الصالح ثقيلة على النفس، خاصة إذا هجم عليها صاحبها دون ترقٍ وتدرج؛ لأن النفس تحب الراحة والميل إلى الدعة؛ ولذلك كان على المسلم الذي يريد المواظبة على الطاعة أن يجاهد نفسه ويتدرج معها شيئاً فشيئاً حتى تألف العمل ويصبح لها سجية بعد ذلك، قال رسول الله ﷺ: (خذوا من الأعمال ما تطيقون؛ فإن الله لن يمل حتى تملوا) (٣).

والجد والعزيمة الصادقة، وبعْدَ الهدف وسموه، والنظر إلى ما عند الله تعالى، ومعرفة حقيقة النفس ومجاهدتها، عوامل مساعدة للإنسان على الاستمرار.

(١) رواه أحمد وابن حبان والبيهقي، وهو صحيح.

(٢) رواه الترمذي وأبو يعلى، وهو حسن.

(٣) رواه مسلم.



أيها المسلمون، يقول النبي ﷺ لبلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام؛ فإني سمعت خشف نعليك-أي: تحريك نعليك- بين يدي في الجنة). قال ما عملت عملاً أرجى عندي أني لم أتطهر طهوراً في ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي<sup>(١)</sup>، فالمدائمة من بلال على هذا العمل جعله عنده أرجى أعماله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت تصلي الضحى ثمان ركعات وتداوم عليها وتقول: " لو نشرني أبوأي على تركها ما تركتها ". هكذا حب المدائمة على العمل الصالح يصنع في نفس صاحبه.

عباد الله، ما أحسن ما كان، وما أقل ما خلف! غصت في رمضان المساجد، وكثر الراكع والساجد، والباكي والتالي، والذاكر والباذل ماله في الخير، فما لهذا الجمع بدأ يتصدع ويقل من بيوت الله تعالى ومن هذه الأعمال؟! أفبهذا أمرهم رمضان إذا أقل، أهكذا تظهر آثار رمضان؟!

ما لهذا جاء رمضان، وما على هذا أحب أن يفارق، أين عمار المساجد وأهل الجماعة، أين قراء القرآن، وأين المسكون لألستهم وأهوائهم، لماذا تغيرت الحال وانقلب الواقع؟

لقد شكت بيوت الله- هذه الأيام- فراغها وقلة ارتيادها، وشكت المصاحف

(١) متفق عليه.

هجرتها، وضعف الإقبال عليها، فأين ذلك الإقبال المشهود في رمضان؟  
من أمر بالصلاة-معشر-المسلمين- في رمضان أمر بها بعد رمضان وقبل رمضان  
أيضاً.

ومن أمر بقراءة القرآن في رمضان أمر به في غير رمضان أيضاً، ومن نهى عن  
محظورات الأعمال والأقوال في رمضان هو من نهى عنها في غيره.

نعم نحن لا ننكر أن لرمضان مزاياه وخصوصياته في النشاط والجد؛ بسبب الجو  
العام للطاعة، ولعدد الأيام المحدد من عمر السنة، ويظهر هذا خصوصاً في بداية  
رمضان، ورسول الله ﷺ يقول: (لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة)<sup>(١)</sup>.

ولكن تلك الخصوصية لا تعني أبداً الترك بالكلية للطاعات والإقبال بالنفس على  
المعاصي بعد تولي شهر الخير.

ولا ريب أنه يحصل فتور ويعتري الإنسان خمول وقلة عمل، ولكن تلك الأحوال  
لا يجوز أن تصل بصاحبها إلى ترك الفرائض وركوب المحرمات؛ ولذلك يقول رسول  
الله ﷺ في نهاية الحديث السابق: (فمن كانت فترته إلى سنتي فقد أفلح، ومن كانت  
إلى غير ذلك فقد هلك). وفي رواية لأحمد والبخاري: (فمن كانت فترته إلى اقتصاد فلا  
يلام، أو فلا لوم عليه، ومن كانت فترته إلى المعاصي فأولئك هم الهالكون).

فالثبات الثبات -عباد الله- وإياكم الفتور المؤدي إلى ترك ما وجب وفعل ما

(١) رواه أحمد وابن حبان والطبراني، وهو صحيح.

حُرْم. فمن هجم عليه الفتور والكسل في بعض المستحبات والنوافل فيرجى له حسن العودة، وأما من شرع في مساخط الله ومحارمه فالفطام عسر، والذنوب ودود ولود يجر بعضها بعضاً

أيها المسلمون، من فاته فضل رمضان وخيراته لتقصيره أو تفريطه، وإضاعة لحظاته الغالية فيما لا ينفع أو فيما يضر فالحسارة كبيرة عليه.

غير أن ذلك لا يغلق أمامه أبواب الخير، فكم لله من باب مفتوح لا يوصد، ولا يعمى عليه طرق القربات ومسالكها، فكم من سبيل إلى الخير والقربة مشرع، ولا يقنطه ضياعه في رمضان من وجود فرص متاحة للاستغلال والاستدراك، ولا ييأس من رحمة الله وكرمه ويظن أن خسارته لا تعوض، وأن توبته لا تقبل، وأنه من الهالكين، لكن عليه أن يستأنف ويعزم ويبدأ بطرق باب الله بالندم والتوبة والعزيمة الماضية على المسابقة في مضمار الخيرات، والله ذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون.

وأما من أحسن فعله أن لا يغتر بإحسانه، ولا ينظر إلى ما قدم بعين الرضا، ولكن لينظر كيف قدم. فمن نظر إلى نفسه وعمله بعين العجب فتر ودل بما فعل، وقد يؤول به الأمر إلى الترك والانقطاع، والإنسان لا يأمن على نفسه؛ فالقلوب بيد الله فقد ينقلب حاله إلى ما لا يحمد. والجوارح عرضة للخمول والفتور.

والغريب عن بعض المجتهدين في رمضان أن يفتر ذلك النشاط، ويذبل ذلك الجد



النور السائر من خطب المنابر

لديهم، بل قد يصل الأمر ببعضهم إلى أن يتحول من طاعة إلى معصية، ومن قرب من الله إلى بعد عنه، وحال كهذه أسوأ ممن خسِرَ رمضان واستأنف بعد مضيهِ أوبة ورجوعاً، وولدت له حياة معمورة بالندم وسرعة المبادرة إلى الخير.

فلا أحسن - يا عباد الله - من أن نستقل ما قدمنا وندعو بقبول ما عملنا، ونستغفر على ما فرطنا واقترفنا، ونواظب على ما وجب علينا فعله، وترك ما فرض علينا تركه، والله يثبت الذين آمنوا، ويوفق من صدقوا إلى لزوم الصراط المستقيم.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



## الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما

بعد:

أيها المسلمون، ليس كل من شهد الصيام يجب عليه الصيام فوراً؛ فقد يكون عنده عذر دائم كالهريم والمريض مرضاً لا يرجى شفاؤه، أو يكون عنده عذر طارئ كالحائض والنفساء والمريض مرضاً يرجى شفاؤه، وكذا المسافر.

فهؤلاء قد يفطرون رمضان كله أو بعضه، ومن تيسر الله تعالى أن جعل رخصة في الفطر ومهلة للقضاء لذوي الأعذار.

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٥].

عباد الله، من أفطر بهرم أو عجز دائم عن الصيام، أو به مرض لا يرجى شفاؤه ولا يستطيع معه الصوم، فهؤلاء ليس عليهم صيام، ولكن تجب عليهم الفدية، وهي

النور السائر من خطب المنابر

إطعام كل واحد منهم مسكيناً عن كل يوم أفطروه من رمضان، ولا يشترط أن يكون الإطعام في رمضان، بل يجوز بعد رمضان، وإن كان الإطعام في رمضان أولى؛ براءة للذمة بتقديم حق الله تعالى، ولمضاعفة الأجر في رمضان.

إلا أن الهرم الذي قد بلغ به كبر السن حد الخرف وعدم التمييز للأشياء فهذا قد خرج عن عهدة التكليف، وعليه فلا صيام في حقه ولا إطعام.

عباد الله، ومن أفطر بعذر يمكن زواله في رمضان أو بعده كالمسافر والحائض والنفساء والحامل والمرضع والمريض مرضاً يرجى شفاؤه فهو لاء يجب عليهم قضاء ما أفطروه بعد رمضان.

ومن فاته صيام رمضان ومات قبل أن يتمكن من القضاء بأن مات وعذره قائم كالنفساء أو المريض الذي استمر مرضه وقبض عليه أو مات في رمضان فهذا ليس عليه شيء وليس على أقاربه قضاء عنه ولا إطعام. أما إن أفطر في رمضان بعذر شرعي وقدر على القضاء بعد رمضان ولم يقض فقد شرع لأوليائه الصيام عنه أو الإطعام عن كل يوم أفطره مسكيناً.

قال رسول الله ﷺ: (من مات وعليه صيام صام عنه وليه) (١).

أيها المسلمون، أما من أفطر في رمضان من غير عذر بالطعام أو الشراب أو الجماع أو الاستمناء فقد ارتكب إثماً كبيراً، ولكن لا يعني حصول الإثم ترك قضاء ما أفطره. بل عليه أن يتوب إلى الله تعالى ويستغفره، ويقضي- الأيام التي أفطرها، ولعل

(١) متفق عليه.



خطب

من

السائر

النور

---

---

بذلك محو سيئة إبطاره وتعديه حرمة رمضان، والله أعلم.  
هذا وصلوا وسلموا على القدوة المهداة...



## الثبات الثبات عباد الله (١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ﷺ،  
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه  
قال: (كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً فمنا من يصلح خبائه ومنا من  
ينتضل ومنا من هو في جشره إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة،  
فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: (إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته

(١) ألقى في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٥/٧/ ١٤٣٣هـ، ٣٠/٣/ ٢٠١٢م.



على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه. فمن أحب أن يرحل عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يجب أن يؤتى إليه).

إن الإنسان في حياته الدنيوية مرمى لسهام الفتن المتنوعة، لا تمضي عليه واحدة إلا خلفتها أخرى، وقلوب بني آدم هي التي بها تبلى وتختبر.

قال رسول الله ﷺ: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه)<sup>(١)</sup>.

عباد الله، إنه لا أضر من فتنة تميل المسلم عن الطريق المستقيم إلى سبل أهل الجحيم، فمن إسلام إلى ردة، ومن سنة إلى بدعة، ومن طاعة إلى معصية.

إن وقتنا الحاضر بتقنيته العالية، ووسائل اتصاله الحديثة قد جعلت أهل الأرض كأنهم يعيشون في غرفة واحدة من خلال الهاتف والقناة والانترنت، فسوقت العقائد

(١) رواه مسلم.

\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

المنحرفة، والأفكار الضالة فوصلت إلى البيوت، واختلطت البيئات بعد أن كان المسلمون لا يعرفون إلا بيئة الإسلام والسنة والطاعة.

أيها المسلمون، إن شيوع الانحراف عن الحق الذي يدعو إليه أهل الباطل عبر وسائل الإعلام المختلفة بالإغراء بالمال أو الجاه أو النساء قد أوجد تجاوباً لدى أصحاب القلوب الضعيفة من المسلمين فباعوا الدين والقيم الحميدة بعرض من الدنيا قليل من مال أو وظيفة أو شهوة عاجلة.

والمواقع والأخبار تطلعنا على بعض ضحايا الشبهات والشهوات الذين وقعوا في شباك الكفر أو البدعة أو الخطيئة.

عباد الله، لهذه المظاهر ونحوها يشتد خوف المسلم على دينه واستقامته فيخاف على نفسه وأهله وأولاده من خطاطيف الضلالة التي تقف على الطرقات. لأجل هذا كان الحديث عن الثبات على دين الله تعالى من الأمور المهمة في هذه الأحوال المدهمة.

إن أعظم نعمة - معشر - المسلمين - أنعم الخالق سبحانه وتعالى على المخلوق بها هي هدايته إلى الإسلام الخالص، وهذه النعمة تستوجب الشكر الجزيل، ومن شكرها: الثبات عليها مهما ادلهمت الخطوب، وتبهرجت دواعي الإغراء والترغيب.

فما هو الحق الذي يجب على الإنسان أن يثبت عليه؟

إن الحق الذي يطالب كل إنسان بالثبات عليه هو دين الإسلام الصافي الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام من عند ربه تعالى، وبلغه أصحابه إلى الناس بعده.



وهو تصديق وانقياد، وعمل واعتقاد، وفهم وسلوك. فالحق ما كان عليه رسول الله وأصحابه. فمن خالف ذلك فليصحح ما هو فيه على ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ أُمَّتَهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

إخواني الكرام، إن موضوع الثبات على الحق موضوع ذو أهمية كبيرة؛ ولهذا تحدث عنه القرآن الكريم على صور شتى: فأحياناً بالدعاء به، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وقال: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

وأحياناً يبين بعض أسباب الثبات على دين الله كالعمل بالموعظة والاستجابة لها بتنفيذ الأوامر والنواهي. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ [النساء: ٦٦].

وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وأحياناً يذكر نماذج للثابتين ممن سبقونا على طريق الإيذان من الأنبياء وأتباعهم. فذكر لنا قصة إبراهيم عليه السلام وكيف ثبت على الحق حتى ألقى في النار، فكانت

عليه برداً وسلاماً؛ جزاء ثباته وتضحيته.

وذكر لنا قصة موسى عليه السلام أمام فرعون وملائته وكيف نجاه الله من فرعون وجنده.

وذكر لنا ثبات سحرة فرعون بعد أن رأوا الحق فاستمسكوا به وثبتوا عليه مع وعيد فرعون وتهديده.

وذكر لنا ثبات أصحاب الأخدود الذين لم ترهبهم النار ذات الوقود. وغير ذلك من حديث الثابتين في القرآن الكريم. ليأتي التعليق بالحكمة من ذلك قائلاً: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

أيها المسلمون، إن سيد البشرية محمداً عليه الصلاة والسلام هو سيد الثابتين على الحق وقد اجتمعت له دواعي النكوص ترغيبها وترهيبها، لكنه لم ينصع لها ولم يستجب لها بتثبيت الله إياه. رُغِبَ في الدنيا ورئاستها، ورُهِبَ بالبلايا وصروفها كي يرجع عن الحق. فوضع ذلك كله تحت قدميه ومضى في طريق الحق ثابتاً.

جاء إليه وفد قريش فقالوا: يا محمد، إن كنت تريد بما جئت به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كنت تريد بما جئت به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً.. إلى آخر ذلك الإغراء، فما كان جواب رسول الله ﷺ إلا الإعراض عن ذلك كله.

وقالوا له: ساحر، كذاب، شاعر، مجنون، ثم توعده بالقتل، وحاولوا ذلك مرات عديدة، لكن الله حال بينهم وبين ما يشتهون. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ [الأنفال: ٣٠].

فلما رأى صحابته الكرام ثباته عليه الصلاة والسلام ثبتوا لثباته في حياته وبعد مماته، وربما ثبتهم بقوله عليه الصلاة والسلام. فلقد مر على آل ياسر وهم يعذبون فقال لهم: (صبراً آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة)<sup>(١)</sup>.

وعن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له: ألا تستنصر. لنا ألا تدعو الله لنا؟ قال: (كان الرجل فيمن قبلكم يجفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه. ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)<sup>(٢)</sup>.

وما هي إلا سنوات قليلة حتى مات رسول الله ﷺ فظهرت بوادر الردة عند بعض القبائل فثبت الله المسلمين حينئذ بثبات أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والصحابة الآخرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(١) رواه الحاكم والبيهقي.

(٢) رواه البخاري.

النور السائر من خطب المنابر

والحديث عن الثابتين بعد رسول الله إلى يومنا هذا يطول، وقرأوا - إن شئتم - عن ثابت عبد الله بن حذافة السهمي أمام ملك الروم، وعن ثابت أبي مسلم الخولاني أمام الأسود العنسي، وعن ثابت الأوزاعي أمام أحد الأمراء العباسيين، وعن ثابت الأمام أحمد في محنة خلق القرآن، وعن ثابت ابن تيمية، وابن الأمير الصنعاني والشوكاني أمام المبتدعين وأصحاب المذاهب المتعصيين.

أيها المسلمون، هناك أسباب عملية تساعد المسلم على الثبات على الحق عند ورود الشبهات والشهوات الصادة عن الحق. فمن ذلك:

كثرة الأعمال الصالحة والإخلاص لله فيها ومتابعة رسول الله في عملها. فالعمل الصالح الكثير إذا كان خالصاً صائباً يبعد المسلم عن الانتكاس والتراجع عن الدين الحق.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

ومن الأسباب: العلم الشرعي النافع؛ لأن العلم القوي بالشرعة والعمل به يجعل المسلم في مأمن من هجوم الشبهات المضلة، والشهوات المزيغة.

ومن الأسباب: مجالسة الصالحين وملازمة المساجد وأهلها؛ لأن المجلس يتأثر بجليسه، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].



عباد الله، ومن ذلك أيضاً: الحذر من وسائل الإعلام المنحرفة التي تضل الناس عقائدياً وأخلاقياً. فالقنوات التي تبث السحر والشعوذة، والرفض والظعن في الدين، وتنشر- المجون وتشجع على الرذيلة وتدعو إليها، فلا تبح لعينك أو عيون أسرتك مشاهدتها فهي السم الزعاف.

ومن أسباب الثبات على دين الله: استشعار عظمة الله تعالى وقدرته ومراقبته، فمن كان الله عز وجل في قلبه عظيماً فلن ينحرف مع المنحرفين، ولن يزيغ مع الزائغين، وعلى قدر مراقبة الله وعظمته في قلب الإنسان يكون ثباته.

ومن أسباب الثبات على دين الله: الحذر من الانشغال بالدنيا والركون إليها ومتابعة شهواتها ولذاتها والتوسع في مباحاتها.

أيها المسلم، لا تجعل الدنيا لك دار خلود وبقاء، ولكن اجعلها دار تزود واستعداد. فكم من إنسان انحرف بسبب مال حصله، أو منصب سيق له، أو امرأة سلبت عقله. قال رسول الله ﷺ: (فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)<sup>(١)</sup>.

ومن أسباب الثبات على دين الله: تعلق قلب المسلم بالله تعالى، وأن كل شيء بيده، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. فإن جاء ترغيب بدنيا بشرط دفع ضريبة من الدين والخلق الكريم فدع ذلك، فما كان لك فسيأتيك، وما صرف عنك فهو خير لك. وإن

(١) رواه مسلم.

النور السائر من خطب المنابر

جاء ترهيب لتنازل عن مبادئ دينك الحق فلا تنازل، فلن يصيبك إلا ما كتب الله عليك.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّلَ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

ومن أسباب الثبات على دين الله تعالى: كثرة ذكر الله وقراءة القرآن؛ فذكر الله تعالى إذا توافق القلب واللسان فيه اطمأن القلب. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

وقراءة القرآن قراءة متأنية متدبرة مع معرفة معانيه ومقاصده وحدوده عون عظيم على الثبات. قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢].

أخيراً عليك أيها المسلم أن تقارن نعيم الآخرة الباقي الكامل بلهو الدنيا الذاهب الناقص؛ لتضح لك الحقيقة. ولو حصّل الإنسان الدنيا كلها بما لها وجاهاها وجميع شهواتها كم سيبقى فيها وما مصيره بعد انقضائها!

قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١١﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى: ١٦-١٧].

وقال: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤].



خطب

من

السائر

النور

---

---

نسأل الله أن يثبتنا على دينه، وأن يجعلنا مقتدين برسوله، وأن يتوفانا مسلمين،  
غير ضالين ولا مضلين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد المعبود، والصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، إن الثبات على دين الله تعالى مطلب كل مسلم صادق، وأمنيته الغالية التي يجب أن يخرج بها من الدنيا؛ لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

أخي المسلم، لا تأمن على نفسك، ولا تركز إلى ما عندك من العلم والعبادة، بل اجتهد في العمل والافتقار إلى الله ودعائه بالثبات، وقل: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

وإدع كما كان رسول الله ﷺ يدعو: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، ويا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك.

عن أنس قال: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قال: فقلنا: يا رسول الله، أمان بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: فقال: نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله عز وجل يقلبها) (١).

وكيف آمن على نفسي وتأمن على نفسك وقد قال الله لسيد الثابتين: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [٧٤] إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ

(١) رواه أحمد، وإسناده قوي.



الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ [الإسراء: ٧٤-٧٥].

عباد الله، إنها لنكسة عظيمة، ومصيبة كبيرة، أن يترك المسلم طريق الحق ليسلك طريق الباطل لشبهة عرضت له أو لشهوة انحرفت به، فكيف سيكون حاله وحياته لو حصل ذلك؟

كيف هجر محبة الله، ووصل محبة الشيطان! وكيف سلخ عنه السعادة ليلبس الشقاء!، وكيف نسي الجنة وما أعد الله تعالى لأهلها فيها ومضى في طريق الجحيم. كم هو ندمه وحسرتة، وكم هو عناؤه وشقوته إذا بعثر من في القبور وحصل ما في الصدور، وجمع الناس ليوم البعث والنشور.

فأصبح كالبازي المتف ريشه يرى حسراتٍ كلما طار طائر  
وقد كان دهرًا في الرياض منعمًا على كل ما يهوى من الصيد قادر  
إلى أن أصابته من الدهر نكبة إذا هو مقصوص الجناحين حاسر

قال ابن القيم رحمه الله: " فيا من ذاق شيئاً من معرفة ربه ومحبه ثم أعرض عنها واستبدل بغيرها منها، يا عجباً له بأي شيء تعوض، وكيف قر قراره، فما طلب الرجوع إلى أحنيته وما تعرض، وكيف اتخذ سوى أحنيته سكناً وجعل قلبه لمن عاداه مولاه من أجله ووطنًا، أم كيف طاوعه قلبه على الاضطبار ووافقه على مساكنة الأغيار!!".

اللهم إنا نسألك الثبات على الحق حتى الممات، ونسألك أن تتوفانا وأنت راضٍ عنا يا رب العالمين.



---

---

النور السائر من خطب المنابر

هذا وصلوا على خير الورى...



## السفر إلى الدار الآخرة<sup>(١)</sup>

الحمد لله الذي جعل الدنيا دار ممر إلى دار مقر، ومزرعة أعمال، وفرصة إمهال؛ لتزود منها بصالح الأعمال إلى دار المآل.

أيام تمضي، وسنون تنقضي، وأعمار تنتهي، ولا يبقى إلا العمل بعد انقضاء الأجل سبباً للسعادة، أو للشقاوة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المتفضل على عباده بإرسال الرسل، وإنزال الكتب للبشارة والندارة؛ لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل، ولئلا يقول الخلق: ما جاءنا من بشير ولا نذير وقد جاءهم بشير ونذير.

وأشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله الذي أرسله الله بالجنة مبشراً، ومن النار محذراً، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فاتقوا الله -عباد الله- فالتقوى سبب كل هناء، وذهاب كل شقاء، فيا فرحة المتقين يوم لقاء رب العالمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلنَّاقِثِينَ فِي جَنَّتِ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ

﴿٥٥﴾ مَّقْنَدِرٍ ﴿٥٥﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

(١) أُلقيت في مسجد ابن تيمية في ٢/٥/١٤٢٩ هـ.

\_\_\_\_\_ النور السائر من خطب المنابر

أيها المسافرون في سفرة الحياة الدنيا، العابرون طريق المهلة القصيرة، يا من لا تزالون على السبيل سائرين، يوشك أن تصلوا.

كم من غافلٍ في هذه السفرة لم يفكر في وجهة سفره، وكم قد قطع في مسيرته، وكم قد بقي لاقتراب استيطانه ووصول غايته.

كم ذهب من الأيام فما اتعظ الأنام، وما استيقظ النيام، إلا عند مفاجأة الحِمام.

كم من حريص على بقاء دنياه فما بقيت له، ونهم في جمع أعراضها وهي تعرض به عما ينفعه، وتعرضه لما يضره.

كم متمنٍ فيها قطعته أمانيه، فأوصلته إلى مهاويه.

والعجب أن يوقن الناس بالزوال وعدم البقاء في اعتقادهم وأقوالهم، ولكن أفعالهم تأبى ذلك، فيستجمعون قواهم في بناء الزائل الفاني، ويهدمون بذلك الدائم الباقي.

عباد الله، يفكر الإنسان بأشياء كثيرة، ولكنه قليلاً ما يفكر بشيء واحد: قليلاً ما يفكر بالموت وحمية الرجوع إلى الله، قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

إن الموت - معشر - المسلمين - حقيقة سيدوقها كل حي، وثوب سيلبسه كل متحرك بحياة، لا مناص من لقائه، ولا وزر ينجي من هجمته، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ

ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

من تذكر الموت صغرت الدنيا في عينيه، وكبرت فيهما الآخرة، فإن كان في ضراء وضيق انفسح أمله، وقل كدره، وهانت عليه مصائبه. وإن كان في سراء وسعة تنغص عيشه، وقل تلهيه، وانتبهت فكرته، وضعفت شهواته، فلم يركن إلى لذاته ومسراته؛ فهي عما قريب إلى زوال، وهو عما قليل إلى ارتحال. فما ذكّر الموت في كثير إلا قلّله، ولا ذكّر في قليل إلا كثره.

أيها المسلمون، من جعل الموت نُصبَ عينيه استيقظت همته، واستعدت نفسه، وهياً زاد النجاة، وعدة السلامة للملاقاة، فإن نزل به الموت قال: مرحباً بحبيب جاء على موعد.

ويا سعده يوم يسمع في تلك الحال ما جاء في حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الملائكة لتقول لروح المؤمن: اخرجي أيتها الروح الطيبة، في الجسد الطيب كنت تعمريه، اخرجي إلى روح وريحان، ورب غير غضبان)<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

أما الغافلون عن هذا المصارع المحتوم فما أشد ضرهم في ضرائهم، ومصيبتهم في مصائبهم! انسدت عليهم آفاق الأمل وأظلمت في أعينهم المسالك، وتاهوا في مهامه البلاء من غير دليل أو مسلّ مخفّف.

(١) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

وإن كانوا في نِعْمٍ ومنحٍ فليس لغفلتهم غاية، ولا لهوهم نهاية، يحسبون أنهم غير متحول عنهم نعيمهم أو زائل عنهم فرحهم ولهوهم.

فما حالهم حين يبغتهم هادم اللذات، وتنزل بهم سكراته، وتحل عليهم آلامه؟! ماذا سيقولون، وكيف ينجون؟ إنهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا، ويكرهون القدوم على الآخرة؛ لأن بضاعتهم مزجاة، وأيديهم من تقديم عمل مُنْجٍ خالية.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

أمة الإسلام، إن وراء الموت لدارين لا ثالث لهما هما: الجنة والنار، فيهما نهاية رحلة الدنيا، وموطناً الاستقرار. وفيها تحط الرحال، وتوضع عصا التسيار.

وفي تينك الدارين تظهر نتائج أعمال الدنيا، وتنكشف الأحوال على حقيقتها، وهناك الحياة التي لا موت بعدها، والعمر الذي لا أمد له، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَلَدَّ الْأَخْزَرَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

قال رسول الله ﷺ: (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه. ثم ينادي يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه. فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا

## يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ (١).

أيها الناس، الوجهة متضحة، والمصير بيّن معلوم، ولكل دار عمل وزاد مطلوب،  
وسبيل مطروقة، وعلى كل طريق سالكون ولكل دار ملؤها.

قال رسول الله ﷺ: (ولكل واحدة منهما-أي: الجنة والنار- ملؤها، فأما النار  
فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط قط، فهناك تمتلئ ويؤذى بعضها إلى بعض،  
ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا) (٢).  
أيها المسلمون، ألا هل من متبّه من رقاد الغفلة، ومتحرك من سكون الهمة، إن  
الأمر جد وما هو بالهزل.

ألا فليسمع الأباقون عن سيدهم الرحيم، والشاردون عن ربهم الكريم، إن  
مولاهم يحذرهم من سخطه، وهم يسارعون إلى مساخطه، وينذرهم غضبه وهم  
يبتعدون من رحمته، أما وعوا إنذاره وهو يقول: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ (١٤) [الليل: ١٤].

وقال رسول الله ﷺ: (ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام  
طالبها) (٣).

إنها نار عظيمة، لا يحيا مُعذَّبوها فينجوا، ولا يموتون فيستريحوا، قال تعالى:

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الترمذي والطبراني، وهو حسن.

النور السائر من خطب المنابر

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾ [فاطر: ٣٦].

وقال رسول الله ﷺ: (ناركم هذه التي يوعد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: فإنها فضّلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلها مثل حرها)<sup>(١)</sup>.

أين المفر لدخليها، وأين ملجئ ساكنيها، لا فكاك ولا نجاة من العذاب والهلاك، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴾ [الهمزة: ٨].

يا حسرة المغلول حين يُغل، والمأخوذ يوم يؤخذ، والمسحوب عندما يُسحب، لا ولي يواليه، ولا ناصر ينصره، قال تعالى: ﴿ خذوه فغلوه ﴾ [٣٠] ﴿ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوه ﴾ [٣١] ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ [٦٤] ﴿ خٰلِدِينَ فِيهَا أَلَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [٦٥] ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ [٦٦]. [الأحزاب: ٦٤-٦٦].

وإلى أين المأخذ، وما هي دار الضيافة؟! إنها الهاوية، والنار الحامية، بعيدة القعر، شديدة الحر، منوعة العقاب والعذاب. لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون.

عن عتبة بن غزوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه خطب فقال: "قد ذكر لنا أن الحجر يُلقى من شفة

(١) متفق عليه.

جهنم فيهبوي فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً، ووالله لتملأن، أفعجبتكم؟! " (١).

أيها الناس، إن أهل النار ليأكلون ويشربون ويلبسون، ولكن هل أكلوا ما يشبعهم من جوع، أو شربوا ما يرويههم من ظمأ، أو لبسوا ما يكسوهم من حر أو قر؟، الجواب: لا.

قال تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ (١٥) [محمد: ١٥].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقْوِمِ (٤٣) طَعَامٌ لِلْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ

(٤٥) كغلي الحميم (٤٦) ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦].

وقال: ﴿ هَذَا نَحْمَانُ أَخْنَصُمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ

مِنْ فَوْقَ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقْلِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ (٢١)

كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) ﴾ [الحج: ١٩-٢٢].

وقال النبي ﷺ: (إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص

قدميه جمرة يغلي منها دماغه) (٢).

هذا -يا عباد الله- جزء يسير من العذاب الحسي. لأهل النار، نسأل الله السلامة

والعافية.

وأما العذاب المعنوي: فمنه: العتاب والتلاوم، والتحسر والآهات، والندامات

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

والنداءات والاستغاثات المردودة عليهم.

قال تعالى: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُنَالِي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ أَخْسِرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٤-١٠٨].

وقال: ﴿ وَتَادُوا بِعَذَابِكُمْ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾ [الزخرف: ٧٧].

وليس لهم بعد ذلك إلا الشهيق والزفير، أصواتهم تشبه أصوات الحمير: أولها شهيق وآخرها زفير. فيا شقاء من كانت النار منزله وموئله.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ سَقَوْا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ [هود: ١٠٦-١٠٧]. اللَّهُمَّ قنا عذابك يوم تبعث عبادك.

عباد الله، وفي الجانب الآخر تترامى للناظرين دار الكرامة وهي تزدهي بسكانها المصطفين، الذين نجوا من الخسران، وفازوا برضا الرحمن، ما أحسن عيشهم في تلك المنازل، وهم في غاية النعيم، ومنتهى السرور والحبور!

يلقى على عتبات تلك الرياض النضرة عناء الدنيا وبؤسها، وتعب الحياة - التي فنيت - وشقاؤها.

ما ألد ذلك الموقف يوم يقولون: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا

لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ [فاطر: ٣٤-٣٥].

قال رسول الله ﷺ: (يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط)<sup>(١)</sup>.

تلك المنازل أعدها الله لعباده الذين أطاعوه بالغيب ولم يروه. في الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر). قال أبو هريرة أقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

دار وصفها رسول الله ﷺ بأنها: (لبنة ذهب، ولبنة فضة، وملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتراها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبل ثيابه، ولا يفنى شبابه)<sup>(٣)</sup>.

أيُّ موكب أعظم من موكب المؤمنين وهم يُزفون إلى أمنيته المنشودة، وطلبته المقصودة، وأمليهم الذي طالما اشتاقوا إليه، وسهروا من أجل قطع المسافات حرصاً

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد والترمذي.

النور السائر من خطب المنابر

عليه، وتحملوا العناء والحزن حتى يحطوا رحال سفرهم الشاق فيه.

ما أشد سرورهم، ووفود التهئة تستقبلهم على الأبواب تهنئهم بسلامة الوصول، وتفرش على طريقهم البشاشة بنيل المأمول، وتبشرهم بطيب المنزل وكرم المنزل وراحة النازل، في أعلى المنازل، تقول: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ

﴿٢٤﴾ [الرعد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَقَّ إِذَا

جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمْ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ

أَجْرَ الْعَمَلِينَ ﴿٧٤﴾ [الزمر: ٧٣].

على تلك الأبواب المفتحة تدخل أول زمرة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، أزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء.

فإذا وجوها يتجه كل منهم إلى منزله الذي أعد له، يهتدي إليه ولا يخطئوه كأنه ساكنه منذ خلق لا يستدل إليه بأحد.

قال تعالى: ﴿وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿٦﴾﴾ [محمد: ٦]، قال رسول الله ﷺ: (إذا

خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم

في الدنيا، حتى إذا نُقِّوا وهُدِّبوا أُذُن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدلُّ بمنزله كان في الدنيا(١).

وهل ذلك المنزل كمنازل الدنيا؟ لا والله.

قال النبي ﷺ: (إن للمؤمن في الجنة لحيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً)(٢).

عباد الله، والمؤمنون في تلك القصور المشيدة معهم أهلوهم وزوجاتهم المؤمنات اللاتي كن معهم في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

ويزيدهم الله من فضله فيعطي كل واحد من الرجال زوجتين من الحور العين اللاتي وصفهن الله في كتابه فقال: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصفات: ٤٨].  
أيها المسلمون، إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ويلبسون ما يشاءون من غير حاجة إلى الذهاب للخلاء، ومن غير خوف على الثياب من البلى.

قال تعالى: ﴿وَفَلَكُم مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ ٢٠ وَلَكُمْ طَيْرٌ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ ٢١﴾ [الواقعة: ٢٠-٢١].

وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعٌ أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رِيحٌ شَرَابًا طَهُورًا ۝ ٢١﴾ [الإنسان: ٢١].

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

النور السائر من خطب المنابر

وقال رسول الله ﷺ: (يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبولون، ولكن طعامهم ذاك جشاء كرشح المسك، يُلهمون التسييح والحمد كما يلهمون النفس) (١).

وأن أهل الجنة -عباد الله- إذا دخلوها سلموا من كل ألم وحاجة إلى شيء، فإن كانوا يأكلون في الدنيا لجوع ويشربون لظمًا، وينكحون لشبق ويلبسون لعري، فما في الجنة هذه الحاجات والضرورات، فأكلهم وشربهم ولبسهم ونكاحهم تنعم لا احتياج. معشر- المسلمين، وإذا كان النعيم يتفاوت ويختلف فإن في الجنة لنعمياً إذا أدركه أهل الجنة نسوا كل نعيمهم فيها، ذلك النعيم الأكبر هو النظر إلى وجه الله الكريم.

فعن صهيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فقال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ألم يبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقرَّ لأعينهم) (٢).

ألا يا عباد الله، اعلموا أن ما في الجنة أعظم من وصف الواصفين، وأبلغ مما يخاطر

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد وابن حبان والطبراني.

في البال ويدور في الخيال.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المجتبي، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى.

أما بعد:

أيها المسلمون، سكر كثير من الناس بحب الدنيا ولم يصح إلا القليل الذين جدوا في الارتحال، وخلفوا وراءهم ذوي الهمم الفاترة والعزائم الخائرة تتخطفهم الشياطين، ويستولي عليهم الهوى، وتلعب بهم أمواج الأمانى حتى تُلقى بهم في ساحل الآخرة من الخاسرين.

فاحذروا -عباد الله- أن تكونوا منهم، وتزودوا من الدنيا بيزاد ينجيكم عند مولاكم، وكونوا على يقين جازم أنكم لن تخلدوا في هذه الحياة؛ فالموت يطلبكم في كل لحظة.

فيا سعد من أتاه وهو على استعداد وأهبة، ويا شقاء من جاءه وهو في لهو وغفلة، طويل الأمل، سيء العمل، يرجو التأخير والإمهال حتى فجأه الموت فقطع أمانيه، وكشف له الحجب حتى رأى الحقائق، وأنزله من مراكب الأحلام والسلامة، إلى شاطئ اليقظة والندامة.

أيها المسلمون، لو أن عاقلاً فكر وتأمل فيما هو مقدم عليه لا محاله، لأعد للسلامة

أماناً وزادا، ومن الهلاك وقاية وابتعادا؛ فإنه قبيح بالعبد أن ينسى أو يتناسى تلك النار المتقدة، وذلك السخط المستعر الذي أُعد لمن تنحى عن طريق الاستقامة، وخببٌ وأسرع في طريق الغواية فيا عجباه لعبد! يخاف النار وهو يقدها بسوء عمله، ويشتاق إلى الجنة وهو يهرب منها بإعراضه وكسله.

يا سلعة الرحمن لست رخيصة      بل أنت غالية على الكسلان  
يا سلعة الرحمن هل من خاطب      ولقد عرضت بأيسر الإثمان  
يا سلعة الرحمن كيف تصبر الـ      خطاب عنك وهم ذوو إيمان

عباد الله، لنكن مستعدين للسفر الصادق إلى دار الخلود بالمسارعة إلى مرضي الله، والإبطاء عن مساخطه، حتى إذا فاجأنا الموت أتانا ونحن ننتظره، فيا فرحة المسافر إلى أحبابه بقدم المبرِّر- بقرب الوصول إلى ذلك المأمول إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

هذا وصلوا وسلموا على الهادي البشير...

## الإسلام والنظافة (١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. أيها الناس، إن الإسلام جاء ليرقى بالإنسان ليعيش الحياة المنظمة المكرمة، فانتقل الإنسان في ظل هذا الدين الحنيف من العيش مع القدر والنجس إلى التعبد لله بالطهارة والنظافة. فدين الإسلام دين الذوق الرفيع والعيش الأنيق، ودين الصفاء والنقاء، والضياء والبهاء.

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في محرم / ١٤٣٤هـ، ٧ / ١٢ / ٢٠١٢م.

عباد الله، إن الجهل بالإسلام وضعف العمل بمبادئه وأحكامه وقيمه جعل الكافرين وبعض المسلمين الجاهلين أو الغافلين ينسبون تأخر المسلمين وانحطاطهم وقلة مدنيتهم إلى الأخذ بالإسلام. وأن تقدم أولئك الكفار وتطور حياتهم وتنظيمها عائد إلى كونهم غير مسلمين. ومن ذلك ما يتعلق بالنظافة؛ فإن كثيراً من الكفار قد اهتموا بتنظيف بيوتهم وشوارعهم وأماكنهم العامة أحسن من كثير من بلاد المسلمين. حتى يذكر أحد الطلبة المسلمين أنه كان يدرس في دولة غربية وكان على متن حافلة فألقى قرطاساً في الطريق فتبعتهم سيارة الشرطة إلى مسافة نصف ساعة ليرجع فيأخذ القرطاس الذي ألقاه في الطريق!.

لكن الناظر المنصف إلى أولئك الكافرين يجد أن نظافتهم مقصورة على نظافة ما تصل إليه عيون الآخرين. أما أجسادهم وملابسهم الداخلية فهي في غاية القذر والروائح الكريهة.

ومن المشاهد التي يجدها المسلم عند أولئك الكافرين فتجعله يحمده ربه على نعمة الإسلام: حبهم للقذارة ومداومتهم عليها عند قضاء الحاجة في استعمالهم للمناديل والأوراق بدل الماء. واسمعوا لهذا الحدث.

في عام ١٩٦٣م في بريطانيا وبالتحديد في مدينة واندي حدث انتشار مرض التيفود بشكل مرعب للناس هناك، وفي النهاية اتفق أطباؤهم على إذاعة تحذير في مختلف وسائل الإعلام يأمرون الناس بعدم استعمال الأوراق في دورات المياه، واستبدالها بالماء؛ لوقف انتشار العدوى، وتمت محاصرة المرض بذلك، فتعلم الناس

النور السائر من خطب المنابر

عادة جديدة لم تكن عندهم، وهي استعمال الماء عند قضاء الحاجة. فكيف لو علموا أن ذلك شرعه الإسلام قبل ألف وأربعمائة سنة!، فالحمد لله على نعمة الإسلام دين الصحة والنظافة والنقاء.

أيها المسلمون، إن دين الإسلام دين النظافة بكل أبعادها: النظافة الباطنة، والنظافة الظاهرة.

فالنظافة في الإسلام ليست لظاهر الجسد فحسب، بل هي للروح والقلب والنفس والعقل، والجوارح. نظافة معتقد ونظافة أعمال ونظافة أخلاق وسلوك.

فالإسلام يدعو إلى نظافة الروح من أدران الشرك والخرافة والتعلق بغير الله تعالى، فالكفر بالله، والالتجاء إلى غيره دنس لا ينظف إلا بالتوحيد والإيمان والتوكل على الله تعالى؛ ولذلك يقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

ويدعو الإسلام إلى نظافة القلب من الرياء والكرامية المكروهة، ونظافته من الغل والحقد والحسد وسائر الأخلاق القلبية المقيتة. فالعمل لغير الله تعالى وزرع العداوة في القلب وتنميتها أوساخ تنظف بالإخلاص وحب المسلمين وإرادة الخير لهم.

ويدعو الإسلام إلى نظافة العقل من الأفكار والتصورات الخاطئة التي تخالف ما جاء به نبينا عليه الصلاة والسلام. فالثقافات المشبوهة، والآراء المسمومة أدران خطيرة تنظف بالتصور الصحيح والتفكير المستقيم المضبوط بكتاب الله وسنة رسوله

ويدعو الإسلام أيضاً إلى نظافة الجوارح من الأخلاق المذمومة والمعاملات السيئة. فيدعو الإسلام إلى نظافة البطن من أكل الحرام بجميع طرقه من ربا أو رشوة أو غش أو خيانة. ويدعو إلى نظافة السمع من سماع قول الزور والكذب واللعن والسباب وآلات اللهو وسائر المسموعات الممقوتة. ويدعو إلى نظافة العين من النظر إلى ما حرم الله كالعورات والحرمات. ويدعو إلى نظافة اليدين من كسب الحرام أو الإنفاق فيه، ومن الظلم والبطش في غير الحق.

ويدعو إلى نظافة الرجلين من السعي بهما إلى مساخط الله كالذهاب للجرائم وهتك أستار المحارم. فهذه دعوة الإسلام إلى النظافة المعنوية، فالمسلم نظيف في معتقده وفكره، وفي أخلاقه وسلوكه، وفي معاملاته، وفي جسده وفي بيته وسوقه وعمله وفي حياته كلها.

عباد الله، إن الناظر في شريعة الإسلام الغراء يجد فيها مظاهر تدعو إلى النظافة الحسية، وإبعاد الأجساد وما اتصل بها عن الأوساخ والأدران، فمن ذلك: أن الإسلام حرم على المسلم ما اشتمل على الأقدار من المأكولات والمشروبات والمنكوحات. فحرم عليه تناول الميتة وما لحق بها والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله؛ لما فيها من الجرائم والأضرار.

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ

وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى التُّصْبِ﴾ [المائدة: ٣].

\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

وحرّم عليه أيضاً شرب الخمر والمخدرات وسائر المسكرات؛ لما فيها من إذهاب العقل وإمراض الجسد وإفساد التصرفات.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلُمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

سأل رجل النبي ﷺ عن الخمر فنهاه عنها، فقال: إني أصنعها للدواء؟ فقال النبي ﷺ: (إنها داء وليست بدواء)<sup>(١)</sup>.

وحرّم الزنا واللواط وإتيان الزوجة حال حيضها أو نفاسها؛ لما تجرّه هذه الأفعال الشنيعة من الأمراض والأوبئة، وقد كشف الطب الحديث عن تلك الأخطار المترتبة على تلك الجرائم.

أيها الأحبة، ونجد الإسلام من جانب آخر شرع شرائع وسنناً للنظافة والنقاء، فمن ذلك:

ما يتعلق بقضاء الحاجة، فقد شرع الابتعاد والاستتار عن الناس، وعدم التخلي في طريقهم أو ظلهم وموردتهم وأماكن نزولهم.

قال رسول الله ﷺ: (اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق والظل)<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أحمد والدارقطني، وهو صحيح.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والحاكم، وهو حسن.



ونهى عن قضاء الحاجة في الماء الراكد؛ لما فيه من الاستقذار وتجميع الجراثيم.

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ (أنه نهى عن أن ييال في الماء الراكد) (١).

وأمر بالتنزه من البول، وبين النبي عليه الصلاة والسلام أن عامة عذاب القبر منه،

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ: أنه مر بقبرين يعذبان فقال: (إنهما

ليعذبان، وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان

يمشي بالنميمة) (٢).

وأمر بالاستنجاء بالماء لتنقية مكان القدر حتى لا تبقى للنجاسة ريح ولا عين ولا

لون. وليكن ذلك بالشمال لا باليمين.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كان النبي ﷺ إذا خرج لحاجته أجيء أنا

وغلام ومعنا إداوة من ماء يعني: يستنجي به) (٣).

وقال رسول الله ﷺ: (إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، وإذا أتى الخلاء

فلا يمس ذكره بيمينه ولا يتمسح بيمينه) (٤).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالت: (ما رأيت رسول الله ﷺ خرج من غائط قط إلا

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه البخاري.

مس ماء) (١).

عباد الله، ومن مظاهر النظافة في الإسلام ما يتعلق بسنن الفطرة.

قال رسول الله ﷺ: (عشر - من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء، والمضمضة) (٢).

وكل واحدة من هذه العشر - لها حديث عجيب عند الأطباء بما فيها من النظافة وإزالة القذارة وحماية الجسد والحفاظ عليه مما يهدده.

ومن مظاهر النظافة التي شرعها الإسلام: الوضوء، هذه العبادة العظيمة التي تؤدي كل يوم أكثر من خمس مرات، فتكسب الجسد والروح النقاء والبهاء والوضاءة والحسن والرواء، وتزيل عن الجسم ملايين الميكروبات.

قال ابن القيم رحمه الله: "فتأمل محاسن الوضوء بين يدي الصلاة وما تضمنه من النظافة والنزاهة ومجانبة الأوساخ والمستقذرات، وتأمل كيف وضع على الأعضاء الأربعة التي هي آلة البطش والمشى. ومجمع الحواس التي تعلق أكثر الذنوب والخطايا بها؛ ولهذا خصها النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر في قوله: (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك ولا محالة، فالعين تزني وزناها النظر، والأذن تزني وزناها

(١) رواه ابن حبان وابن ماجه، وهو صحيح.

(٢) رواه مسلم.

الاستماع، واليد تزني وزناها البطش، والرجل تزني وزناها المشي، والقلب يتمنى ويشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه، فلما كانت هذه الأعضاء هي أكثر الأعضاء مباشرة للمعاصي كان وسخ الذنوب ألصق بها وأعلق من غيرها فشرع أحكم الحاكمين الوضوء عليها؛ ليتضمن نظافتها وطهارتها من الأوساخ الحسية وأوساخ الذنوب والمعاصي، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بقوله: (إذا توضأ العبد المسلم خرجت خطاياهم مع الماء أو مع آخر قطرة من الماء حتى يخرج من تحت أظفاره) وقال أبو إمامة: يا رسول الله، كيف الوضوء؟ فقال: (أما فإنك إذا توضأت فغسلت كفيك فأنقيتها خرجت خطاياك من بين أظفارك وأناملك، فإذا مضمضت واستنشقت بمنخريك وغسلت وجهك ويديك إلى المرفقين ومسحت برأسك وغسلت رجلك إلى الكعبين اغتسلت من عامة خطاياك، فإن أنت وضعت وجهك لله خرجت من خطاياك كيوم ولدتك أمك) رواه النسائي، فاقترضت حكمة أحكم الحاكمين ورحمته أن شرع الوضوء على هذه الأعضاء التي هي أكثر الأعضاء مباشرة للمعاصي وهي الأعضاء الظاهرة البارزة للغبار والوسخ أيضا وهي أسهل الأعضاء غسلًا فلا يشق تكرار غسلها في اليوم والليلة).

أيها الأحبة الفضلاء، ومن مظاهر النظافة التي شرعها الإسلام: الاغتسال الواجب والمستحب، فالواجب الاغتسال من الجنابة ومن الحيض والنفاس، والغسل ليوم الجمعة على القول الراجح. والمستحب له أسباب كثيرة ذكرها الفقهاء كالإغتسال للعديد وغيرهما. وهذا المظهر فيه نظافة عالية للجسد وإزالة أقداره وإعادة لنشاطه

وحيويته.

ومن مظاهر النظافة في الإسلام: النظافة في الطعام والشراب بما شرعه لنا من سنن وأداب، فمن ذلك:

اختيار الحلال دون الحرام، والبسملة في أوله والحمد في آخره، واستعمال اليمين، وأن لا يشرب من فم الإناء ولا يتنفس فيه.

ومن المظاهر كذلك: الأمر بتطهير الثياب واختيار أحسن الألوان وهو البياض.

قال تعالى: ﴿وَيَابِكْ فَطَهَّرْ ۙ﴾ [المدثر: ٤].

قال رسول الله ﷺ: (البسوا من ثيابكم البياض وكفنوا فيها موتاكم؛ فإنها من خير ثيابكم) (١).

أيها المسلمون، هناك وسائل شرعها الإسلام للنظافة، وهي:

الماء، فالماء أكثر وسائل التنظيف وأجودها، وهو وسيلة فعالة لتنظيف البدن والثوب والمكان.

والوسيلة الثانية: الطيب، وهو وسيلة لإذهاب الروائح الكريهة، والظهور بالرائحة الطيبة، سواء كان في البدن، أم الثوب، أم المكان.

والوسيلة الثالثة: الترتيب، وهو وسيلة تطهيرية لإزالة الأقدار والجراثيم من ولوغ

(١) رواه الخمسة، وهو صحيح.

الكلب في الإناء. قال رسول الله ﷺ: (طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أو لاهن بالتراب)<sup>(١)</sup>.

والوسيلة الرابعة: الدباغ وهو وسيلة تطهيرية للجلود لإذهاب ما فيها من نتن وقذر.

عباد الله، إن النظافة والحفاظ على النقاء سلوك جميل له فوائده وعوائده الطيبة، فمن ذلك:

أن النظافة عبادة من العبادات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه، والنظافة وسيلة للسلامة من الأقدار التي تمرض البدن وقد تقتله، فكم من ألم ووجع سببه قلة النظافة الشخصية أو العامة.

والنظافة وسيلة للحيوية والنشاط الذي يثمر العمل النافع والحركة لما يصلح دنيا الإنسان ودينه.

والنظافة مدعاة لمحبة الآخرين وتقديرهم، فالنفوس تنفر من أهل الأوساخ، والباعة النظيفون يقبل عليهم الشراة.

والنظافة تنمي العقل وتصفيه، وتجعله يفكر جيداً ويصدر القرارات بأناة وروية. والنظافة تبعث في النفس الاطمئنان والراحة والانشراح بخلاف القذارة التي تجعل النفس في كآبة وضيق وحرص وشراسة في الخلق.

(١) متفق عليه.

\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ غنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، إن النظافة سلوك ديني، وسلوك حضاري رائع، وهي مسؤولية فردية وجماعية تبدأ من الذات، بالحفاظ على النظافة الظاهرة والمنظر اللائق.

قال النبي ﷺ: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة؟ قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس)<sup>(١)</sup>.

ثم بعد ذلك النظافة الأسرية في البيت وبين أفراد الأسرة، ثم بعد ذلك في المدرسة والعمل والشارع والسوق.

وعلى المدرسة والإعلام وأماكن التوجيه أن يعنوا بالدعوة إلى الحفاظ على هذا الأدب الإسلامي والإنساني عبر برامج وأعمال مختلفة؛ لتجعل الموضوع حاضراً حياً في الذهن والواقع العملي.

وعلى المجتمع كله في أي مكان نزل أن تكون النظافة عنده ثقافة ملازمة وعملاً يمارسه في كل أعماله وتحركاته حتى تنشأ الأجيال على هذه الثقافة النافعة التي تلامسها وتسمعها وتربي عليها.

(١) رواه مسلم.



النور السائر من خطب المنابر

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية....

## الغضب بين الذم والمدح (١)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۗ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۗ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي رسول الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

جاء في صحيح الإمام البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلاً قال للنبي ﷺ: (أوصني، قال: لا تغضب، فردد مراراً، قال: لا تغضب).

(١) ألقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٥ / ١١ / ١٤٣٣ هـ، ٢١ / ٩ / ٢٠١٢ م.

النور السائر من خطب المنابر

أيها الناس، إن نبينا عليه الصلاة والسلام هو طيب الأمة الذي يعرف كيف يداوي مرضى الأرواح والأخلاق السيئة. فهذا الرجل المستوصي أبصر- عليه النبي ﷺ سحائب الغضب تعلو وجهه، فرأى أحسن وصية تسدى إليه أن ينهاه عن الغضب.

إن الغضب-أيها الأخوة- نزوة شيطانية، وصفة عدوانية، والإنسان ينزع فيه عند الغضب عرق إلى الشيطان الذي قال: خلقتني من نار وخلقته من طين. فالغضب شعلة من نار، ومن شأن النار الاشتعال، والحركة والاضطراب، والتلطي والالتهاب.

وحقيقة الغضب-كما يقول بعض علماء السلوك- غليان دم القلب لطلب الانتقام، فمتى غضب الإنسان ثارت نار الغضب ثوراناً يغلي به دم القلب، ويتشتر. في العروق، ويرتفع إلى أعالي البدن كما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر؛ ولذلك يحمر الوجه والعين والبشرة، وكل ذلك يحكي لون ما وراءه من حمرة الدم التي تحكي الزجاجة لون ما فيها.

أيها الأحبة، إن الغضب خلق ذميم، ومسلك غير قويم، وقد أصبح لدى بعض الناس سمة بارزة في شخصيته، ومرافقاً ملازماً في حياته. ففي بيته قطوب الجبين، عابس الوجه، مرفوع الصراخ، ضيقٌ بأهله وأولاده وهم كذلك. فأين هذا من خلق النبي ﷺ الذي كان أباً رحيماً وزوجاً كريماً الذي يقول: (خيركم خيركم لأهله، وأنا

من خيركم لأهلي<sup>(١)</sup>.

وإن خرج هذا الغضوب إلى عمله فإنه بعيد عن الناس وهم بعيدون عنه؛ اتقاء لشره، وسوء أخلاقه، و(إن شر الناس من تركه الناس أو ودعه الناس اتقاء فحشه) كما قال النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

هذا الغضوب تنقذ نار غضبه بأدنى مؤثر، فيلقي بشره على غيره بدون تعقل وتفكير.

أيها المسلمون، هناك من الناس من هو معجب بنفسه، مزهو بما عنده من مال أو جاه أو قوة، فإذا عومل بأقل مما يريد سل سيوف غضبه وتهجمه على من لم يرفعه إلى المعاملة التي يرومها، خصوصاً إذا كان المغضوب عليه أقل شأنًا وحالاً.

إن الإفراط في المزاح والدعابة-بدون حدود وضوابط- قد يشعل فتيل الغضب بين المازحين، والكلمة تجر أختها فربما تجاوزت الخطوط الحمراء.

وكذلك الفهم الخاطئ للشجاعة والرجولة والقوة يولد حب الغضب والتطبع عليه والتباهي بالاتصاف به، فأكثر الجهال عقلاً وفهماً يسمون سرعة الغضب شجاعة ورجولية، وعزة نفس وكبر همة وقدرة على السيطرة. فاستحسنه هؤلاء الجهال خاصة إذا ذكر الأكابر في الدنيا وأنه من أخلاقهم.

(١) رواه أحمد وابن حبان والترمذي، وغيرهم، وهو صحيح.

(٢) رواه البخاري.

النور السائر من خطب المنابر

ومن الخطأ الكبير أن صار معروفاً بين الناس أن الأب لا يكون مسموع الكلمة في البيت إلا إذا كان غضوباً. والزوج لا يكون قوي الشخصية مع أهله إلا إذا كان شديد الغضب. والمدير لا يكون مهاباً بين الموظفين وناجحاً في إدارته إلا إذا كان من أهل الغضب والعبوس، لا يعرف إلا قانون العقوبة ونظام الشدة ولم يع أن الإدارة الناجحة إنما تكون بالحب وحسن المعاملة من غير ضعف أو غفلة، مع الأخذ بالغضب والشدة في ظرفها المناسب.

ووضع الندى في موضع السيف بالعلی مضر- كوضع السيف في موضع الندی

عباد الله، إن الغضب الشديد خلق ذميم، يجر على صاحبه وعلى الناس أضراراً كثيرة.

فالغضب مرض خلقي تظهر آثاره على الباطن بالحقْد والحسد والكرهية، وعلى اللسان بالسب والشتم والقذف، وعلى اليدين بالبطش والانتقام. بحيث يصدر عن صاحبه تجبُّط في الحركات، واضطراب في الأقوال والقرارات.

قيل: إنه مكتوب في حكمة داود: "يا داود، إياك وشدة الغضب؛ فإن شدة الغضب مفسدة لفؤاد الحكيم".

إن الغضب - معشر المسلمين - بوابة لدخول الشيطان على الإنسان والتحكم فيه.

قال الحسن البصري رحمه الله: "أربع من كن فيه عصمه الله من الشيطان: من

ملك نفسه عند الرغبة والرغبة والشهوة والغضب".



عباد الله، إن الغضب الشديد ليس من أخلاق الرجال الكاملين، وأهل الفضائل العاقلين، وإنما يتخلق به أهل اللؤم والعجز والنقص والضعف، فيعوضون عن عجزهم بسرعة غضبهم، ومما يدل على ذلك: أن المريض أسرع غضباً من الصحيح، والمرأة أسرع غضباً من الرجل، والصبي أسرع غضباً من الرجل الكبير، والشيخ الضعيف أسرع غضباً من الكهل، وصاحب الخلق السيئ والذائل أسرع غضباً من صاحب الخلق الحسن ومحامد الفضائل.

ولذلك لا يملك نفسه عند الغضب إلا الإنسان العاقل القوي في نفسه وخلقه، قال رسول الله ﷺ قال (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)<sup>(١)</sup>.

قال بعض الحكماء لابنه: " يا بني، لا يثبت العقل عند الغضب، كما لا يثبت روح الحي في التنانير المسجورة، فأقل الناس غضباً أعقلهم "

أيها الأفاضل، إن الغضب يقضي على راحة الإنسان وسعادته وصحته إذا ما استبد به واستحكم على عقله، فيغطي الغضب على حواسه، ومعاقل تصرفاته، فيصير أعمى في صورة المبصرين، وأصم في صورة السامعين، ومجنوناً في صورة العاقلين. ولو رأى الغضبان صورته حال غضبه بعد ذهاب غضبه لاستعاذ منها.

وكما أن الغضب مضر بالعقل والبدن فإنه مضر بعبادة الإنسان وأحكام معاملاته

(١) متفق عليه.



أيضاً.

قال بعض العقلاء: " اتقوا الغضب؛ فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل ".  
كتب أبو بكره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى ابنه بسجستان: أن لا تقضي بين اثنين وأنت غضبان؛  
فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان) (١).  
ومن هذا الحديث الشريف يستفاد أنه لا يجوز القضاء والحكم ولو بين الأولاد  
والتلاميذ حال الغضب؛ خشية الوقوع في الظلم ومآرب النفس الغضوب؛ لأن  
الغضب يذهب الفكر الصائب والنظر الثاقب.

كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى أحد عماله: " أن لا تعاقب عند غضبك،  
وإذا غضبت على رجل فاحبسه، فإذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ".

أيها المسلمون، ها هو الغضب قد مثل أماننا وحشاً كاسراً يفترس عقولنا وحسن  
تصرفاتنا، ويجر العقل إلى المهالك، وينحرف به عن أسلم المسالك، ويقرع البدن حتى  
يهده ويصيبه بالإعياء والعناء، ولم يكتف بذلك حتى أخرج العالم عن علمه، وجهله في  
حكمه، وأبعد الحلیم عن حلمه، وأسلمه إلى جهله وطيشه.

فلهذا كان لا بد أن نبحت لهذا الداء عن دواء وشفاء، مع علمنا أن الغضب صفة  
طبعية في الإنسان، لا يمكن أن تزال عنه. لكن المقصود أن لا ينجر المسلم وراء  
الغضب، وأن لا يستجيب لدواعيه ومثيراته.

(١) متفق عليه.



فإذا غلب الإنسان فعلاه الغضبُ فهناك أدوية مسكنة ومخففة تصرف الغضب عن الغضبان؛ لئلا تصدر عنه أعمال لا تحمد شرعاً وعقلاً.

فمن تلك الأدوية: الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم؛ لأن الغضب نزوة شيطانية.

فقد استب رجلان عند النبي ﷺ فغضب أحدهما فاشتد غضبه حتى انتفخ وجهه وتغير فقال النبي ﷺ: (إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد). فانطلق إليه الرجل فأخبره بقول النبي ﷺ وقال: تعوذ بالله من الشيطان، فقال: أتري بي بأساً! أمجنون أنا! اذهب. (١).

ومن الأدوية: السكوت عند الغضب، قال رسول الله ﷺ: (علموا ويسروا ولا تعسروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت) (٢).

ومما يداوى به الغضب: الوضوء أو الاغتسال؛ لأن الغضب حرارة وتلهب، ولا يطفى ذلك إلا الماء البارد، جاء في الحديث: (إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ) (٣).

عباد الله، ومن علاج الغضب: أن يذكر الغضبان ربه عز وجل، قال تعالى:

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح.

(٣) رواه أحمد وأبو داود، وهو ضعيف.

﴿وَأَذْكُر رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤].

قال عكرمة تلميذ ابن عباس: "إذا نسيت أي: إذا غضبت، فيدعوه ذلك إلى الخوف منه".

وذكر في التوراة: يا ابن آدم، اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب".

ومن علاج الغضب: أن يتفكر الغضبان في النصوص الواردة في فضل كظم الغيظ والعمو والحلم والاحتمال، فيحجزه ذلك عن التشنفي والانتقام.

قال رسول الله ﷺ: (من كظم غيظاً - وهو قادر على أن ينفذه - دعاه الله عز وجل على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور ما شاء)<sup>(١)</sup>.

كان لأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مولى يرعى له الغنم فجاءه وقد كسر- رجل شاة من شياهاه، فقال: من كسر-ها؟ قال: أنا فعلته عمداً لأغيظك فتضربني فتأثم، فقال: لأغيظن من حملك على إغاظتي - أي: الشيطان - فأعتقه.

ومن العلاج أيضاً: تغيير الحال التي كان عليها الغضبان، فإذا كان قائماً فليجلس، وإذا كان جالساً فليضطجع.

عن أبي ذر قال رسول الله ﷺ: (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع)<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح.

(٢) رواه أبو داود وأحمد وابن حبان، وهو صحيح.

ومن العلاج كذلك: أن يتذكر الإنسان ما يؤول إليه الغضب من الندم، ومذلة الانتقام، وذل الاعتذار. وقد قيل: "إياك وعزة الغضب؛ فإنها تفضي إلى ذل الاعتذار".

قال جعفر الصادق رحمه الله: "ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من قوله

تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أما بعد:

أيها المسلمون، هناك نوع من الغضب مطلوب من المسلم أن يتصف به، وهو مأجور عليه، بل قد يدخل ضمن الواجبات، وهذا هو الغضب المحمود إما لجهته التي يستحقها أو لزمانه الذي يكون فيه.

ولذا فإن الغضب صفة من صفات الله تعالى على ما يليق به سبحانه وتعالى.

فقد غضب الله عز وجل على من عصى- أمره وارتكب نهييه من الكفار على اختلاف أصنافهم.

قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَنْ يَكُنْ مِنْ شَرِّ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

ومن هؤلاء الكفار: المنافقون. قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَلَمَ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَعَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦].

ومن الكفار: اليهود. قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ



مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا  
وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ [البقرة: ٦١].

أيها المسلمون، إن المعاصي سبب من أسباب غضب الله على صاحبها، وهناك  
ذنوب اشتد غضب الله على أهلها أكثر من غيرها، فمنها:

إيذاء الأنبياء بالأقوال أو الأفعال، قال رسول الله ﷺ: (اشتد غضب الله على  
قوم فعلوا بنبيه - يشير إلى ربايته - اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ  
في سبيل الله) (١).

ألا يشتد غضب الله - يا عباد الله - على قوم يصورون رسول الله في صور تدعو  
إلى السخرية والتنقص، كما حصل في أوروبا وفي صحيفة مصرية؟!.

ألا يشتد غضب الله على قوم يطعنون في فراش رسول الله وعرضه برمي زوجته  
الطاهرة العفيفة وأحب نساءه إليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؟! بلى.

ومن يشتد غضب الله عليه: من يقتل النفس المؤمنة من غير حق.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا  
وَعُذِّبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

ويشتد غضب الله على من يأخذ مال مسلم بغير حق.

قال رسول الله ﷺ: (من حلف على يمين صبر - وهو فيها فاجر - يقطع بها مال

امرئ مسلم لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان<sup>(١)</sup>.  
 عباد الله، إن غضب الله تعالى لا يعظم إلا على من عظم جرمه وقبح فعله؛ لأن  
 الله تعالى أرحم بالعباد من أنفسهم.  
 ولهذا قال النبي ﷺ: (إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي  
 سبقت غضبي)<sup>(٢)</sup>.

وإنما أخبرنا الله تعالى عن غضبه حتى لا ننع فيه.  
 ولهذا كان من هدي رسول الله ﷺ أن يستعذ من غضب الله فيقول: (اللهم لا  
 تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك)<sup>(٣)</sup>.  
 أيها الأفاضل، هناك أشياء تستشير من الإنسان السليم كوامن الغضب وتدعوه  
 لاعتناقه والمضي معه؛ غيرةً لله تعالى وانتصاراً لدينه وأوليائه.

أشدد النابغة الجعدي أمام رسول الله ﷺ:  
 وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ      بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْدَرَا  
 وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ      حَلِيمٌ إِذَا مَا أُوْرِدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا  
 فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ.

لأن من فقد الغضب في الأشياء المغضبة حتى استوت حالتها قبل الإغضاب

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الترمذي والنسائي، وهو حسن.



وبعده فقد فقد من فضائل النفس: الشجاعة والأنفة والغيرة والدفاع عن الحقوق المعنوية.

عباد الله، إن المسلم الحر لما يرى محارم الله تنتهك، وحقوقه تستباح، وحدوده تضيع، كيف لا يغضب!

وحينما يشاهد شريعة الله يُتلاعب بها بين مطرقة الديمقراطية وسندان الدولة المدنية كيف لا يغضب!

وعندما يرى حقوق المسلمين يستهان بها وكرامتهم تداَس وتلقى، كيف لا يغضب!

وحين يرى كثيراً من القوى تعين الظالم، وتتخلى عن المظلوم ليسحق ويباد ويسلب الحياة كيف لا يغضب!.

إذا لم تغضب أيها المسلم في هذه الأحوال فمتى ستغضب!!

أيها المسلمون، إن موسى عليه السلام عندما خرج للقاء ربه ورجع فوجد قومه قد عبدوا العجل، غضب لله من أجل هذا الفعل الشنيع. ولشدة غضبه ألقى الألواح من يده وفيها هدى ونور. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ ۚ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

فيا أيها المسلمون، علينا أن نكون حكماء حلما، غيرى على حرمان الله تعالى،



النور السائر من خطب المنابر

نغضب في موضع الغضب، ونحلم في نوضع الحلم. وهذه هي الحكمة.

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا

وَمَا يَدَّكُرُ إِلَّا أَهْلُ الْأَلْبَابِ ﴿٣٦٩﴾ [البقرة: ٢٦٩].

هذا وصلوا وسلموا على القدوة المهداة...



## الطلاق الممنوع والطلاق المشروع<sup>(١)</sup>

الحمد لله الذي عمَّ كلَّ شيءٍ علَّمه وقضاؤه، ووصل إلى عباده فضله وعطاؤه، لا تُحصى- آلاؤه، ولا تُعدّ نعمائه، جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وتنزهت علياؤه، تسبح بحمده أرضه وسماؤه.

أزجي إليك ربي، حمداً كثيراً قاصراً عن بلوغ حق حمدك ومجديك، وشكراً جزيلاً يعجز عن الوفاء بمكافأة فضلك ويرفدك.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تفرّد بالخلق والملك والتدبير، واستحق الأفراد بالعبادة والقصد والتقدير، وتعرّف إلى عباده بجلال ذاته، وكمال صفاته، وجميل فعاله، وسعة إفضاله، فسبحانه ما أعظمه وأكرمه، وما أرحمه وأحلمه!

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل من ذكر ووحد، وتبتل وتعبد، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصحابته الأكرمين، وأتباعه المقتفين، وزوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فاتقوا الله-عباد الله- فتقوى الله بها السعادة والفلاح، والظفر والنجاح، واليمن

(١) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٦/٤/١٤٣٣هـ، ٩/٣/٢٠١٢م.



النور السائر من خطب المنابر

والنجاة، والطمأنينة والحياة، فحُقَّ للتقوى أن تكون وصية رب العالمين إلى الأولين والآخرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء ١٣١].

أيها المسلمون، نتحدث اليوم عن قضية كم بكت لها عيون كانت قريرة، وحزنت لها قلوب كانت مسرورة. قضية كم فرقت بين أرواح كانت متداخلة، وأجساد كانت متآلفة، وباعدت بين أسر كانت متقاربة متعاونة، فغدت متباعدة متقاطعة.

إنها كلمة تصل إلى الأسماع كالقذيفة لها شظايا تصيب أشخاصاً كثيرين.

هذه القضية كانت قبل عقود من الزمان حالة نادرة، لكنها في أيامنا هذه أصبحت ظاهرة منتشرة. إحصائياتها مهولة تهدد المجتمعات، خاصة المتحضرة منها.

هذه القضية هي قضية الطلاق. وليس الطلاق المشروع والحل، ولكنه الطلاق الممنوع المستعجل الذي يصير مشكلة بدل أن يكون حلاً.

في إحدى الدول العربية كانت آخر إحصائية في سنة من السنوات عن حالات الطلاق أنه بلغت نسبة الطلاق فيها: ٣٥٪ من إجمالي حالات الزواج.

وفي دولة أخرى بلغ عدد الزيجات في تلك السنة (٧٠) ألف حالة، وفي المقابل كانت حالات الطلاق قد بلغت (١٣) ألف حالة في تلك السنة.

عباد الله، إن حصول الطلاق بين الزوجين ظاهرة طبيعية متعارف عليها بين



الأمم كالفراعنة والبابليين والأشوريين والهنود والبوذيين والرومان والصينيين واليونانيين وعند اليهود والنصارى. وكذلك عندنا نحن المسلمين.

غير أن الطلاق في تلك الأمم والديانات تختلف أسبابه التي تشرعه، ويختلف في عدده وفي الجهة التي لها الحق فيه، وفي الآثار الحكمية المترتبة عليه. والمطلع على مسألة الطلاق في تلك الأمم والديانات - غير المساوية - يجد بعده عن العدل والعقل وعن المصلحة ودفع الضرر.

أما في ديننا الذي هو دين مراعاة المصالح ودفع المضار فالطلاق مضبوط بأحكام وآداب يراعى فيها تحصيل المصلحة ودفع المضرّة. فهو في الإسلام آخر الحلول لمشكلات لا تحل إلا به، ولم يشرعه ليكون مشكلة جديدة. ولذلك تأملوا معي هذه الآيات الكريمة التي تعالج الخلاف بين الزوجين أين كان موضع الطلاق في ذكر الحلول التي أوردتها.

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۗ فَالضَّرِيعَةُ قَنِينَتْ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۗ وَالنَّيِّتُ تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ ۖ فَعِظُوهُمْ ۖ وَاهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ ۗ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ ۖ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ۗ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء: ٣٤-٣٥].

وقال: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۗ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ۗ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۗ﴾

النور السائر من خطب المنابر

﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمَعْلُوقَةِ ۗ وَإِنْ تَصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُعِنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ [النساء: ١٢٨-١٣٠].

فذكر الله من وسائل الحل عند نشوز الزوجة: الموعظة، ثم الهجر في المضجع، ثم ضرب التأديب، ثم الصلح، ثم ذكر بعد ذلك الطلاق.

ولذلك قال بعض الفقهاء: إن الطلاق تدور عليه الأحكام الخمسة، فقد يكون مباحاً، وقد يكون واجباً، وقد يكون مستحباً، وقد يكون حراماً، وقد يكون مكروهاً.

أيها الأخوة الكرام، إن حديثي اليوم عن ظاهرة كثرة الطلاق إنما جاء من كثرة إيقاعه من غير تروٍ وأناة، ومن كثرة تلاعب بعض الناس في هذه الرابطة الوثيقة.

بحيث صار الطلاق سلاحاً بيد بعض الأزواج يهدد به الزوجة متى شاء، حتى تعيش الزوجة حين ذلك حياة يشوبها القلق والخوف.

معشر- المسلمين، إن مصير الطلاق ظاهرة في المجتمعات نتيجة مُرّة لها أسبابها التي أدت إلى ذلك. ومجمل هذه الأسباب- التي سيأتي ذكرها- ترجع إلى سببين رئيسيين هما: عدم إقامة هذه الرابطة على الآداب الإسلامية، وعدم الفهم الصحيح للحياة الزوجية.

إن من تلك الأسباب التفصيلية: التقصير في اتباع هدي الإسلام في هذا الباب قبل حصول الزواج، ومن ذلك: ترك البحث عن الخلق والدين من الزوج ومن أقارب



## الزوجة.

فبعض أولياء النساء لا يهتمهم سلوك الخاطب واستقامته، إنما يهيمه حظه من الدنيا من مال ووظيفة فقط، وبعض الخاطبين أيضاً لا يبالي بحسن سيرة المخطوبة والتزامها، إنما ينظر إلى الجمال والأسرة والوظيفة فحسب.

يقول رسول الله ﷺ: (تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها، وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك) (١).

وقال رسول الله ﷺ: (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض) (٢).

ومن التقصير قبل الزواج: عدم السماح للخاطب أن يرى مخطوبته، وللمخطوبة أن ترى خاطبها. والإسلام في هذه المسألة وسط بين المتشددين الذين لا يسمحون لأحدهما أن يرى الآخر والمتساهلين الذين يسمحون لموليتهم أن تخلو بخاطبها وأن تخرج معه وتتصل به، وكلا الأمرين خطأ.

والصحيح جواز رؤية الخاطب من مخطوبته ما يدعوه إلى نكاحها: إلى الوجه والكفين على الصورة الطبيعية.

فعن المغيرة بن شعبة: أنه خطب امرأة فقال النبي ﷺ: (انظر إليها؛ فإنه أحرى

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه، وهو حسن.



أن يؤدم بينكما<sup>(١)</sup>.

فالخاطب الذي لم ير مخطوبته قبل العقد قد يفاجئ بامرأة لا توافق رغبته؛ ولذا قد يطلقها في الأسبوع الأول من الزواج، وإن بقيت بقيت على كرهه سرعان ما يهجم عليها الطلاق.

عباد الله، قد يكون من الأسباب التي تؤدي إلى الطلاق: ضعف معرفة كل من الزوجين لدوره في الحياة الزوجية. فالزوج عليه واجبات لزوجته يؤديها إليها، وله حقوق على زوجته تؤديها إليه، وهكذا الزوجة. والجهل بمعرفة ذلك قد يسوق إلى الطلاق.

ومن ذلك: نسيان الزوج أن زوجته أمانة في عنقه بالعقد الذي عقده، أخذها من بيت أهلها عزيزة كريمة مسرورة؛ ليكرمها ويحافظ عليها ويبنى معها أسرة صالحة.

ومن ذلك: غياب اتصاف بعض الزوجات بصفات الزوجة الصالحة التي ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]. فبعض الزوجات غير مطيعات لأزواجهن، وغير حافظات لأنفسهن ولأموال الأزواج.

ومن الأسباب: متابعة الأفلام والمسلسلات ومواقع النت والاشتراك في

(١) رواه الترمذي والبيهقي، وهو صحيح.



الدردشات، ونحو ذلك. وهذه الأمور قد يجد فيها كل من الرجل والمرأة من هو أجمل مما عنده، ويرى أن السعادة توجد في العلاقات المحرمة خارج الحياة الزوجية، أو تخيل لهما المسلسلات أن الحياة الزوجية كلها حب وغرام فقط، وليس هناك مشكلات أو مكدرات في الحياة الزوجية، فيظنان أن ذلك الخيال الكاذب المشاهد يمكن تطبيقه في واقع الحياة. فقد يحصل بعد هذا مقارنة من الزوجين بين ما يشاهدان أو يتواصلان تواصلًا محرماً كل مع غير قرينه وبين واقعهما الزوجي فيجدان ذلك الجو الرومانسي-مفقوداً فيؤدي ذلك إلى الكراهية فالطلاق.

وأنت تعرف أيها الزوج وتعرفين أيتها الزوجة أن الأمور المشتركة بين الشركاء لا بد أن يحصل فيها شيء من الخلاف والنزاع، والعقلاء من الشركاء من يعالجون تلك الخلافات قبل أن تستفحل، والحياة الزوجية هي نوع عظيم من أنواع الشراكة يحصل فيها الاتفاق والاختلاف. لقد أجرت جامعة مصرية في سنة من السنوات إحصائية لنتائج الزيجات التي قامت على الحب قبل الزواج فكانت النتيجة أن أكثر من ٨٠٪ آل إلى الطلاق. فليعتبر من كان مغروراً.

ومن الأسباب: الاستعجال وعدم الثبت والتأني. فإذا جاءه خبر عن زوجته أو رأى منها ما لا يعجبه سارع إلى الطلاق بدون مقدمات. وهناك من الأزواج من صار الطلاق على لسانه ليله ونهاره في جده وهزله. إذ لا يحلف إلا بالطلاق، وإذا أراد أن يمنع زوجته من شيء قال: إن فعلت فأنت طالق، أو إن لم تفعلي فأنت طالق. والطلاق المعلق من أخطر أنواع الطلاق؛ لأنه لا يمكن تلافيه. وقد يقع الشرط من الزوجة

النور السائر من خطب المنابر

فتطلق وهي لا تشعر وقد يشعر الزوجان بذلك لكن يتساهلان في الأمر فربما جرت المعاشرة بينهما بعد ذلك على الحرام؛ إذ تصير الزوجة لا تحل لزوجها لوقوع الطلاق بالشرط.

ومن الأسباب كذلك: طلب بعض النساء الطلاق لأسباب لا تستدعي هذا الطلب، وهذا لا يجوز في هذه الأحوال؛ لأن النبي ﷺ قال: (أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة) (١). وهذا وعيد شديد لكل زوجة طلبت الطلاق من غير سبب صحيح.

أيها المسلمون، إن ظاهرة الطلاق المستعجل تحتاج إلى علاج ينبغي للزوجين أن يتناولاه، كل حسب ما عنده من الأسباب السابقة؛ ولذلك فإن طرق معالجة هذا الداء أن تُتجنب الأسباب السابقة التي ذكرناها، ويضاف إلى ذلك: أن يعلم الزوج أن بدأ الكراهية ليس مسوغاً للطلاق، فالمرأة إنسان له عيوبه مثل الرجل كذلك، فليس هناك من شخص كامل في صفاته الحميدة وأداء ما عليه من واجبات فالتغاضي والصبر وعدم الاستقصاء بلسم شاف.

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ

اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ [النساء: ١٩].

وقال رسول الله ﷺ: (لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضی منها

(١) رواه أحمد وابن حبان وأبو داود والترمذي، وهو صحيح.



آخر) أو قال: (غيره) (١).

جاء رجل إلى عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يشكو إليه زوجته وقال: "إنه لا يحبها، فقال له عمر: وهل لا تُبنى البيوت إلا على الحب؟!".

فليتذكر الزوج خدمتها له، وتربية أطفاله، وإصلاح بيته، وإعفافها له، وأن تتذكر ما قدمه لها زوجها من خير ومعروف كذلك.

وأيضاً أن يفهم كل من الزوجين معنى الحياة الزوجية المتكاملة وأنها تعني إعفافاً للمجتمع، وربطاً وثيقاً بين الأسر، وبناء أسرة نظيفة، وتربية جيل صالح، هذه الأهداف السامية للحياة الزوجية، فليست الحياة الزوجية مقصورة على الاستمتاع والغرام فقط.

وعلى الزوجين أن يفكرا في الود القديم بينهما، وإسعاد كل منهما لصاحبه، وأن يفكرا جيداً في عواقب الطلاق وآثاره فيها وفي أولادهما وأسرتيهما، فكم ضاع ابن بسبب طلاق أمه، وكم ضاعت بنت بسبب طلاق أمها أيضاً.

فاتقوا الله -يا عباد الله- في زوجاتكم، وقبل القرار الأخير عليكم أن تصبروا وأن تثبتوا وأن تستخبروا وتستشيروا قبل أن يقع الفأس على الرأس، وتحصل الندامة كندامة الفرزدق حينما طلق زوجته النوار فندم على ذلك ندماً شديداً حتى قال:

ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقاً نوار  
وكانت جتني فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار

\_\_\_\_\_ النور السائر من خطب المنابر

ولو أني ملكت يدي ونفسي— لكان عليّ للقدر الخيار

فأصبحتُ الغداة ألوم نفسي— بأمر ليس لي فيه اختيار

وكنت كفاقي عينيهِ عمدا فأصبح ما يضيء له النهار

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه أهل الفضل والوفاء، أما بعد:

أيها المسلمون، سمعتم الحديث عن الطلاق غير المشروع القائم على العبث والاستعجال والقصور في فهم الحياة الزوجية فهماً صحيحاً. ونتحدث الآن عن الطلاق المشروع الذي يكون علاجاً لمشكلة لا تُشفى إلا بذلك.

إخواني، تعلمون أن الإسلام دين الوسطية، ومن مظاهر وسطيته: أنه لم يبح الطلاق إباحة مطلقة بدون حدود وضوابط؛ فيصير ظلماً على الزوجات، ولم يجرمه تحريماً مطلقاً؛ فيكون ظلماً للأزواج.

وإنما أباحه ليكون هو الحل الأخير لحياة زوجية وقفت زوارق سعادتها عن مخر بحر الحياة السعيدة، فأصبحت الحياة لا تطاق، ولم تنجع فيها الوسائل الأخرى لحل مشكلاتها، فيأتي الطلاق فرجاً ومخرجاً من هذه النفق المظلم.

فالطلاق المشروع - معاشر الأزواج الكرام - يكون بعد استنفاد الوسائل الأخرى قبل اللجوء إلى وسيلة الطلاق، فإذا اضطر الزوج إلى الطلاق بعد ذلك كله فليكن باختيار الزمان المناسب، والحالة المناسبة، والعدد المناسب، فيكون الطلاق في طهر لم يجامعها فيه؛ خشية أن تكون قد حملت في ذلك الطهر فتحصل مشكلة الحمل والولادة والنفقة وتأخيرها عن الزواج. وانتظار الزواج في ذلك الطهر المجامع فيه حتى تحيض

النور السائر من خطب المنابر

فتظهر فرصة للتفكير العميق في بقاء الزوجية قبل قرار الطلاق. فسيحان الله ما أحرص الإسلام على بقاء رابطة الزوجية!

فإذا حاضت بعد طهرها انتظر حتى تطهر، فإذا طهرت طلقها طلقة واحدة؛ فلعله أن يراجعها ويشتاق لعودة عشرته معها مرة أخرى.

أيها المسلمون، هذا هو الطلاق المشروع في الإسلام، فإذا قام على هذه المراحل والضوابط والحدود فقد يكون نعمة على الزوجين، بدل العيش في جحيم مستعرة، وقد يكون أيضاً نعمة على الأولاد بعد أن كانوا بين أبوين لا ينام البيت إلا على صراخهما ولا يستيقظ إلا على تشاجرهما.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَنْفَرَا بَعْضُ اللَّهِ كَلَامًا مِنْ سَعَتِهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا

النساء: ١٣٠.﴾

فإذا كان الطلاق على هذا الوجه فهو طلاق إحسان ومعروف وإصلاح.

عباد الله، إذا ما حصل الطلاق فعلى الزوجين أن لا ينسيا العشرة السعيدة التي عاشاها في عش واحد مدة من الزمن.

وأن يتعد كل واحد عن ذكر الآخر أو ذكر أسرته بسوء أو ذم. وأن لا تهمل الزوجة تربية أولادها إذا كانوا عندها، وأن لا يهمل الزوج النفقة عليهم وحسن رعايتهم، وأن لا يمنع أحدهما الآخر من رؤية ولده وزيارته. نسأل الله أن يحفظ بيوت المسلمين من التصدع والأكدار، وأن يبني فيها السعادة والطمأنينة والاستقرار.



خطب

من

السائر

النور

---

---

هذا وصلوا وسلموا على البشير النذير...

## تعظيم الأشهر الحرم (١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا وَجْهًا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً  
 وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ﷺ،  
 وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يقول الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ  
 وَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

أيها الناس، في هذه الآية الكريمة ينخر الله تعالى عباده بأنه يخلق ما يشاء ويختار من خلقه ما شاء؛ لأن الخلق خلقه والمملك ملكه، لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ولا

(١) ألقى في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٦/١١/١٤٣٢هـ، ١٤/١٠/٢٠١١م.

مانع لاجتباؤه ولا غالب لأمره.

فلقد اختار الله تعالى الملائكة عليهم السلام لسكنى سماواته والتفرغ لعبادته، وتفويضهم بمهمات بين عبادته، واصطفى من بينهم جبريل عليه السلام فجعله سيدهم ومقدمهم، ووكله بأشرف مهمة وهي السفارة بينه وبين رسله عليهم السلام.

واختار سبحانه وتعالى بني آدم على سائر خلقه بالعقل، وتسخير جميع ما في الكون لهم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

واصطفى سبحانه وتعالى الإنس ورجال الإنس فجعل الأنبياء والرسل منهم، وفاضل بينهم، فاصطفى أولي العزم، واصطفى من بينهم سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام فكان سيد ولد آدم.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَ تَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ أَفَلَا أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقال: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۗ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

أيها المسلمون، ومن مظاهر اصطفاء الله: اصطفاء الأزمنة والأمكنة، ففي الزمان نرى أن الله اختار أشهر الحج والأشهر الحرم على غيرها من الشهور، واصطفى

النور السائر من خطب المنابر

رمضان على سائر شهور العام، واصطفى يوم الجمعة على سائر أيام الأسبوع، واصطفى يوم النحر على سائر الأيام، واصطفى ليلة القدر على بقية الليالي.

وفي الأمكنة نجد أن الله تعالى اجتبى مكة والمدينة وبيت المقدس على سائر المدن، واصطفى المساجد على غيرها من بقاع الأرض.

عباد الله، إن هذا الاختيار والاصطفاء من الله رب العالمين قائم على الحكمة والعلم، والملك والقدرة، والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

ولهذا يقول تعالى في اجتباء الرسل من أهل السماء والأرض: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥].

والمعنى - كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى - "أنه تعالى يختار من الملائكة رسلاً فيما يشاء من شرعه وقدره، ومن الناس لإبلاغ رسالته، إن الله سميع بصير، أي: سميع لأقوال عباده، بصير بهم، عليم بمن يستحق ذلك منهم كما قال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

وحينما بعث الله رسولنا محمداً عليه الصلاة والسلام قال بعض المشركين: ﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، فرد الله عليهم: قال تعالى: ﴿أَهْرِيْقِسْمُونَ رَحْمَتِ رَبِّكَ إِذْ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتِ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

أمة الإسلام، إننا نعيش هذه الأيام في شهر عظيم من شهور العام، في الشهر

الثالث من الأشهر الحرم، وهو ذو القعدة الحرام.

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

عباد الله، إن من نعمة الله على البشر- أن علمهم وألهمهم علم التوقيت؛ حتى يضبطوا أمر دينهم ودنياهم.

لقد كانت الشهور القمرية أقدم شهور التوقيت التي عرفها الإنسان وأضبطها؛ لتعلقها بسير القمر؛ ولأن استنادها للأحوال السماوية أبعدها عن تناول أيدي البشر لها بالتبديل والتغيير.

وأما التوقيت بالشهور الشمسية فلم يعرفه البشر- إلا بعد معرفتهم لعلم الفلك والميقات.

والشهور القمرية هي التي تبدأ بمحرم وتنتهي بذي الحجة، وهي شهورنا وتاريخنا أهل الإسلام؛ لارتباط بعض عباداتنا بها كالصوم والحج والأعياد والطلاق والخلع والكفارات، وعدد النساء، وغير ذلك.

إخواني الكرام، لقد تعارف العرب قبل الإسلام على هذه الشهور وسموها بأسماء ترتبط بأحوال تحدث فيها أو تتعلق بها.

\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

فالمحرم سموه بذلك لتأكيد تحريمه؛ لأنه من الأشهر الحرم، وهو شهر العودة من الحج. وصفر سمي بذلك لخلو بيوتهم منهم، حين يخرجون للقتال والأسفار، يقال: صفر المكان: إذا خلا.

وشهر ربيع؛ لارتباعهم فيه أي: إقامتهم لإصلاح الربع وهو المسكن. وجمادى؛ لجمود الماء فيه في البرد، ورجب، من الترجيب وهو التعظيم، وقد كانت قبيلة مضر. تحرم رجب نفسه بدون نساء؛ ولذلك خصه رسول الله بنسبته إليهم فقال: (رجب مضر)<sup>(١)</sup>.

وشعبان؛ لتشعب القبائل وتفرقها للقتال بعد الشهر المحرم: رجب. ورمضان، من شدة الرمضاء، وهو الحر. وشوال، من شول الإبل، وهو رفعها أذناها للطراق، وذو القعدة؛ لقعودهم عن القتال والترحال، وذو الحجة؛ لإقامتهم للحج فيه.

أيها المسلمون، لقد أوحى الله تعالى إلى خليله إبراهيم عليه السلام أن يبلغ الناس أن الله تعالى قد كتب عليهم الحج فبلغهم، وبلغهم أيضاً المواقيت الزمانية لذلك، وهي: شوال وذو القعدة وذو الحجة. ولتباعد أقطار الناس وللثارات التي كانت تجري بينهم كانت الأشهر المحرمة أربعة لأداء مناسك الحج والعمرة، فحرم قبل شهر الحج شهراً هو ذو القعدة، وحرم شهر ذي الحجة لإيقاع الحج فيه، وحرم شهراً بعده هو المحرم؛ ليرجعوا إلى أقصى بلادهم آمنين، وحرم شهر رجب في وسط الحول؛ لأجل

(١) رواه البخاري.



زيارة البيت والاعتبار فيه لمن يقدم إليه من أقصى- جزيرة العرب لزيارته ثم يعود إلى وطنه آمناً.

وقد بقي عند العرب من هذه الشعيرة الحنيفة بقايا، ولكن لما كانت حياتهم مصبوغة بالحل والترحال والثأر والقتال شق عليهم أن يقعدوا أربعة أشهر بدون قتال؛ لما فيهم من القوة الغضبية والسطو والحمية فلاجل هذا بدأوا يتلاعبون في حرمة هذه الأشهر بما سموه بالنسأ، وهو التأخير، مثل أن يجلوا شهر المحرم عاماً ويحرموا عوضه شهر صفر عاماً آخر، وهكذا.

وكان أول من نسأ الشهور على العرب: القلمس بن الحارث بن كنانة، ثم قام أولاده من بعده إلى أن كان آخرهم: أبو ثمامة جنادة بن عوف.

ثم جاء الإسلام فكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه فقام فيهم خطيباً فيحل ويحرم ويقول: إني لا أجاب ولا أعاب ولا مرد لما أقول. فيسمع له العرب ويطيعون.

وهذا من أعمالهم السيئة التي ضلوا بها وزادتهم كفراً إلى كفرهم. قال تعالى:

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجَلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءٌ أَعْمَلِيهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [التوبة: ٣٧].

ومن هنا نعلم-يا عباد الله- عظم ذنب التلاعب بشرع الله تعالى والتحيل على

دينه، وفضاعة تحريم ما أحل الله وتحريم ما حرم.

فشريعة الله تعالى إنما هي لمصلحة الإنسان في العاجل والآجل، والتلاعب بها جنائية تدل على الاستخفاف والكرامية والسير وراء الأهواء ووساوس الشيطان.

فمن يتلاعب بشرع ربه إنما يتلاعب على نفسه ويخسر حظه ونصيبه، ولن يضر الله شيئاً، ومن يتحيل على أوامر الدين ونواهيه ففيه شبه باليهود المغضوب عليهم، وكان نفسه لم ترتض ما ارتضاه الله لعباده، حتى ضاقت عن قبول ما شرع، فلجأت إلى الحيلة وتظن أنها تخرج بذلك عن الملامة. قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

والتحليل والتحريم ليس للمخلوق العاجز الضعيف الجاهل، وإنما حق للرب الخالق العليم الحكيم القادر، فتحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله تجنُّ وعدوان على حق الله تعالى، قال الله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّنَفْسِنَا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبُ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَا لِلَّهِ آذَنٌ لَكُمْ أَنْ تُخَفُوا عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

أيها المسلمون، وهكذا ظل تلاعب العرب واختلاط الأمور عندهم فربما أوقعوا بعض المناسك في غير زمانها فأنعم الله على الأمة بحجة النبي عليه الصلاة والسلام في

العام العاشر للهجرة فوافقت حجته الحساب الصحيح للحج فاستقر الأمر على ذلك،  
وذهب نسيء الكافرين بمجيء الحق المبين.

فقد وقف النبي عليه الصلاة والسلام خطيباً في حجته فقال: (إن الزمان قد  
استدار كهيتته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة، اثنا عشر شهراً منها أربعة  
حرم: ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر- الذي بين جمادى  
وشعبان)<sup>(١)</sup>.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) متفق عليه.

## الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

أيها المسلمون، إن الأشهر الحرم حينما كانت عظيمة عند الله فعلينا أن نعظمها،

فمن تعظيم الله: تعظيم ما عظمه الله، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]. وقال: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْتِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

لقد بين الله تعالى المطلوب من العباد في الأشهر الحرم وهو: الحفاظ على حرمتها

وقداستها، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الْدِينُ الْقَائِمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

والظلم هنا جاء بمعنى أشمل وأعمق يتناول كل ذنب لازم أو متعدٍ يرتكبه

الإنسان. فالذنب يظلم نفسه بمعاصيه من حيث يشعر أو لا يشعر؛ لأن تلك

المخالفات تورطت نفسه موارد العطب والهلاك في الدنيا والآخرة، -فيا عباد الله- هذه

دعوة من الله تعالى لعباده أن يجعلوا بينهم وبين الذنوب حاجزاً؛ لعلهم يرحمون

أنفسهم بذلك.

أيها الأحبة، لقد ختم الله الآية السابقة بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]. كالنتيجه لأهل الإيمان بعد علمهم بأن ابتداء القتال للكافرين في الشهر الحرام حرام؛ لقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]. وقوله: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]. ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]. تنيبه وإذن للمؤمنين بقتال المشركين إذا كانت البداءة منهم كقوله: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩١]. فإن كان القتال قد ابتدأ في شهر حلال واستمر حتى دخل الشهر الحرام فلا مانع من مواصلة الجهاد؛ لأنه يغتفر في الدوام ما لا يغتفر في الابتداء. وهذا القول على رأي بعض أهل العلم في بقاء حرمة قتال الكفار في الأشهر الحرم، لكن رأي جمهور العلماء أن هذا الحكم قد نسخ، وأن الجهاد للكفار مشروع في كل وقت.

نسأل الله أن يوفقنا لطاعته، ويجول بيننا وبين معصيته، فلا حول لنا ولا قوة إلا

به.

هذا وصلوا وسلموا على النبي المختار....

## الكلمة الطيبة وآثارها الحسنة (١)

الحمد لله الرحيم الرحمن، خلق الإنسان، علمه البيان، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦]. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله جاء بالحق ونطق به، القائل: (والكلمة الطيبة صدقة) (٢).

صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته الصادقين، وزوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين، وسلم تسليماً. أما بعد، فاتقوا الله-عباد الله-؛ فإن تقوى الله أطيب الأعمال وأزكاها، وأفضل الوصايا وأسماها، فما أوصى موسى بمثلها.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ [النساء: ١٣١].

فمن اتقى الله نال الفلاح كله. ﴿ أَوْلَيْكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأَوْلَيْكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ

﴿٥٠﴾ [البقرة: ٥].

(١) ألقى في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٦/٥/١٤٣٥هـ، ٢٧/٣/٢٠١٤م.

(٢) متفق عليه.

أيها الناس، ذكر بعض المؤرخين أن يهودياً مرَّ بإبراهيم بن أدهم رحمه الله، فأراد ذلك اليهودي أن يستفز إبراهيم، فقال له: يا إبراهيم، ألحيتك أطهر من ذنب الكلب، أم ذنب الكلب أطهر من لحيتك؟! فقال إبراهيم: إن كانت في الجنة فهي أطهر من ذنب الكلب، وإن كانت في النار فذنب الكلب أطهر منها. فلما سمع اليهودي هذا الجواب الحليم من المؤمن الكريم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

فتأملوا- أيها الأخوة الكرام- ماذا صنعت الكلمة الطيبة- مع ذلك الاستفزاز المقيت- في نفس اليهودي وكيف أنبتت نباتاً حسناً بإذن ربه.

قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ

كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ [الإسراء: ٥٣].

عباد الله، إن الكلمة الطيبة ثمرة طيبة تخرج من نفس طيبة، وزهرة حسنة تقطفها يد كريمة من حديقة قلب معمور بالطيب وروائح الحب السليم. والكلمة الطيبة حروف مضيئة تنبثق من صدر يتلألأ بالنور، ويزهر بالسرور. تولد الكلمة الطيبة من ذلك المكان المشرق لتضيء القلوب والأرواح والوجوه. الكلمة الطيبة بسمه الحياة، وعطر الشفاء، وبلسم الجروح، وشفاء الجسد والروح.

والكلمة الطيبة عنوان المتكلم ودليله، ولباسه السائر وجماله الظاهر، وعطره الفواح، ومفتاحه إلى القلوب والأرواح، وسفيره الذي يصعد إلى السماء ليجد حسن الجزاء.

\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

والكلمة الطيبة تكشف عن مكنون صاحبها من راحة العقل وشفاء القلب،

قال الشاعر:

وزن الكلام إذا نظقت فإنما يُبدي عقول ذوي العقول المنطقُ

أيها المسلمون، إن الكلمة الطيبة هي الألفاظ الحسنة التي تخرج من فم الإنسان ابتداءً أو جواباً، وتحمل معها الخير والنفع للناس، وتبتعد عن الفحش والبذاء، والإضرار والإيذاء، والشتم والاستهزاء.

إنها ليست كلمة واحدة، بل كلمات تنبع من مشكاة مليئة بها لذ وطاب من الكلام الذي ينبت في القلب السليم وينشره اللسان المستقيم.

والكلمة الطيبة ذكر لله تعالى وتسييح، وتهليل وتكبير، وحمد ودعاء، وشكر وقراءة قرآن، وعلم نافع، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، ونصيحة نافعة، وغير ذلك من العبادات القولية.

والكلمة الطيبة أقوال طاهرة من السباب وجرح الأعراض، وإيذاء الأسماع، وإيجاع القلوب، وإنبات وغر الصدور.

وهي جواب حسن، ورد لطيف على القريب والبعيد، والصديق والعدو. فالمؤمن

طيب ولا يتكلم إلا بطيب الكلام. قال تعالى: ﴿الْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِينَ وَالْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثَاتِ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ

كريم ﴿٣٦﴾ [النور: ٢٦].

إن صاحب النفس الشريفة لا تضيق عليه الألفاظ والأساليب فيلجأ إلى القول السيئ، بل لديه معجم رحب من الجمل النظيفة التي يستطيع أن يصل بها إلى مراده الحسن دون اللجوء إلى الكلمات الجارحة، ولو كانت على سبيل المزاح والدعابة، أو استرجاع الحق وإثباته.

عباد الله، إن الكلمة الطيبة نبتة حسنة تثمر وتزهر في نفوس الخلق وترسل لهم ألد الثمر وأطيب العرف الشذي.

هذا النبتة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها لا بد لها من أرض تنبت عليها، فما هذه الأرض الطيبة التي خرجت منها الكلمة الطيبة؟

هذه الأرض الطيبة هي نفس المؤمن الذي يحسن عبادة الله تعالى، ويحسن معاملة الخلق، فقد دعاه علمه ومراقبته لله تعالى إلى أن تصدر منه الكلمات الحسنة.

أيها المسلمون، إن الطبع الصافي والتربية الأسرية الناجحة والبيئة الصالحة، والقُدوة الحسنة منابت خصبة تنبت المسلم الذي ينبثق من فمه النور الذي يبهج عيون الآخرين ويشرح صدورهم.

هذه الكلمة الطيبة تصدر من المؤمن عن يقين بثواب الله عليها، وحسن جزائه لقائلها، وتصدر عن حب الخير للناس، وإرادة إدخال السرور عليهم. وتصدر الكلمة الطيبة من المؤمن عن قوة عظيمة في الانتصار على النفس خاصة عند الخصام والجدال

النور السائر من خطب المنابر

والعداوة، والقوي الحق هو الذي يتصر- على نفسه. قال رسول الله ﷺ: (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)(١).

كان رسول الله ﷺ يقسم غنائم حنين بالجعراثة فقال ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم: يا رسول الله، اعدل، فقال رسول الله ﷺ: (ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل). فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال (دعه...)(٢). فانظروا إلى حلم رسول الله أمام هذه الكلمة الخبيثة التي خرجت من هذا الرجل وقالها لأعدل الناس ﷺ.

أيها الأحبة، إن النفس الإنسانية فيها من الشرور والأذى شيء كثير لا يحصى، ومن ذلك: أنها قد تستثار لتتلق برديء الكلام وسيء المقال، وفي هذه الحال يبرز دور تربية الإنسان نفسه ومجاهدته لها، ومحاسبتها على ما تنفوه به اللسان وتقول، مستعيناً في تربية لسانه على الكلمة الطيبة بما في الكلمة الطيبة عند الله من الثواب الجزيل، والخير الكثير.

قال رسول الله ﷺ: (والكلمة الطيبة صدقة)(٣).

وقال: (إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أنها تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.



يظن أنها تبلغ ما بلغت فيكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه<sup>(١)</sup>.

وقال: (اتقوا النار ولو بشق تمرّة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة)<sup>(٢)</sup>.

أيها المسلمون، ما أجمل أن يكون الإنسان ذا كلمة طيبة مع الناس جميعاً، من عرف ومع من لم يعرف، ولكن أجمل الجميل أن تكون مع أخص الناس به.

فالكلمة الطيبة مع الوالدين ولو قسواً وأغلظا في الكلام والتعامل؛ فإن لهما حقاً في حسن الخطاب، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

﴿٢٣﴾ [الإسراء: ٢٣].

والكلمة الطيبة بين الزوجين، بدل التراشق بالألفاظ الجارحة، والكلمات النابية التي قد توصل إلى ما لا تحمد عقباه.

والكلمة الطيبة بين الأخوة والأخوات والأقارب والأرحام، والكلمة الطيبة بين الجيران في المنازل والأسواق والوظائف وأماكن العمل. والكلمة الطيبة بين المدير وموظفيه والمعلم وتلاميذه، والكلمة الطيبة بين السائقين والراكبين، وبين الباعة والمشتريين. والكلمة الطيبة من الغني للفقير ومن رب المال للسائل بدلاً من النهر والمنّ ورفع الأصوات بالطرد. قال تعالى: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ

(١) رواه أحمد وابن حبان والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

النور السائر من خطب المنابر

﴿١٠﴾ [الضحى: ١٠]. وقال: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ ﴿٣٦٣﴾ [البقرة: ٢٦٣].

والكلمة الطيبة حتى مع الكافر، قال تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿٤٣﴾ فَقَوْلًا لَهُ، ﴿قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ ﴿٤٤﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

قيل: تصدى رجل للرشيد فقال: إني أريد أن أغلظ عليك لي في المقال، فهل أنت محتمل؟ قال: لا؛ لأن الله تعالى أرسل من هو خير منك إلى من كان شراً مني! فقال: ﴿فَقَوْلًا لَهُ، فَقَوْلًا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ ﴿٤٤﴾ [طه: ٤٤].

والكلمة الطيبة مع الحيوان، فعن أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما جارية على ناقة عليها بعض متاع القوم إذ بصرت بالنبي ﷺ وتضايق بهم الجبل فقالت: حل، اللهم العنهما قال: فقال النبي ﷺ: (لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة) (١).

والكلمة الطيبة مع الجهاد أيضاً، فعن ابن عباس أن رجلاً لعن الريح - وقال مسلم إن رجلاً نازعته الريح رداءه على عهد النبي ﷺ فلعنها فقال النبي ﷺ: (لا تلعنها؛ فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه) (٢).

إذن - أيها المسلم - ليس هناك مجال للكلمة الخبيثة في حياة المسلم.

عباد الله، إن الكلمة في حياة الإنسان لها شأن عظيم؛ فهي بوابة الخير أو بوابة

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داود والطبراني، وهو صحيح.

الشر، وهي منطلق الأعمال الكبيرة، بل هي الوقود الأول للمعارك. والصراع الحقيقي اليوم صراع كلمة وفكرة تنتج عن ذلك أفعال وأحداث. فانظروا إلى الإعلام اليوم ماذا يصنع؟ سواء كان إعلام خير أم إعلام شر. فلا يستهين أحد بالكلمة مهما قلت، ومن أي فم خرجت، فرب كلمة أضاءت الدنيا أو أظلمتها.

فالكلمة الطيبة لها آثارها الحسنة العاجلة والآجلة على صاحبها وعلى من بلغته، فكم من كلمة طيبة غيرت مجتمعاً من الشر إلى الخير، ومن الذل إلى العز، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة.

فمصعب بن عمير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خرج إلى المدينة داعياً إلى الله تعالى، وفي يوم من الأيام بينما كان جالساً مع أسعد بن زرارة جاءهما أسيد بن حضير فقال لهما: "ما جاء بكما إلينا؟ تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره، فقال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس، فكلمه مصعب بالإسلام، وتلا عليه القرآن. قال أسيد: فوالله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتهلله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله! ثم جاء سعد بن معاذ فقال مثل ما قال أسيد، فقال له: أو تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال: قد أنصفت، ثم ركز حربته فجلس. فعرض عليه الإسلام فأسلم، ثم أخذ حربته فأقبل إلى نادى قومه، فلما رأوه قالوا: نحلف بالله لقد رجع بغير الوجه الذي ذهب به فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً، وأيمننا نقيبة،

النور السائر من خطب المنابر

قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله. فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة". لقد كلمة الطيبة أسرة لهذين الخييين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حتى أسلما، ثم سمعتم كيف كانت نتيجة إسلامهما بين قومهما.

ومن آثار الكلمة الطيبة: أنها قد توحد الصفوف وتجمع الشمل، وتؤلف بين القلوب، وتقرب بين الأبعد، وتحبب بين المتباغضين، وتذهب أحقاد الصدور، وتعين على إصلاح ذات البين.

يذكر أن علي بن الحسين رحمه الله كان بينه وبين حسن بن حسن رحمه الله شيء من الجفاء، فجاء يوماً حسن بن حسن وعلي بن الحسين جالس مع أصحابه في المسجد، فما ترك شيئاً إلا قاله له، وعلي ساكت، فلما كان الليل، أتى علي بن الحسين حسن بن حسن في منزله، ففرع عليه بابه، فخرج إليه، فقال له: يا أخي، إن كنت صادقاً فيما قلت لي فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك.. السلام عليكم. وولى.. فما كان من الرجل إلا تبعه، والتزمه من خلفه، وأخذ يبكي، ويقول: لا جرم لا عدت في أمر تكرهه.. فقال له علي: وأنت في حل مما قلت لي.

ومن الآثار الحسنة للكلمة الطيبة: أنها تجعل لصاحبها محبة بين الناس واحتراماً ومكانة مرموقة.

والكلمة الطيبة قد تنجي صاحبها يوم القيامة، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أخبرني بشيء يوجب لي الجنة قال: (عليك بحسن الكلام وبذل السلام) وفي

رواية (عليك بالسلام وبذل الطعام)<sup>(١)</sup>.

والكلمة الطيبة قد يُعز بها بعد الذلة، ويغتنى بعد القلة، ويشرف بعد الخفوت.

خرج الشاعر الأعشى إلى سوق عكاظ - وهي السوق الأدبية في ذلك الزمان التي كانت تعرض فيها بضاعة الأدب - فتلقاه رجل فقير يقال له: المحلّق له ثمان بنات لم يتزوجن، فأراد أن يكسب منه كلمة من شعره بين العرب لعل بها تزويج بناته، فنحر له ناقته التي لا يملك غيرها وأكرمه، وبينما كان الأعشى عند المحلّق تحلّقت البنات بالأعشى فقال لأبيهن: ما هؤلاء الجواري؟ فقال: هؤلاء بنات أخيك، فذهب الأعشى من بيته ولم يقل شيئاً، فلما وافى عكاظ قال قصيدته القافية التي منها قوله:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة      إلى ضوء نار باليفاع تحرق  
تُشب لمقرورين يسطليانها      وبات على النار الندى والمحلّق  
ترى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه      كما زان متنّ الهندواني رونق

ثم نادى: يا معاشر العرب، هل فيكم مذكاري زوج ابنه إلى الشريف الكريم؟ فما قام من مقعده إلا وقد زوجت البنات الثمان على أشرف من العرب.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه ابن حبان والحاكم والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح.

## الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما

بعد:

أيها المسلمون، يذكر أن عمرو ابن هند قال ذات يوم لندمائه: هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمه من خدمة أمي؟ فقالوا: نعم، أم عمرو بن كلثوم، فأرسل عمرو ابن هند إلى عمرو بن كلثوم يطلب زيارته مع أمه، فأقبل ابن كلثوم مع أمه، فدخل هو على ابن هند، ودخلت أمه على هند أم عمرو. وكان عمرو ابن هند قد أمر أمه أن تنحي الخدم، وتستخدم ليلي أم عمرو بن كلثوم، فلما حضر الطعام قالت هند لليلى: يا ليلي، ناوليني ذلك الطبق، فقالت ليلي: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها، فأعدت عليها وألحّت، فصاحت ليلي: وا ذلاه!، يا لتغلب، فسمعها ابنها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه فاخترط السيف فضرب رأس عمرو ابن هند وذهب، وقال معلقته المشهورة التي أولها:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خموراً الأندرينا

أرأيتم ماذا صنعت الكلمة الخبيثة التي قالها عمرو ابن هند؟!

عباد الله، إن الكلمة الخبيثة نفخة شيطانية، وصفة عدوانية، سببها ضعف النفس وغرورها وقوة الشر- فيها وسيطرة الحمق عليها، وقلة المراقبة لله تعالى فيما يتفوه به الإنسان.

إن الكلمة الخبيثة قد تفسد على الإنسان الدنيا والآخرة، وتجلب له شقاء كان في غنى عنه لو لاها.

قال رجل من المنافقين في غزوة تبوك: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء - يعني رسول الله ﷺ وأصحابه -، فقال له عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقه فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث بحديث الركب يقطع به عناء الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بحقب ناقه رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه وهو يقول: إنا كنا نخوض ونلعب. فيقول له رسول الله ﷺ: أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون، فالتفت إليه وما يزيده عليه.

قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ يُعَدِّبُ طَآئِفَةٌ بِآيَاتِهِمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

وقال رسول الله ﷺ: (وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أنها تبلغ ما بلغت فيكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه)<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروتة وسنامه؟ قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: كف عليك هذا، فقلت: يا

(١) رواه أحمد وابن حبات والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح.



النور السائر من خطب المنابر

نبي الله وإنا لمؤاخذون مما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم! (١).

فاتقوا الله-يا عباد الله-وانتبهوا للكلمة؛ فإنها جنة أو نار، وربح أو خسارة، وسعادة أو شقاء. فسارعوا إلى الكلمة الطيبة ولا تحرقوها مهما قلت؛ فإنه كالحبة قد تنبت ولو بعد حين ولو في أرض لم يردّها صاحبها؛ فإن الزمان يذهب والأعمار تذهب ولكن الكلمات تبقى. قال لقمان لابنه: "يا بني، إن من الكلام ما هو أشد من الحجر، وأنفذ من الإبر، وأمرّ من الصبر، وأحرّ من الجمر، وإن من القلوب مزارع فازرع فيها الكلمة الطيبة؛ فإنها إن لم تنبت كلها نبت بعضها".

واحذروا الكلمة الخبيثة مهما صغرت؛ فإنها قد تكون شرارة صغيرة تلد حريقاً عظيماً من الشقاء على صاحبها وعلى غيره.

نسأل الله أن يطهر ألسنتنا، ويصلح قلوبنا وأعمالنا.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

(١) رواه الترمذي والنسائي وأحمد، وهو صحيح.

## فضل العمل الصالح في العشر الأول من ذي الحجة (١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَانْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن الحياة الدنيا مجال رحب للتنافس على الأهداف المرجوة: شريفها ووضيعها، قريبها وبعيدها، حسيها ومعنويها، خاصها وعامها.

وبذلُّ الجهد واستعداد التعب للوصول إلى الآمال المنشودة من قبل آملها، وإن كان مرهقاً لهم إلا إنهم يوقنون أن ذلك العناء والبذل سيُنسى عند أول لقاء مع ما بذلوا

(١) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٢٨/١١/١٤٣٤هـ، ٤/١٢/٢٠١٣م.

لأجله.

أما الكسالى والقاعدون الذين يرون مواكب المتنافسين متسارعة متلاحقة في سبيلها فإنهم سيعضون أيادي الندم، ويتجرعون غصص الألم حينما يجدون أهل العزائم والهمم قد حصّلوا ما اجتهدوا من أجله وألفوا الراحة بعد التعب في ظله. عند ذلك يقول القاعدون: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٣].

ولكن هيهات هيهات فلن ينفع بكاء المفرط في زمن البذر عند رؤية حصاد العاملين المجدين.

عباد الله، إن التنافس الحق هو الذي تعظم غاياته، وتسمو أهدافه، ويُصلح عاجل أمر الإنسان وآجله.

والتنافس على الأشياء التافهة يدل على تفاهة هواتها. ولا تنافس أنفه من تنافس يعود وبالاً على صاحبه يجر إليه الويلات والحسرات.

إن المشاهد لتنافس الناس في الحياة الدنيا ومسارعتهم فيها يجد أكثر ذلك لغرض العلو في الدنيا والراحة فيها، مع أنه قليلة منقطعة. وهذا التنافس على القليل المنقطع قد يُنسي صاحبه التنافس على الكثير الدائم، وذلك هو الحياة الأخروية.

أيها الأفاضل، إن الإنسان ليعجب ممن رُزق العقل حينما ينافس على ما يفنى، ويتناسى ما يبقى، ويقدم المسارعة إلى الملذات المشوبة، ويؤخر الملذات الخالصة.

فيا من منّ الله عليه بالعقل السليم فكر وتأمل في الشيء الذي يجب عليك أن

تسارع إليه فاسلك سبيله، ودع كل منافسة تجلب لك الشقاء في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون، إن ربنا تبارك وتعالى قد دعانا إلى التنافس والتسابق والإسراع إلى الخيرات وأعمال الجنات.

فقال عز وجل: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُهُ مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٢-٢٦]. وقال: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١].

وقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وكذلك رسولنا ﷺ فقد قال: (التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة)<sup>(١)</sup>.

عباد الله، إن الله تعالى حثنا على استباق الخيرات لعظيم ما ينتظر المسابقين من الربح الذي لا ينبغي التكاثر عنه، ولأن المسارعة تثبت الإنسان على الاستمرار على عمل الآخرة، ولأن الحياة الدنيا فرصة؛ فقد تعرض للإنسان فيها صوارف تمنعه من المسابقة إلى عمل الخير والصبر عليه؛ فالدنيا كثيرة الأمراض والهموم والحوائل والفتن وتقلبات الأحوال ومفاجأة الآجال.

(١) رواه أبو داود والبيهقي والحاكم، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

قال رسول الله ﷺ: (بادروا بالأعمال؛ فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا)<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: (اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)<sup>(٢)</sup>.

قال الحسن البصري رحمه الله: "المبادرة المبادرة؛ فإنها هي الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله عز وجل، رحم الله امرأً نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه، ثم قرأ هذه الآية ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مریم: ٨٤]."

وقال أيضاً: (يتوسد المؤمن ما قدم من عمله في قبره، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فاغتنموا المبادرة رحمكم الله في زمن المهلة".

أحبتي الكرام، إن ميدان التنافس على أعمال الخير ميدان فسيح يستطيع المسلم صاحب المهمة العالية أن يربح فيه ويغضم، وإن اختلفت أحواله وكثرت أعماله وقلت معرفته وخبرته. فالمسابقة في أداء الواجبات وترك المحرمات القولية والفعلية. والمسابقة في نوافل العبادات كالصلوات والصيام والصدقات. والمسابقة في الإحسان إلى الناس وتفريج كربهم وإعانتهم على صلاح دينهم ودنياهم. والمسابقة في الدفاع

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البيهقي، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

عن شريعة الله والحفاظ على هوية الأمة وحماية بيضتها وأهلها. والمسابقة في كثرة ذكر الله تعالى وقراءة القرآن وحضور مجالس العلم والسؤال عما يجهل المسلم من أمر دينه. والمسابقة في استغلال مواسم الخير التي يتفضل الله بها على عباده؛ ليغتنموا خيراتها وبركاتهما، فتثقل بها موازين حسناتهم وترتفع درجاتهم عند ربهم.

عباد الله، إن من مواسم الخير الشريفة التي ينبغي استغلالها بالمسابقة إلى الأعمال الصالحة: العشر-الأول من ذي الحجة. فهي أيام فاضلة، وغنيمة باردة على العاقل أن يعمرها بالطاعة المضاعفة.

إن مما يدل على مكانة هذه الأيام وفضلها: أن الله تعالى أقسم بها، ولا يقسم الله إلا بعظيم. فقال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر: ١-٢].

قال مسروق رحمه الله: "هي عشر-الأضحى، هي أفضل أيام السنة"، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك رحمهم الله.

وليالي هذه الأيام العشر-هي الليالي التي أتم الله بها لموسى عليه السلام ميقات المناجاة والتكليم، فكلمه وناجاه يوم النحر. قال تعالى: ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢]. وهذا القول قاله مجاهد ومسروق وابن جريج.

ومن فضائل هذه الأيام المباركات: أنها الأيام المعلومات التي أمر الله بذكره فيها، خصوصاً التسمية عند الذبح.

قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكُم مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج: ٢٧-٢٨].

ومن فضائل هذه الأيام: أنها تجتمع فيها أمهات العبادات التي لا تجتمع في غيرها من صيام وصدقة وحج وذبح ابتغاء وجه الله وذكر ودعاء ونحو ذلك من العبادات؛ ولأجل هذا كانت خير أيام السنة، بل أيامها أفضل من أيام العشر-الأواخر من رمضان، كما قال بعض العلماء.

فقد صار العمل الصالح فيها خيراً من الخروج للجهاد في سبيل الله بالنفس والمال وعدم الرجوع من ذلك بشيء؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: (ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام العشر-) قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: (ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء) (١).

وفي رواية للدارمي: (ما من عمل أزكى عند الله ولا أعظم أجراً من خير يعمله في عشر الأضحى).

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أَفْضَلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا الْعَشْرَ عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ، قِيلَ: وَلَا مِثْلَهُنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا مِثْلَهُنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ عَفَرَ

(١) رواه ابن حبان وأحمد وأبو داود، وهو صحيح.

وجبه بالتراب الحديث<sup>(١)</sup>.

عباد الله، من أفضل هذه الأيام الفاضلة: يوم عرفة، وهو اليوم الذي أكمل الله به  
 لأمة محمد عليه الصلاة والسلام الدين وأتم به النعمة على العالمين، قال تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ  
 أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣].

عن عمر بن الخطاب أن رجلاً من اليهود قال له: (يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم  
 تقرأونها لو علينا معشر اليهود نزلت - لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: أي آية؟ قال:  
 ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾. قال عمر:  
 قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم  
 الجمعة<sup>(٢)</sup>.

إن يوم عرفة يوم خير كثير للحاج والمقيم، ففيه عتق من النار لمن شاء الله من  
 عباده، قال رسول الله ﷺ: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم  
 عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء)<sup>(٣)</sup>.

وفيه أن الله يباهي ملائكته بأهل عرفة، يقول النبي ﷺ: (إن الله عز وجل يباهي  
 ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة، فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً)<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البزار بإسناد حسن وأبو يعلى بإسناد صحيح .

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أحمد والطبراني وابن خزيمة، وإسناده لا بأس به.

\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

وفيه قبول الدعاء والإثابة الكبيرة عليه، قال النبي ﷺ: (خير الدعاء دعاء يوم عرفة)<sup>(١)</sup>.

وفيه الصيام للمقيم الذي يكفر ذنوب سنتين، قال النبي ﷺ: (صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده)<sup>(٢)</sup>.

قال ابن سيرين رحمه الله في فضل هذا اليوم: "كانوا يرجون في ذلك حتى للحمل في بطن أمه".

أيها المسلمون، وفي هذه الأيام المباركة: يوم النحر وهو يوم العاشر من ذي الحجة، وهو يوم فضيل، بل هو أعظم الأيام عند الله تعالى، قال النبي ﷺ: (إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى يوم النحر ثم يوم القر)<sup>(٣)</sup>.

وهو يوم الحج الأكبر-أي: الذي تحصل فيه أعظم أعمال الحج وأكثرها- عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: وقف النبي ﷺ يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها وقال: (هذا يوم الحج الأكبر)<sup>(٤)</sup>.

فيا أيها المسلمون، هذا خير كثير في وقت يسير فأين أهله الحريصون على اغتنامه؟ جعلنا الله جميعاً من أهله المسابقين إلى فضله.

(١) رواه الترمذي، وهو حسن.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود وأحمد والبيهقي والنسائي، وهو صحيح.

(٤) رواه البخاري.



خطب

من

السائر

النور

---

---

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أنعم علينا وأكرم، والصلاة والسلام على خير من هدى وعلم، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

أيها المسلمون، يقول علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "هتف العلم بالعمل... فبعد أن عرفنا فضل هذه الأيام وكثرة خيرها لم يبق إلا البذل من الأوقات والهمم الصادقة المشتاقة إلى هذا الخير؛ لتسمو الروح، وتنشرح الصدور، وتبتهج النفوس، وتحيا القلوب، وتستنير العقول، وتصلح الدنيا والآخرة.

لم يبق أمامنا إلا الجِد والاجتهاد والمسارعة إلى الأعمال الصالحة في هذه الأيام المشرقة؛ فقد كان دأب السلف في هذه الأيام الاجتهاد والجد، فسعيد بن جبیر رحمه الله كان إذا دخلت عليه العشر. اجتهد اجتهاداً شديداً حتى ما يكاد يقدر عليه، وكان يقول لأهله: " لا تطفئوا سرجكم ليالي العشر ". كناية عن كثرة القيام والقراءة.

قال ابن رجب رحمه الله: " لما كان الله سبحانه وتعالى قد وضع في نفوس المؤمنين حيناً إلى مشاهدة بيته الحرام، وليس كل أحد قادراً على مشاهدته في كل عام فرض على المستطيع الحج مرة واحدة في عمره، وجعل موسم العشر- مشتركاً بين السائرين والقاعدين فمن عجز عن الحج في عام قدر في العشر- على عمل يعمل في بيته يكون أفضل من الجهاد الذي هو أفضل من الحج ".

عباد الله، فما هي العبادات التي ينبغي أن نسارع إليها في هذه العشر؟



رياض الخير كثيرة وأبوابها مشرعة لمن رغب في ولوجها، سواء كانت عبادات قولية أم فعلية متعددة أو لازمة، لكن هناك عبادات ينبغي الإكثار منها في هذه العشر، فمنها:

الإكثار من ذكر الله تعالى، خاصة التكبير، في البيت وفي السوق وفي المساجد وغيرها.

قال النبي ﷺ: (ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه من العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد)<sup>(١)</sup>.

وكان ابن عمر وأبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يخرجان إلى السوق في أيام العشر- يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما.

وعن ميمون بن مهران رحمه الله قال: " أدركت الناس وإنهم ليكبرون في العشر، حتى كنت أشبهه بالأمواج من كثرتها، ويقول: إن الناس قد نقصوا في تركهم التكبير."

ومن الأعمال الصالحة في هذه الأيام القادمة: الإكثار من الصيام، فعن بعض أزواج النبي ﷺ قالت: (كان رسول الله ﷺ يصوم تسع ذي الحجة، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر أول اثنين من الشهر والخميس)<sup>(٢)</sup>.

عباد الله، ومن الأعمال الصالحة كذلك في هذه الأيام الفاضلة: الحرص على

(١) رواه أحمد والبيهقي، وهو صحيح.

(٢) رواه أحمد وأبو داود، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

الأضحية ممن كان قادراً عليها؛ فإنها عبادة من أجل العبادات التي يتقرب بها المسلم في هذه الأيام إذا صلحت نية صاحبها.

وفي هذه العبادة هناك بعض التنبيهات:

منها: أن على من أراد الأضحية إذا دخلت عليه العشر. أن لا يأخذ من شعره ولا من ظفره شيئاً حتى يذبح أضحيته، وهذا في حق رب الأسرة فقط وليس على جميع أفرادها.

فعن أم سلمة أن النبي ﷺ قال: (إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحى فليمسك عن شعره وأظفاره)<sup>(١)</sup>.

وإذا نوى الأضحية أثناء العشر أمسك عن ذلك من حين نوى.

وكذلك عليه أن يستسمن الأضحية أي: يبحث عن الأحسن والأجود؛ لأن المقصود الأعظم هو التقرب إلى الله تعالى تعظيماً له. ويحذر الأضحية العوراء البين عورها والعرجاء والعمياء وكل ذات عيب مؤثر في لحمها.

نسأل الله أن يجعلنا من أهل اغتنام الخيرات المسابقين إلى الأعمال الصالحات.

هذا وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة..



## الحج عبر ودروس (١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَانْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، ما أجمل النداء، وأطوع المنادي يوم نادى، وأعظم المنادى له، وأشرف مكانه يوم أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام ببناء بيته العتيق أول بيت وضع

(١) ألقى في مسجد ابن تيمية في ٥/١٢/١٤٢٨ هـ.

النور السائر من خطب المنابر

للناس . فلما أتم ذلك البناء العظيم أمره الله أن ينادي الناس للحج فقال: يا رب، كيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم؟ فقال: نادِ وعلينا البلاغ، فقام على مرتفع فنادى وقال: أيها الناس، إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه . يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيُقْضَىٰ أَفْئِدَتُهُمْ وَلِيُؤْفُوا نَذْرَهُمْ وَيَلْتَطِفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٦-٢٩].

عباد الله، في مكة المكرمة أقيم بيت الله العتيق في صحراء قاحلة غير أهلة فاعشوشبت بعد جديها وأنست بعد وحشتها، وتطيت بعد غبارها .  
فما أحسنها عامرة بذكر الله تعالى، مأهولة بوفود الرحمن الذين يأتون من كل فج عميق .

إنها بقعة طاهرة تأسر العين بمرآها والقلب بذكرها، كم اشتاقت إلى تلك البقاع المقدسة من أفئدة فما بلغتها، وكم وصلت من نفوس إليها فما سئمتها، استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

أيها الأحبة، لقد حدا الشوق أهله إلى استعذاب التعب، وبذل المال، وفراق

الأهل والأوطان والمحجوبات من أجل الوصول إلى ذلك المهوى السامي، في رحلة تتسابق فيها القلوب قبل الخُطى من فرط الشوق. تتحمل النفوس النصب والمشقة وبعد الشُّقة، لكنها تنسى ذلك عند رؤية ذلك البيت المهيب والمنزل الآمن المشيد. فله ما أنضره من منظر وأباه من موقف. خصوصاً لمن وصل إليه أول مرة بعد مكابدة الأشواق.

وحينما يصل إلى تلك البقعة المقدسة تعود به الذكريات إلى الورا ليتدكر عمل إبراهيم وابنه إسماعيل وأم إسماعيل عليهم السلام، ويتذكر رسول الله ﷺ وأصحابه وهم يطوفون ويسعون ويلبون ويقفون. ويتذكر مرور التاريخ من ذلك الزمن إلى زمنه.

فيا سعد العين التي اكتحلت بذلك المرأى البهيج، ويا فرحة ذلك القلب الذي أطفأ أوار حنينه حينما وصل إلى تلك البقاع المقدسة.

وما أشد الحزن على المشتاق يوم يشاهد مواكب الحجيج مرتحلة تطير على أجنحة الشوق وسحب السرور، وما حاله إلا كما قيل:

ياراحلين إلى البيت العتيق لقد سرتم جسوماً وسرنا نحن أرواحا  
إننا أقمنا على عذر وعن قدر ومن أقام على عذر كم راحا

أيها المسلمون، إن الله تعالى قد أوجب قصد بيته العتيق مرة في العمر على المسلم المستطيع مالا وحالا وبدناً، فقال: ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ

سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧].

عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال: (أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكل عام؟ يا رسول الله، فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله ﷺ: لو قلت: نعم، لوجبت ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه) (١).

وجاء الحث على الإكثار منه ومتابعته؛ لما فيه من غفران الذنوب وسعة الرزق والعتق من عذاب الله.

قال رسول الله ﷺ: (تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنها ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة) (٢).

وقال: (من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) (٣).

وقال: (إن مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطا) (٤).

وقال: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي وابن حبان، وهو صحيح.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح.

ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟<sup>(١)</sup>.

عباد الله، لهذا أقبل المسلمون من كل بقاع الأرض واجتمعوا في ذلك المكان المقدس أحمرهم وأسودهم، عربيهم وعجميهم، ذكرهم وأنثاهم، راعيهم ومرعيهم، جاءوا للاجتماع على شعيرة الحج. التي اجتمعت فيها عبادات كثيرة، فقد جمع الله في الحج أنواعاً من العبادات: القلبية والقولية والفعلية والمالية.

مع ما يسبق الحج من الاستعداد الصالح، قال الغزالي رحمه الله: "إنَّ الحجَّ من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام وكمال الدين. فعلى كلِّ حاجٍّ ومعتمر أن يبدأ بالتَّوبة، وردِّ المظالم، وقضاء الدَّيون، وإعداد النَّفقة لكلِّ من تلزمه نفقته إلى وقت الرَّجوع، ويردِّ ما عنده من الودائع، ويستصحب من المال الحلال الطَّيب ما يكفيه لذهابه وإيابه، كما ينبغي أن يلتمس رفيقا صالحا محبًّا للخير معينا عليه، إن ذكر الله أعانه، وإن جبن شجَّعه، وإن عجز قواه، وإن ضاق صدره صبره".

أيها الفضلاء، إن أولئك الناس الذين تقاطروا إلى هذه البقعة المقدسة من كل حذب وصبوب، وهم مختلفو اللغات والأجناس، والعواطف والأوطان، ما الذي جمع هذا التفرق فيهم على هذه الشعيرة؟ أي قوة في الأرض تستطيع أن تجمع مثل هذا الجمع على هذا الاختلاف فيه، في حال رغبته وشوقه ببذل يقدمه هذا الجمع من ماله ووقته وجهده وفراقه لمآلوفاته وعوائده؟ إنه لا أحد من البشر يستطيع ذلك.

(١) رواه مسلم.

النور السائر من خطب المنابر

ليبقى الحج بعد هذا التحدي حجة ظاهرة على أن هذا الدين هو الدين الحق الذي يلائم الفطر وتقبله العقول ويصلح الحياة كلها.

إن هذا الركب المبارك لم يسافر هذه السفرة الشاقة للنزهة والترفيه، وإنما جاء لعبادة ربه تعالى، وعندما وصلوا لأداء مناسكها كان المتأمل منهم يرى أن كل شعيرة فيها تشير إلى معان أعمق مما يبدو. فما الحج إلا انتصار على النفس والهوى والشيطان، وإشارة إلى اجتماع الأمة وإن تفرقت. وما لبسة الإحرام البيضاء الناصعة الموحدة إلا حث على تصفية العمل وتوحيد الصف وإذابة الفوارق التي تفرق الأمة؛ إذ لا ميزة للمظاهر، إنما الميزة بما تحمله القلوب من تقوى والجوارح من استقامة على الهدى.

وما التلبية بتلك الجمل الصادقة العميقة إلا شهادة بالاستمرار والدأب على الطاعة ومواصلة طريق التوحيد.

وما تقبيل الحجر الأسود إلا اقتداء بسيد الأنبياء من غير اعتقاد بحجر لا يضر ولا ينفع.

عن عابس بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقبل الحجر الأسود ويقول: (إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك) (١).

وما السعي والطواف إلا برهان على الامتثال والحركة من أجل الله تعالى قياماً

(١) متفق عليه.



بحق التعبد، وإن لم تظهر الحِكم من وراء هذه الشعيرة.

وأما الوقوف بعرفة فهو مذكر بالوقوف بين يدي الله يوم القيامة، وتفرغٌ خاشع  
لمناجاة الله ودعائه في ذلك المكان والزمان الذي لا يجتمع الحجيج في مكان مثله.

وأما رمي الجمرات فهو امتثال للهدي النبوي، يرمي المسلم الحاج كما رمى  
رسول الله ﷺ، وإن لم تدرك حكمته وعلته، وحاله: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا  
وإليك المصير.

وأما حلق رأسه فهو عبادة تحمل معها التفاؤل بإسقاط الأوزار عن النفس كما  
يتساقط شعر الرأس، بعد أداء المناسك.

وما هي إلا أيام قلائل وتحين ساعة الوداع المؤلمة وتنقش تلك المواقب مرتحلة إلى  
أوطانها، والحزن والكمند يعتصر العيون والقلوب حسرة على فراق بيت الله العتيق.

ويبلغ الحزن المدى بطواف الوداع الذي يحمل معه في كل شوط شظايا من الحزن  
التي يتلظى بها القلب، وربما أهرقت العيون دموع الأسى في الوداع ألما كما أهرقتها في  
طواف القدوم فرحا.

فيا أيها القاعد، وأنت مالك الاستطاعة ولم تحج ما الذي أقعدك عن فرضك؟ أفلا  
تتعجل قبل أن يبعثك الأجل أو تشغل عن بلوغ ذلك الأمل. فتبدل الأحوال من غنى  
إلى فقر ومن صحة إلى مرض ومن فراغ إلى شغل ومن حياة إلى موت أحوال متوقعة في  
هذه الدنيا.

النور السائر من خطب المنابر

قال رسول الله ﷺ: (تعجلوا إلى الحج - يعني الفريضة - فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له) (١).

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لقد هممت أن أبعث رجلاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من كان له سعة ولم يحج ليضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين".

أيها المسلمون، إن عبادة الحج من العبادات التي شرعها الله تعالى لحكم عظيمة وغايات حميدة، ففي الحج يتجسد في تلك التلبية العذبة توحيد الله تعالى وحده لا شريك له وكذلك في بقية المناسك التي ينوي بها الحاج وجه الله دون سواه.

وفي الحج يظهر كمال الانقياد لله تعالى والعمل بشريعته وإن لم يعلم العبد حكمة ظاهرة لكثير مما يعمل من شعائر هذه العبادة.

وفي الحج يبرهن المسلم على اقتدائه بنبيه عليه الصلاة والسلام فيعمل كما عمل رسول الله ويقول ما قال مما هو من شعائر هذه العبادة، بتوسط واعتدال من غير إفراط ولا تفريط، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته: (القط لي حصي، فلقطت له سبع حصيات هن حصي- الخذف، فجعل ينفذهن في كفه ويقول: أمثال هؤلاء فارموا، ثم قال: يا أيها الناس، إياكم والغلو في الدين؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين) (٢).

(١) رواه أحمد، وهو صحيح.

(٢) رواه أحمد والنسائي والبيهقي، وهو صحيح.



وفي الحج إعادة للأمل باجتماع هذه الأمة تحت راية الحق الواحدة ولو بعد ذلك الزمان، لكنه سيكون متى شاء الله؛ لأن هذه الأمة لديها عوامل الاجتماع والاتحاد.

قال بعض المبشرين بالنصرانية: "سيظل الإسلام صخرة عاتية تتحطم عليها سفن التبشير ما دام للإسلام هذه الدعائم: القرآن، واجتماع الجمعة، ومؤتمر الحج".

وفي الحج تتجلى المساواة بين الناس وتذوب الفوارق الدنيوية منذ لبس الإحرام إلى التحلل، فالناس في الحج أمام الله سواء راعيهم ومراعيهم، غنيهم وفقيرهم، قويهم وضعيفهم، حسنهم وقبيحهم، وعربيهم وعجميهم، لا ميزان لميزات الدنيا، إنما الميزان تقوى الله تعالى. إن أكرمكم عند الله أتقاكم.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد،  
والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

أيها المسلمون، وفي الحج أيضاً تربية عظيمة للنفس في جوانب شتى، فهو تربية لها  
على جعل الأعمال الصالحة خالصة لوجه الله، وهو تربية لها على البذل والسخاء في  
سبيل الله؛ لتذهب عنها الشح والبخل، وهو تربية لها على التمسك بالأخلاق الفاضلة  
من صبر وحلم وسكينة ورفق.

وهو تربية لها على ترك ملذاتها وعوائدها وزمها عن مقارفتها، ففي الحج لا طيب  
ولا لباس مما يعتاد، ولا جماع ولا كلام يشير إليه.

قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ  
وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ...﴾ [البقرة: ١٩٧].

وفي الحج تربية للنفس على تحمل المشاق ابتغاء مرضاة الله، وفي الحج تربية للنفس  
على اجتناب الآثام واحترام الحرمات، فلا تعدُّ ولا مجاوزة، فيعيش الناس في أمن  
وسلام.

وفي الحج تربية للنفس على النظام والدقة في الأعمال، فالحياة بلا ترتيب وضبط  
للأمور حياة تعيسة آيلة إلى التعب والعناء.



عباد الله، ما أهيب ذلك الموكب العظيم والعرصات في الحج مزدحمة والرحاب ممتلئة بأنواع من البشر، إن ذلك المحفل الهائج المائج ليذكر المرء بالوقف العظيم بين يدي الله تعالى يوم القيامة فالزحام يذكر بالزحام وتنوع الخلق يذكر باجتماعهم جميعاً في ذلك الصعيد.

ألا يا عباد الله فاعلموا هذه الحكم من هذه الشعيرة وتيقنوا أن الله تعالى جعل لما تعبد به خلقه من العبادات غايات وحكماً عرفنا منها ما عرفنا وجهلنا ما جهلنا.  
هذا وصلوا وسلموا على خير الورى...

## خطبة عيد الأضحى (١)

الحمد لله الواسع الكريم، الوهاب الرحيم، أنعم وأسدى، وأجزل فيما أعطى، لا عاد لعطائه، ولا محصي- لنعائه، يُعبد فيشكر، ويُعصى- فيغفر، فلا إله إلا الله ما أوسع علمه، وما أعظم حلمه، وهو الغني عن عباده وعباده مفتقرون إليه. نحمده ونشكره وهو أهل الشكر والحمد، ونثني عليه وهو أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لله عبد، ونصلي ونسلم على نبينا محمد خير العابدين وسيد الشاكرين، ودليل السالكين إلى رب العالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فالله أكبر عدد ما ذكره الذاكرون، والله أكبر عدد ما غفل عن ذكره الغافلون، والله أكبر عدد ما لبي الحجيح وكبروا، وطافوا وسعوا وذكروا، والله أكبر عدد خلقه ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، والله أكبر عدد أسمائه وصفاته، والله أكبر عدد ما خط به قلمه، وأحاط به علمه، والله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد. أيها المسلمون، إن يومكم هذا يوم عظيم: فهو يوم عيد الأضحى الذي هو أعظم أعيادنا نحن المسلمين وأفضلها وأكبرها.

وهو أعظم الأيام عند الله تعالى، قال النبي ﷺ: (إن أعظم الأيام عند الله تبارك

(١) ألقى في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٠/١٢/١٤٣٤هـ، ١٥/١٠/٢٠١٣م.

وتعالى يوم النحر ثم يوم القر)<sup>(١)</sup>.

ويوم القر هو: يوم الحادي عشر. من ذي الحجة أول أيام التشريق الثلاثة، وسمي بذلك لأن الحجيج يقرون فيه بمنى بعد تعب الأيام الثلاثة السابقة.

ويوم النحر يوم الحج الأكبر؛ لأنه اليوم الذي يؤدي فيه الحجاج أعظم مناسك الحج: من رمي ونحر وحلق وطواف وسعي.

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: وقف النبي ﷺ يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها وقال: (هذا يوم الحج الأكبر)<sup>(٢)</sup>.

وهذا اليوم يوم العج والثج، والعج: رفع الصوت بالتلبية، والثج هو إهراق دماء الأضاحي والهدايا تقرباً إلى الله تعالى. عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سئل أي الأعمال أفضل؟ قال (العج والثج)<sup>(٣)</sup>.

وهذا اليوم المعظم هو خاتمة الأيام المعلومات: أيام عشر- ذي الحجة، قال الله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨].

عباد الله، هذا اليوم العظيم يوم للعبادة والتقرب إلى الله تعالى بأنواع القربات:

(١) رواه أحمد و أبو داود والنسائي وابن خزيمة، وهو صحيح.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

من ذبح للأضاحي ابتغاء مرضاة الله تعالى، ويوم لكثرة ذكر الله تعالى بالتكبير وغيره، ويوم لمد يد السخاء بالعتاء للأقارب والأصدقاء والمحتاجين. قال تعالى:

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

﴿٣٦﴾ [الحج: ٣٦]، ويوم لشكر الله تعالى عند التمتع بنعمه على عباده في هذا اليوم السعيد. قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ النُّفُوسُ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

معشر المسلمين، هذا اليوم يوم سعيد يأتي على إثر أداء الركن الخامس من أركان الإسلام لمن وفق للحج، كما أتى عيد الفطر بعد أداء الركن الرابع وهو صيام رمضان. فهو عيد لأهل الطاعات بإكمال أجل القربات: من صيام وذكر وصدقة وذبح وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

فهو بهذا يوم للفرح والسرور، وإظهار البهجة والحبور بنعمة الله وفضله، ويوم للتوسعة على النفس والأهل والأولاد والأقارب والمساكين. لكن هذا السرور يجب أن يكون في حدود المباح، فلا يخرج إلى معصية الله والاعتداء على حقوق الآخرين وإيذائهم. فلا إسراف ولا غرور، ولا تعري ولا إزعاج.

عباد الله، ما أجمل أن يكون هذا اليوم يوماً للصفاء والمحبة بين الإنسان وقريبه وجاره، فلا قطيعة ولا هجران، ولا عبوس ولا بغضاء، ولا تنافر ولا شحناء.

إن هذا اليوم العظيم يوم للاتحاد والتآلف، يوم يجمع الأمة الإسلامية، ويذيب الأحقاد التي طحنتها وفرقتها، هكذا ينبغي أن يكون حال الأمة أن تستلهم تماسكها واجتماعها وقوتها من تعاليم دينها.

فالعيد-يا أمة الإسلام- يعيد للأمة ذكرى اتصال الماضي بالحاضر، وأنها أمة متصلة، جذورها راسخة في أعماق التاريخ، إنها كالكلمة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

فما أحسن الأمة لو اقتبست أنوار مسيرتها من مشكاة دروس العيد؛ لكي تعود إلى طريق النور والريادة بعد أن اعوجَّ سيرها وأضلت طريق عزها.

فالعيد يوحى للأمة أنها أمة متحدة في شعائرها، فلماذا لا تتحد في مشاعرها؟!!

العيد يشير لنا أن الأمة فرد في تماسكها، والفرد أمة بانتمائه إليها بحمل مبادئها وهمومها وتطلعاتها.

العيد يقول للأمة: إن تعاونها الاجتماعي على اختلاف طبقاتها هو سبب من أسباب سعادتها وتقدمها، فلا هزاً ولا كبر من غني الأمة على فقيرها لعوزة وفاقته، ولا حقد ولا حسد من فقيرها لغنيها على ما ملكت يده من الغنى.

العيد يعلم الأمة وهي تلبس الجديد، وتتعطر بالطيب الشذي أن تلبس على ذلك لباس الأخلاق الحسنة الصادقة على الوجوه والأعمال، فما أحسن الأمة بخصالها الفاضلة وحبها المبثوث بينها، أخلاق حسنة كلباسها الحسن، وسمعة طيبة كرائحتها

الزكية.

عباد الله، لماذا تفتح أمتنا على أنفسها نوافذ التقاطع ولديها أبواب إلى الإخاء

مُشرعة؟!

فالعجب كل العجب من أمة تتفرق يوماً بعد يوم وعندها عوامل الاتفاق،

وأعداؤها يجتمعون ولديهم أسباب الافتراق!.

ولعل السبب في هذا: أننا لم نفهم ديننا فهماً صحيحاً، ولم نأخذه لنبي به الحياة

التي نعيشها من جميع جوانبها.

نسأل الله تعالى أن يصلح أحوالنا وأحوال إخواننا المسلمين في كل مكان، وأن

يجعل أيام المسلمين أعياداً بالنصر والعز والتمكين.

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر والله الحمد.

عباد الله، إن أعظم ما يقوم به المسلم المقيم في هذا اليوم العظيم - بعد الفرائض والواجبات - أن يذبح أضحيته، إن كانت له أضحية تقرباً إلى الله تعالى. وأن يذكيها الذكاة الشرعية: بأن يكون المذكي مسلماً - إذا لم يذبح هو بنفسه، وأن يسمي وأن يكبر عند الذبح، ويقول: بسم الله والله أكبر اللهم هذا عني، ويستقبل القبلة بذيحته. وأن يحسن إلى الذبيحة عند ذبحها: بأن يحد شفرة الذبح بعيداً عن الأضحية، وأن لا يذبحها أمام الأخريات، وأن لا يقطع منها جزء حتى تموت.

ويستحب أن يذبحها بنفسه، فإن ذبح له غيره بالأجرة فليعطه مالا ولا يعطه من الأضحية ثمناً لعمله، لكن يجوز إعطاء الجزار من باب الصدقة أو الهدية لا من باب الأجرة على الذبح. عن علي رضي الله عنه قال: (أمرني رسول الله ﷺ أن أقوم على بُدنه، وأقسم جلودها وجلالها، وأمرني أن لا أعطي الجزار منها شيئاً، وقال: نحن نعطيه من عندنا)<sup>(١)</sup>. وأن يأكل من أضحيته ويتصدق ويهدي ما شاء.

ثم اعلّموا عباد الله، أن أيام الذبح ممتدة إلى غروب شمس الثالث عشر من هذا الشهر. فضحوا تقبل الله ضحاياكم، وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

(١) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

أجمعين.

## ذكر الله تعالى (١)

الحمد لله حمداً حمداً، والشكر له شكراً شكراً، أحمده تعالى على كماله وجلاله، وأشكره على جزيل عطائه، وسابغ نواله.

وأشهد أن لا إله إلا الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن نبينا محمداً عبداً لله ورسوله، وحبيبه وخليته، خير من عبد ربه وذكره، وحمد فضله وشكره، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأُسوة المقتدين، والهداة المهتدين، وسلّم تسليمًا.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - فبتقوى الله صلاح العمل، وغفران الزلل، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أيها المسلمون، إن من أحب شيئاً أكثر من ذكره، فالذي فطر الإنسان وخلقه، وتفضل عليه ورزقه، وصوره فأحسن صورته، وهدهد وبين له محبته، وفضله وكرمه، وعلمه وفهمه، أرسل له رسله وأنزل عليهم - من أجله - كتبه، وجعل ما في الأرض

(١) ألقى في مسجد ابن تيمية في ١٢/١٢/١٤٢٨ هـ.

النور السائر من خطب المنابر

مسخرًا لخدمته، وحفظه بالمعقبات من ملائكته من بين يديه ومن خلفه، وأنعم عليه بنعم ظاهرة وباطنة، لا يستطيع المخلوق عدها ولن يبلغ حصرها، أفلا تحب النفوس -عباد الله- من هذه بعض عطايها ومنه على الإنسان؟! بلى.

إن المؤمنين الصادقين أحبوا الله حباً حقيقياً قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ومن علامات حبهم له: أنهم يكثرون من ذكره على كل حال: في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، فيجدون في ذكره تعالى أنسهم وراحتهم كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ويلقون فيه حصناً حصيناً، وحرزاً أميناً من كل عدو، وفي مقدمة الأعداء: الشيطان الرجيم وأعدائه، ففي حديث الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ جَل وَعَلَا أَمْرِيحِي بِن زكريا بخمس كلمات، يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وإن عيسى قال له: إن الله قد أمرك بخمس كلمات تعمل بهن وتأمّر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تأمرهم وإما أن أمرهم قال فجمع الناس في بيت المقدس حتى امتلأت، وجلسوا على الشرفات فوعظهم، وقال: إن الله جل وعلا أمرني بخمس كلمات أعمل بهن، وأمركم أن تعملوا بهن، وذكر منهن:

(وأمركم بذكر الله؛ فإن مثل ذلك كمثّل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى على حصن حصين فأحرز نفسه فيه، فكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر

الله) (١).

ولا عجب أن الذاكرين الله تعالى موصوفون بالحياة والغافلين عن ذلك موصوفون بالموت.

قال عليه السلام: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت) (٢)  
فالغافلون أدركهم الشيطان فأمات أرواحهم وقلوبهم؛ ولهذا فإن الذاكرين يعيشون حياة حقيقية ملؤها السعادة واليقين، وتحفها الطمأنينة والراحة، وأفعالهم بيضاء لصفاء قلوبهم بذكر الله تعالى، أما غيرهم - ممن يعيشون الغفلة - فأموات في صورة أحياء، وأشباح بلا أرواح، ليس لهم من الحياة إلا حركة الأجسام التي عشعشت فيها الغفلة وفرّخ فيها العناء والكآبة؛ ولذا فأعمالهم مظلمة؛ نتيجة سواد قلوبهم، وما صلاح الظاهر إلا بصلاح الباطن، وما فساده إلا بفساده.

ولا ريب أن القلب يصدأ، وصدأه بالغفلة والذنب، وجلاؤه بالذكر. فإذا صدأ تغير وانتكس، فتغيرت الجوارح بتغيره، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

أيها المسلمون، إن الله تعالى أمر عباده المؤمنين بذكره ذكراً كثيراً، فإذا فعلوا ذلك أثنى عليهم ورحمهم، واستغفرت لهم ملائكته، فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ

(١) رواه أحمد وابن حبان وغيرهما، وهو صحيح.

(٢) رواه البخاري.

لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿[الأحزاب: ٤١-٤٣].

بل الذاكر مذكور عند الله؛ حينما امثل الأمر، كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما قول النبي عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير منهم).

وهذا الذكر جزء يسير من الشكر لله تعالى على نعمه؛ ولهذا ذكر بعد آية الأحزاب-الأنفة الذكر- الأمرة بالذكر نعمه عليهم بالثناء عليهم، ودعاء ملائكتهم لهم، وإخراجهم من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان. وفي آية البقرة جعلت آية الذكر جزاءً لنعمته عليهم بإرسال محمد عليه الصلاة والسلام لهدايتهم وإرشادهم فقال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ، فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥١-١٥٢].

فمن لم يذكر الله فقد جحد نعمه وما شكرها، ومن ذكره فقد شكرها وما كفرها. عباد الله، إننا نجد نبينا محمدًا ﷺ دائم الذكر لله تعالى على كل أحيانه؛ قياماً بشكر الله، وتقرباً إلى مرضاته، فلا يفتر لسانه وكل جوارحه عن ذكر الله، يقرأ القرآن ويصلي، ويكبر ويحمد ويهلل ويسبح، ويحوقل، ويبسمل، ويستغفر، ويحسب، أي:

يقول: حسبي الله، ويدعو ويبتهل قائماً وقاعداً وعلى جنبه، في حال يقظته وعند منامه واستيقاظه، في صباحه ومساءه، في سفره وحضره، وعند دخوله وخروجه من البيت والمسجد والخلاء، وعند لبسه وخلعه لثوبه، وعند أكله وشربه وعطاسه ووضوئه، وفي كل أحواله سراؤها وضرائها، والله أعلم.

إخواني الكرام، إن ذكر الله تعالى عبادةً من العبادات، ولكنها عبادة ميسرة لا صعوبة فيها، ولا موانع تمنع عنها، ولا مقدار يضبطها فلا تزيد عليه، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]: "إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر؛ فإن الله لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على تركه فقال: ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قَلِيلاً وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال".

إنه قد استطاع منع العبد من عبادة من العبادات، إلا ذكر الله فهو فيه حر بلا قيود.

وقد يقتصر في أداء بعض العبادات على جارحة معينة، وعضو محدد أو على الظاهر فقط أو على الباطن فحسب، ماعدا ذكر الله؛ فإنه يؤدي بالقلب، ويؤدي باللسان، فذكر القلب نوعان: أحدهما: -وهو أرفع الأذكار وأجلها- التفكير في عظمة الله وجلاله، وجبروته وملكوته، وآياته في سماواته وأرضه.

النور السائر من خطب المنابر

والثاني: ذكره بالقلب عند الأمر والنهي، فيمثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه سبحانه وتعالى. وأما ذكر اللسان مجرداً فهو أضعف الأذكار، ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث.

ومع هذا اليسر -عباد الله إلا أن الغافلين والمستصعبين لهذه العبادة الفاضلة كثر. وهناك نوع آخر من الغفلة، وليس الغفلة عن الفعل، ولكنه الغفلة حال الفعل، فما أكثر من يذكر الله تعالى بلسانه ويغفل عنه بقلبه! فالقلب بذلك خالٍ من التعظيم والإجلال، وقد يكون مملوءاً بالفساد والظلام، والجوارح ملطخة بالخطايا والآثام؛ ولهذا قلت آثار الذكر الحسنة على من هذه صفته من الذاكرين، فصارت الأذكار -خصوصاً التي لها مناسبة- تؤدي أذكراً جوفاء، لا معاني لها ولا تفكر فيما تحويه من القيم والعمل.

معشر المسلمين، إن ذكر الله تعالى عبادة لها مكانتها العظيمة بين العبادات، وقربة كبيرة لها أهميتها بين القربات، فالذكر أول كثيرٍ من الأعمال وختامها، فالوضوء -الذي هو مفتاح الصلاة- مبدوء بسم الله، ومختوم بالشهادتين والدعاء، والصلاة تفتح بالتكبير وهو من أعظم الذكر، وتختتم بالدعاء والاستغفار، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣].

وفي صلاة الجمعة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، فَإِذَا قُضِيَتِ

الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿الجمعة: ٩-١٠﴾، وهو ختام الصيام، قال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وهو ختام الحج أيضاً، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

والذكر أول دخول الدنيا، وآخر شيء منها، فمن السنة عند خروج الجنين مولوداً حياً: أن يؤذن في أذنه، ومن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة، كما قال ذلك نبينا عليه الصلاة والسلام.

وهو أيضاً ختام الأعمال الفاضلة المتنوعة في الأيام الأول من ذي الحجة قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وهي أيامنا هذه: أيام التشريق، والذكر كذلك مفتتح النهار وختامه قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: ١٣٠] ومن ذلك: أذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم والاستيقاظ.

فالنهار والليل مبدوآن بالذكر ومختومان به، والليل والنهار هما عمر الإنسان في هذه الدنيا.

أيها المسلمون، إن ذكر الله تعالى له فضل عظيم يعود على الذاكر في الدنيا والآخرة، فهو خير الأعمال وأزكاها وأرفعها، قال رسول الله ﷺ: (ألا أنبئكم بخير

النور السائر من خطب المنابر

أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى، فقال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله (١).

وذكر الله مرجع كثير من شرائع الإسلام، ومفتاح لكثير من أبواب الخير فيه، فعن عبد الله بن يسر. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ: إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأنبئني منها بشيء أتشبه به، قال: (لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله عز وجل) (٢).

وبذكر الله الفلاح والفوز والانتصار على العدو، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وبذكر الله حصول تأييد الله وتوفيقه للعبد الذاكر، قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: (أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت شفثاه) (٣).

وبذكر الله الراحة والنشاط، وبالغفلة عنه الكآبة والكسل، قال رسول الله ﷺ: (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام، بكل عقدة يضرب عليك ليل طويل، فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، وإذا توضأ انحلت عنه عقدتان، فإذا

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح.

(٢) رواه ابن حبان والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح.

(٣) رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وهو حسن.

صلى انحلت العقد فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان<sup>(١)</sup>.  
 عباد الله، مما يدل على فضل ذكر الله تعالى: أن أحب الأعمال إلى الله أن يأتي  
 الموت ولسان المرء رطب بذكر الله، فعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول  
 الله، أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: (أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله)<sup>(٢)</sup>. ولا  
 يوفق لذلك إلا أهل الذكر الدائم المستمر، الذين عُمرت قلوبهم به، وواظبت ألسنتهم  
 عليه.

أيها المسلمون، إن أهل الذكر ذوو رتب عالية عند الله، ونصيبهم من الأجر من  
 أوفر الأنصبة، وتقدمهم في طريق الفضل غير مسبوق.

قال رسول الله ﷺ: (سبق المفردون) قالوا: وما المفردون؟ يا رسول الله، قال:  
 (الذاكرون الله كثيراً والذاكرات)<sup>(٣)</sup>.

قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ذهب الذاكرون الله بالخير كله".

وهم - وإن انغلقت أمامهم أبواب من الخير لا يجدون مفاتيحها كالمال للصدقة  
 والإحسان - فإنهم بالذكر يدركون ذلك كله، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قالوا:  
 يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم. قال: (كيف ذاك؟).

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الطبراني، وهو صحيح.

(٣) رواه مسلم.

النور السائر من خطب المنابر

قالوا: صلوا كما صلينا، وجاهدوا كما جاهدنا، وأنفقوا من فضول أموالهم، وليست لنا أموال. قال: (أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم، وتسبقون من جاء بعدكم، ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله؟ تسبحون في دبر كل صلاة عشراً، وتحمدون عشراً، وتكبرون عشراً)<sup>(١)</sup>.

الذاكرون الله مجالسهم رياض من رياض الجنة، تغشاهم الرحمة، وتنزل عليهم السكينة، وتحفهم الملائكة، ويباهي الله بهم في الملأ الأعلى، قال رسول الله ﷺ: (لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده)<sup>(٢)</sup>.

والذاكرون الله كثيراً مستجابو الدعوة، قال رسول الله ﷺ: (ثلاثة لا يرد الله دعاءهم: الذاكر الله كثيراً، والمظلوم، والإمام المقسط)<sup>(٣)</sup>.

فنسأل الله أن يجعلنا من أهل ذكره، وشكره، وحسن عبادته.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البيهقي، وهو حسن.

## الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على النبي محمد، وعلى آله وصحبه،  
أما بعد:

أيها الناس، إن الغفلة عن ذكر الله أوردت أصحابها الموارد، فبينما يبقى  
الذاكرون يلهجون بذكر الله تعالى يُرى صرعى الغفلة مشغولين بذكر الناس: مغتايين  
ونمامين، هتاكين وعيَّابين، ساخرين وشامتين. فما أحسن الذكر مشغلةً عن معصية الله  
وإيذاء الناس!

وبينما الذاكرون يحيون حياة الاطمئنان، والراحة النفسية والبدنية يجاسجناء  
الغفلة أسرى في التعاسة والبؤس، والأمراض والهموم. فما أنفع الذكر دواءً وشفاءً  
للأرواح والأبدان، ولكن رواه وقصاده قليلون.

وبينما الذاكرون يُحيون قلوبهم فالغافلون يميئونها، فتصير خراباً ومقابر تسكن  
فيها الأدواء والآفات.

وفي الوقت الذي يُصلح الذاكرون فيه دنياهم، ويعمرون آخراهم إذا بالغافلين  
يفسدون الدنيا، ويخربون الآخرة، فلا دنيا وجدوا بها راحة حقيقية، ولا أخرى حصلوا  
فيها على ثمر يطمئنون عند رؤيته.

عباد الله، في ذكر الله وجد الذاكرون حصناً منيعاً يحميهم من الشيطان ومس

\_\_\_\_\_ النور السائر من خطب المنابر

الجان وشرّ عيون بني الإنسان الخبيثة، قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: "الشیطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنس".

قال رسول الله ﷺ: (من قال حين يصبح - ثلاث مرات - بسم الله الذي لا يضر. مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم لم تفجأه فاجئة بلاء حتى يمسي، ومن قالها حين يمسي لم تفجأه فاجئة بلاء حتى يصبح)<sup>(١)</sup>.

وقال بعض السلف: "إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرعه كما يُصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا؟! فيقال: قد مسه الإنسي".

وأما الغافلون فما أكثر تلاعب الشيطان بهم، وتسلبه عليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٠٠].

فإلى متى يطول نوم الغفلة - يا عباد الله؟ ألم يحن وقت الاستيقاظ؟ وقد استبان النهار؟ وسار الذاكرون المجدون، وبقي الغافلون على حُمُر معقرّة، أو ما زالوا على فرش غفلتهم لم ينهضوا للمسير؟!

ألم يكف الغافلين جراح غفلتهم، وسوء حالهم، وبؤس حياتهم، وانغلاق أبواب الخير عليهم؟

قال الحسن البصري: "تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر،

(١) رواه ابن حبان وأصحاب السنن، وهو صحيح.



وقراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق". هذا فيمن يعمل هذه الأشياء فكيف حال من لم يعملها؟

فيا أيها الناس، ذكر الله ذكر الله تؤجروا، وتنجوا، وتستريحوا، ففي ظل ذكر الله الرّوح والراحة، والعيش الهنيء والمنقلب الحسن عند لقاء الله، وإياكم والغفلة عن ذكر الله، ففي لفح الغفلة يُصنع العناء والشقاء ليُسقي الغافلين في الدنيا، وتبقى الغفلة بعد ذلك على أهلها حسرات وندامات يوم القيامة. نسأل الله تعالى أن يعمر قلوبنا بذكره، وألستنا بشكره، وجوارحنا بفعل أمره وهجر زجره.

هذا وصلوا وسلموا خير الوری...

## عبادة الشكر (١)

الحمد لله الكريم المتفضل، الواهب المجزل، مَنْ نعمه على الخليفة نازلة، ومننه إلى عباده واصله، يتقرب إليهم بجوده وإحسانه، وهم يتعدون عنه بجحوده وعصيانه.  
أحمده ربي وأشكره، وأثني عليه ولا أكفره، أعبده ولا أجحده، وأعترف بفضله ونعمائه، وأعجز -مهما شكرت- عن إيفاء حق جوده وعطائه.  
وأشهد أن لا إله إلا هو الشكور الصبور، الكريم الغفور، لا عاد لنعمه، ولا حد لسخائه وكرمه.

إلهي لك الحمد الذي أنت أهله      على نعم ما كنت قط لها أهلاً  
فإن زدت تقصيراً فزدني فضلاً      كأني بالتقصير استوجب الفضلاً

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل نائل شاكر، وأثبت مبتلى صابر.  
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، نجوم الشاكرين في السراء، وأعلام الصابرين في الضراء، وسلم تسليماً  
أما بعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ

(١) أُلقيت في ١٥/١١/١٤٢٨هـ، في مسجد ابن تيمية.

قال: (بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره، فشكر الله له فغفر له). وروى الشيخان أيضاً عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: إن كان النبي ﷺ ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه، فيقال له؟ فيقول: (أفلا أكون عبدا شكورا!).

عباد الله، نعم الله على عباده أكثر من أن تحصى- وتعد، وأوسع من أن يحيط بها أحد، غير الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْبُدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوها إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

نعمٌ ظاهرة مشاهدة بالعيون، أو مسموعة بالأذان، أو مشهودة بغيرهما من الجوارح، ونعم علوية، ونعم سفلية، ونعم دينية، ونعم دنيوية، ونعم باطنة يدرك بعضها بالتأمل والتفكير، ونعم لا تدرك.

انظر يا عبد الله، إلى نفسك كم فيك من آيات ونعم. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ﴾ [الذي خلقك فسوونك فعدلك] ﴿٧﴾ في أي صُورٍ ما شاء رَبُّكَ ﴿٨﴾ [الانفطار: ٦-٨].

وقال: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١]، أيها الإنسان، أتنظن نفسك خالياً من آيات لله فيك! لا تنظن ذلك.

وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر!.

انظر ما حولك كم من مخلوق خلق لخدمتك، وسخر لنفعك وراحتك.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْفَعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

[يس: ٧١-٧٣].

قال أحد السلف لرجل يشكو ضيق حاله: "أيسرك ببصرك هذا مائة ألف درهم؟ قال الرجل: لا، قال: فيديك مائة ألف؟ قال: لا. قال: فبرجليك مائة ألف؟ فما زال يذكره نعم الله عليه واحدة واحدة، ثم قال له: أرى عندك مئات الألوف وأنت تشكو الحاجة؟!".

أيها المسلمون، إنما أنعم الله على عباده نعمه الغزيرة؛ رحمة بهم ليرى شكرهم، ولا يريد منهم ثمناً أو عائداً عليه، فإذا شكروا فلا أنفسهم، وإن جحدوا فعلوها.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَايَنَّا لِقْمَنَ الْحَكِيمَ أَنَّ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

فإن الله لا ينفعه شكر الشاكرين، ولا يضره جحود الجاحدين، فمن شكر فقد حرس النعمة عليه بالبقاء، وكسب به المزيد والنماء، ومن كفر وجحد سارع في إذهاب النعمة، وتعجيل النقمة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد".

وقال الحسن البصري رحمه الله: "إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يُشكر عليها قلبها عذاباً؛ ولهذا كانوا يسمون الشكر: الحافظ؛ لأنه يحفظ النعم الموجودة، والجالب؛

لأنه يجلب النعم المفقودة".

وقال كعب الأبحار رحمه الله: "ما أنعم الله على عبد نعمة في الدنيا فشكرها لله، وتواضع بها لله، إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا، ورفع له بها درجة في الآخرة. وما أنعم الله على عبد نعمة في الدنيا فلم يشكرها لله، ولم يتواضع بها، إلا منعه الله نفعها في الدنيا، وفتح له طبقات من النار يعذبه إن شاء أو يتجاوز عنه".

ألا أيها الشاكر، اعلم أن شكر الله طريق إلى الأجر الكبير، فماذا أنت خاسر؟! قال عليه الصلاة والسلام: (للطاعم الشاكر مثل ما للصائم الصابر)<sup>(١)</sup>.

وشكرك سبيل إلى مرضاة الله عنك، فماذا تريد وراء ذلك؟!

قال رسول الله ﷺ: (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها)<sup>(٢)</sup>.

عباد الله، إن حياة المؤمن بين صبر وشكر: صبر على ضراء، يصبر عندها فيربح بها أجراً ويُرفع بها قدراً، وشكر على سراء يحمد ربه عليها، ويعرف حق الله عليه فيها. عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)<sup>(٣)</sup>.

فماذا فات المؤمن إن شكر في هنائه وصبر في بلائه؟!

(١) رواه الترمذي وأحمد وغيرهما.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

النور السائر من خطب المنابر

وماذا حصل الجزع من جزعه غير الوزر والتعب؛ فإن ما قُدِّرَ عليه كائن.  
 معشر المسلمين، إن الشكر عبادة من العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، ومما يدل على أهمية هذه العبادة وعظيم ثوابها: أن الله أوقف الجزاء في كثير من الأعمال الصالحة على المشيئة، فقال في الإغناء: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٢٨)، وقال في المغفرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٤٨)، وقال في التوبة: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ١٥).

أما الشكر فأطلقه ولم يقيده بالمشيئة؛ لكرم الله تعالى على الشاكرين، ولتفاضل الشاكرين في الشكر، قال تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٥).  
 عباد الله، إن الشكر جعل غاية للخلق فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨)، وإن أعظم الشكر: توحيد الله وعبادته.

وكان الشكر صفة من صفات الأنبياء التي أثنى الله عليهم بها فقال نوح: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء: ٣)، وقال عن إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: ١٢٠).

وأخبر تعالى أنها يعبده من شكره، ومن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته فقال: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٢).

ولما عرف عدو الله إبليس قدر مقام الشكر وأنه من أجل المقامات وأعلاها جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه فقال: ﴿ثُمَّ لَا يَبْنَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

أيها المسلمون، إن الشكر أعلى منازل السالكين إلى الله، ولن يكون كذلك حتى يبنى على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، ووجه له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره.

فهذا ربنا المنعم الكريم علينا - عباد الله - ألا يليق بنا ونحن غارقون في نعمه ومننه أن نخضع له، ونحبه حباً صادقاً، ونعترف بنعمته علينا، ونثني عليه، ونستعمل ما أنعم به في طاعته ومرضاته؟!

عباد الله، من سارع في طاعة الله وتنكب طريق معصيته وعمر قلبه بحبه، ولسانه بذكره، وجوارحه بخدمته ورضاه فقد أدى شيئاً من شكره.

قال أحد السلف: "الشكر: تقوى الله والعمل الصالح".

فالصلاة الصحيحة شكر، والصيام المقبول شكر، وكل عمل عمله - أيها المسلم - لله شكر.

قال رجلاًبي حازم: ما شكر العينين؟ قال: إن رأيت بهما خيراً أعلنته، وإن رأيت بهما شراً سترته، قال: فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعت بهما خيراً وعيته، وإن سمعت بهما شراً دفعته. قال: فما شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما، ولا تمنع حقاً لله هو فيها. قال: فما شكر البطن. قال: قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [٢٩].

النور السائر من خطب المنابر

إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٢٠﴾ [المعارج: ٢٩-٣٠].

وقال علي رضي الله عنه لرجل: هل تدري ما حق الطعام؟ قال: ما حقه؟ قال: تقول: بسم الله، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا. قال: وتدري ما شكره إذا فرغت؟ قال: قلت: وما شكره؟ قال تقول: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا.

إخواني الأعزاء، إن النجاة من المآزق نعمة تستحق الشكر، الذي يتجلى في أعمال صالحة تعقب النجاة.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: (ما هذا؟). قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى. قال: (فأنا أحق بموسى منكم). فصامه وأمر بصيامه (١).

إن حصول النعمة سبب يدعو الإنسان إلى شكر الله تعالى، ومن شكر الله: القيام بسجدة الشكر عند حصول ما يُسر؛ فقد كان رسول الله ﷺ إذا جاءه أمرٌ يسره، أو بُشر به خسر ساجداً لله شكراً.

معشر المسلمين، إننا ننام ثم نصبح إلى الحياة من جديد، وهذه نعمة علينا؛ لكوننا رجعنا إلى زمن المهلة؛ لعلنا نستغفر ونتوب، ونزداد عملاً صالحاً، فكيف نشكر هذه النعمة؟

قال رسول الله ﷺ: (من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر. فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل

(١) رواه البخاري.

ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته) (١).

فنسأل الله عز وجل أن يجعلنا من عباده الحامدين، ومن صفوة خلقه الشاكرين،  
والحمد لله عدد خلقه ورضا نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته.  
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم؟

---

(١) رواه أبو داود وابن حبان.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه  
أجمعين،

أما بعد:

عباد الله، ما أحسن الإحسان إلى الخلق، وأجمل بذل المعروف في الحق، وألذ أثره  
في النفس، وأطيب ذكره في السمع، وأنضر رؤيته للعين.

ولكن ما أبقاه وأوفاه إن صادف نفوساً حية تفيض بالشكر الوافر، والثناء العاطر.  
فتقابل النعمة بالمدح والشكران، لا بالجحود والكفران، وتستقبل الجميل بالاعتراف  
والإعلان، لا بالنكر والكتمان.

فشكر الناس، وحمد صنيعهم، وعدم نكران جميلهم من شكر الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) (١).

وقال رسول الله ﷺ أيضاً: (من صنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيراً  
فقد أبلغ في الثناء) (٢).

قال الشاعر:

(١) رواه أبو داود وابن حبان وغيرهما.

(٢) رواه أبو داود وأحمد.

ومن يسدّ معروفاً إليك فكن له      شكوراً يكن معروفاً غير ضائع  
ولا تبخلن بالشكر والقرض فاجزه      تكن خيرَ مصنوعٍ إليه وصانع

إلا وإن من أعظم من أسدى إليك معروفاً - ولن تستطيع جزاءه مهما شكرت -:  
والداك الحنونان، قال تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ  
وَفِصْلَهُ فِي عَمٍّ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ** ﴾ [لقمان: ١٤].

وشكر الوالدين: برهما والإحسان إليهما، وهذا إذا كان في حق الوالدين اللذين  
لن يقدر الإنسان على رد معروفيهما، فكيف بالمنعم الكريم سبحانه وتعالى الذي لا  
تنقطع نعمه عنا؟! فما أكثر النعم، ولكن ما أقل شاكريها، قال تعالى: ﴿ **وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ  
الشَّاكِرُونَ** ﴾ [سبأ: ١٣].

فلماذا لا نحرص - يا عباد الله - أن نكون من هذا القليل؟ لندعُ الله بذلك كما كان  
رسول الله يدعو، كان عليه الصلاة والسلام يقول: (اللهم اجعلني لك شكّاراً، لك  
ذكّاراً، لك مطواعاً، إليك محبّتاً، لك أوّاهاً منيباً)<sup>(١)</sup>.

فالشكر الشكر - يا عباد الله - على نعم الله تعالى الظاهرة والباطنة، ما قل منها وما  
كثر، فبالشكر تدوم النعم وتزيد، وبالجحود تنفى وتبيد، وقد يخلفها العذاب والنقمة،  
والندم والحسرة. قال تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا  
رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا**

(١) رواه أحمد وابن حبان.

كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ [النحل: ١١٢].

واعلموا - رحمني الله وإياكم - أنه لن تتغير نعم الله بالذهاب أو القلة إلا إذا غيرنا ما بأنفسنا من الشكر إلى عدمه، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وإن المسلم الشاكر ليقول لربه بلسان حاله أو مقاله:

أوليتني نعماً أبوح بشكرها      وكفيتني كلّ الأمور بأسرها  
فلأشكرنك ما حييتُ وإن أمت      فلتشكرنك أعظمي في قبرها

فيارب لك الحمد كما ينبغي لوجهك وعظيم سلطانك، ولك الشكر على جزيل نعمائك وإحسانك، اللهم اجعلنا لك شكارين، لك أوّابين، إليك منيبين، ومنك وحدك طالبين.

اللهم أعنا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك.

ثم صلوا وسلموا على خير الورى....

## حقيقة بين عامين (١)

الحمد لله الحليم الغفار، العليم القهار، يدبر الأمر في السموات والأرض: يحي ويميت، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويقلب الليل والنهار، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار. وأشهد أن لا إله إلا الله المتفرد بالقيومية والبقاء، والعظمة والكبرياء، يفعل ما يشاء ويختار. وأشهد أن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبي، صلى الله عليه وعلى آله الأخيار، وصحابته الأبرار، وسلم تسليماً.

أما بعد، فاتقوا الله-عباد الله- فبتقوى الله الخلاص من الفتن، والنجاة من المحن، وحصول اليسر-والرزق الحسن. قال تعالى: ﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۚ ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣]. ﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ إِسْرًا ۚ ﴿٤﴾﴾ [الطلاق: ٤].

أيها الناس، إنها حركة لا تتوقف وجري لا يعرف التريث والانتظار، وسباق لا ملل فيه ولا كسل، وكر لا يعرف الفر، ومضي لا يؤمن بالعودة، تلك طبيعة الزمان. ارتحال لا إقامة فيه، ليل ونهار يذهبان بالأيام والليالي، وليالٍ وأيام تذهبان بالشهور، وتلك الشهور تذهب بالأعوام، وأعوام وراء أعوام ويتتهي العمر وتزول الحياة.

(١) ألقى في مسجد ابن تيمية في ٢٦ / ١٢ / ١٤٢٨ هـ.

النور السائر من خطب المنابر

هكذا الدنيا-عباد الله- فأيامها ثلاثة: فأمس عظةً وشاهدُ عدلٍ لك أو عليك،  
ذهب عنك وأبقى عليك حكمته، واليوم غنيمة وصديق أتاك ولم تأته، طالت عليك  
إقامته، وستسرع عنك رحلته، وغد لا تدري من أهله، وسيأتيك إن وجدك.

أيها المسلمون، إن الحياة سفر من الأسفار، فيه مراحل ومحطات، كل من قطع  
مرحلة وقف ونظر كم قد مضى. من المراحل وكم قد بقي، كلما ذهب من عمره عام  
تأمل كم قد قطع من عمر الحياة المحدود، وهل بقي له فيه من نصيب؟!

كم من الناس من لا يسأل نفسه لم السفر؟ وبعض الناس يعرفون الوجهة ولكن  
سافروا بغير استعداد فكيف سيصلون؟

وما هذه الأيام إلا مراحل      يحث بهادعٍ إلى الموت قاصد  
وأعجب شيء لو تأملت أنها      منازل تطوى والمسافر قاعد

قال داود الطائي رحمه الله: "إنما الليل والنهار مراحل، ينزلها الناس مرحلة مرحلة  
حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زاداً لما بين  
يديها فافعل؛ فإن انقطاع السفر عن قريب، فاقض من أمرك، فكأنك بالأمر قد بغتكَ".

عباد الله، إن الزمان يأكل من أعمارنا يوماً بعد يوم وليلة بعد ليلة وشهراً بعد شهر  
وعاماً بعد عام، ما مضى منه مضى منا، قال الحسن رحمه الله: "يا ابن آدم، إنما أنت أيام،  
فإذا ذهب يومك ذهب بعضك".

أرى الأعيادَ تتركني وتمضي —      وأحسبني سأتركها وأمضي —

وما كذبَ الذي قد قال قبلي      إذا ما مرَّ يوماً مرَّ بعضي—  
أرى الأيام قد ختمت كتابي      وأحسبها ستتبعه بفض

أيها الإنسان، ينقضي العام فتظن أنك عشته، وأنت في الحقيقة قد مته. ما من يوم إلا قرّينا وبعّدنا، قربنا من الآخرة، وبعّدنا من الدنيا.

قال ابن رجب رحمه الله: "يا من يفرح بكثرة مرور السنين عليه، إنما تفرح بنقص عمرك".

إننا لنفرح بالأيام نقطعها      وكل يوم مضي—يدني من الأجل

أيها الأحبة، ها هو عامنا هذا يحتضر. على وشك الموت والوداع بعد أن قضى. بيننا اثني عشر— شهراً بأفراحها وأتراحها، بأرباحها وخسرها، بزيادة الحياة بأحياء، ونقصانها بأموات.

إن رحيل العام عظة وذكرى برحيل العمر وانقضائه، كما خلقنا للأرض بعد سلف يوشك أن نكون سلفاً يعقبنا خلف، نتركها كما تركوها، وتلفظنا كما لفظتهم. ونكاد أن نعيد للأرض ما أخذنا منها، نعيد لها أجسادنا ليأكلها البلى بعد أن خلقنا من تراها، وتضمنا بين أحضانها بعد أن كنا نمشي. على ظهرها، ونهريق فيها دماءنا بعد أن شربنا من مائها، ونقرب لها أبداننا بعد أن نمت من ثمارها وأشجارها.

عباد الله، ذهب العام وصار من أخبار الماضي، لكن المؤمن العاقل لم يذهب عنه دون استغلال وحصاد من الخيرات. فقد غنم شهوره وربح أيامه ولياليه، ومضى— الزمان فمضى. معه ولكن بالاستفادة من لحظاته بما عمره من جلائل الأعمال وجميل الأحوال التي تنفعه يوم حاجته؛ لأنه عرف شرف زمانه فجعله شاهداً له لا شاهداً

النور السائر من خطب المنابر

عليه، واتعظ بمرور الأيام فجعلها أيام مرور ولم يجعلها ظرفاً للخلود. رأى تقلبات الزمان وتغير أحوال الناس فعلم أنه لن يحصل هنا على ما يريد، فتهياً بَعْدَ حياة أخرى يحصل فيها على ما يريد.

رأى أغلب الناس سابقين إلى ما يفنى، ومبطين في السير إلى ما يبقى، فأبطأ فيما يسابقون فيه، وسابق فيما أبطأوا فيه. رأى كثيراً من الناس يطلبون بأفعالهم البقاء، وهم منتقلون لا محالة يعمرّون خراباً ويهدمون بنياناً باقياً فسعى إلى إعمار ما يدوم بنيانه.

لقد اتعظ بلحظاته، واعتبر بأوقاته فلم يركن إلى دعتة من حزن، وصحته من سقم، وإقامته من ظعن، وقوته من ضعف، يقرب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.

أيها المسلمون، لقد فاز قوم أعدوا للسفر زاده فربحوا حتى وصلوا في عافية إلى وطنهم الموعود. تطلع الشمس عليهم صباحاً ثم تغيب مساء فيعتبرون أن للشروق غياباً وللذهاب إياباً فلا بقاء.

يهل هلال الشهر صغيراً ثم يكبر حتى يكتمل، فإذا وصل إلى كماله بدأ بالنقصان والاضمحلال فيعلمون أن للعمر نهاية وللدنيا أفولاً.

أما المغرور أو الغافل فركن إلى حاله، ولم يتهيأ لانتقاله، فيظن أنه في عافيته لن يسقم، وفي شبابه لن يهرم، وفي غناه لن يفتقر، وفي قوته لن يضعف، وفي فرحته لن يحزن، وفي حياته لن يموت.



يقضي ليله ونهاره في خدمة الدنيا، تمر عليه الأحداث فلا يتعظ، ويمضي به الزمان فلا يعتبر، يرى المصارع والفواجع فلا ينزجر، ولا يبالي أمرت به أعوام أو أيام؛ لأنها في ميزانه سواء.

يموت عليه قريب أو حبيب، أو صديق أو بعيد ويخلفون ما وراءهم لا يأخذون منه شيئاً، فلا يتذكر أنه سيصير إلى ما صاروا إليه، وأن هذه الدنيا التي يعيش فيها سريعة التقضي قريبة الانصرام.

قال رسول الله ﷺ: (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه - وأشار الراوي بالسبابة - في اليم فلينظر بم يرجع؟) (١).

كم للمؤمنين فيها من آمال، وللمتمنين فيها من أمانٍ ذهبت بحلول الآجال وانقطاع الأعمال.

نؤمل آمالاً ونرجو نتائجها      وعلّ الردى مما نرجّيه أقرب  
ونبني القصور المشمخرات في الهوا      وفي علمنا أننا نموت وتخرب

عباد الله، ها نحن على وشك توديع عام من أعمارنا يذهب عنا ولن يعود إلينا إلا يوم القيامة بما أودعنا فيه من الأعمال.

تفكر- يا عبد الله وأنت تودع مرحلة من فرصة حياتك - أنه مسجل فيها أعمالك صغيرها وكبيرها صالحها وطالحها، وأنك ستلاقيها في كتابك وستحاسب عليها بين

(١) رواه مسلم.

يدي ربك.

قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [١٨:ق].

وقال: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [٤٩:الكهف].

أيها المسلمون، إن المؤمن العاقل دائم المحاسبة لنفسه: ماذا فعلت، وكيف فعلت، ولمن فعلت، ولم فعلت؟ ويحاسب نفسه كل حين، وقد تمر به محطات زمنية لها خصوصيتها، كهذه المحطة في نهاية العام فيقف على رأس الحول فينظر ما صدر منه - وهو في زمن الاستطاعة والقدرة - فإن كان العمل محموداً أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموماً استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله في المستقبل، واستغفر واستعفى؛ فصالح المستقبل بدوام المحاسبة، وإتقان الأعمال بكثرة المراقبة.

اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، فمن حاسب نفسه اليوم خف عليه الحساب غداً، وسهل عليه العمل، ومن قصر - في محاسبة نفسه اليوم ثقل عليه الحساب غداً، وعسر عليه فعل الطاعات في حياته.

قال الحسن البصري رحمه الله: "أيسر - الناس حساباً يوم القيامة الذين حاسبوا أنفسهم لله عز وجل في الدنيا، فوقفوا عند همومهم وأعمالهم، فإن كان الذي هموا به لله مضوا فيه، وإن كان عليهم أمسكوا، وإنما يثقل الحساب يوم القيامة على الذين جازفوا

الأموار فأخذوها من غير محاسبة فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذر فقالوا:  
﴿يُوَلِّنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ .

من حاسب نفسه عرف حق الله عليه وعظيم فضله، فقارن ذلك بتقصيره في  
جنب الله فأتقن العمل وتجنب الخطل.

من حاسب نفسه قل زلله، وكثر صوابه، فأثمر ذلك صلاح عمله قبل حلول  
أجله.

من حاسب نفسه لم يغتر بسلامته وشبابه، وغناه وحسن أحواله، بل استعجل  
العمل الصالح ولم يستأجل، ورمى بالتسويق جانباً.

ها أنت يا عبد الله تدعى إلى المحاسبة اليوم فماذا أنت صانع؟ ألا تعتبر بما مضى.  
من عمرك لتصلح ما بقي من دهرك، أما مرت بك الجنائز وذهب بعض من شاركوك  
في استقبال العام الذي نودعه، فهل ستبقى إلى مثل اليوم من العام القابل؟ إذا قيل لك:  
إنك ستموت غداً فهل ستتشغل بالدنيا جامعاً مانعاً أو ستقبل على الآخرة؟ ها أنت  
اليوم في زمن المهلة فهلاً استعدت؟ فربما بعتك الأجل في ساعتك أو يومك أو شهرك  
أو عامك. حاسب نفسك على ما فرطت وأسرفت، وتعدت واعتدت، واليوم:

أَنْدُبَ زَمَانًا سَلَفًا      سَوِّدَتْ فِيهِ الصُّحُفَا  
وَلَمْ تَزَلْ مُعْتَكِفَا      عَلَى الْقَبِيحِ الشَّنِيعِ  
كَمْ لَيْلَةٍ أَوْدَعْتَهَا      مَاثِمًا أَبَدَعْتَهَا

النور السائر من خطب المنابر

لَشَهْوَةٍ أَطَعْتَهَا  
وَكَمْ خُطَّي حَشَّتْهَا  
وَتَوَبَّئَةٍ نَكَّشَتْهَا  
وَكَمْ تَجَرَّاتٍ عَلَى  
وَلَمْ تُرَاقِبْهُ وَلَا  
فَالْبَسْ شِعَارَ النَّدَمِ  
قَبْلَ زَوَالِ الْقَدَمِ  
وَاخْضَعْ خُضُوعَ الْمُعْتَرِفِ  
وَاعْصِ هَوَاكَ وَانْحَرْفِ  
إِلَامَ تَسْتَهْوِهُ وَتَنْبِي  
فِي مَا يَضُرُّ الْمُقْتَنِي  
أَمَّا تَرَى الشَّيْبَ وَخَطُّ  
وَمَنْ يُلْحِ وَخَطُّ الشَّمْطِ  
وَيُحْكِ يَا نَفْسِ احْرِصِي  
وَطَاوِعِي وَأَخْلِصِي  
وَاعْتَبِرِي بِمَنْ مَضَى  
وَاحْشِي مُفَاجَاةَ الْقَضَا  
وَانتَهَجِي سُبُلَ الْهُدَى  
فِي مَرْقَدٍ وَمَضْجِعِ  
فِي خَزِيئَةٍ أَحَدَتْتَهَا  
لَمَلْعَبٍ وَمَرْتَعِ  
رَبِّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى  
صَدَقْتَ فِي مَا تَدْعِي  
وَاسْكُبْ شَأْيَبَ الدَّمِ  
وَقَبْلَ سُوءِ الْمَضْرَعِ  
وَلِذَمَ مَلَاذِ الْمُعْتَرِفِ  
عَنْهُ انْحِرَافَ الْمُقْلِعِ  
وَمُعْظَمَ الْعُمَرِ فَنِي  
وَلَسَّتْ بِالْمُرْتَدِّعِ  
وَخَطُّ فِي الرَّأْسِ خِطُّ  
بِفَوْدِهِ فَقَدْ نَعِي  
عَلَى ارْتِيَادِ الْمَخْلَصِ  
وَاسْتَمْعِي النَّصْحَ وَعِي  
مَنْ الْقُرُونِ وَانْقَضَى  
وَاحْذِرِي أَنْ تُخْذَعِي  
وَادْكِرِي وَشُكَّ الرَّدَى



وَأَنَّ مَثْوَاكَ غَدَا  
 أَهَالُهُ يُبَيِّتِ السَّبِيلَ  
 فَيَا مَفَازَ الْمُتَّقِي  
 سَوْءَ الْحِسَابِ الْمَوْبِقِ  
 وَيَا خَسَارَ مَنْ بَغَى  
 وَشَبَّ نِيرَانَ الْوَعَى  
 يَأْمَنُ عَلَيْهِ الْمُتَكَلِّ  
 لِمَا اجْتَرَحْتَ مِنْ زَلَلِ  
 فَاغْفِرْ لِعَبْدٍ مُجْتَرِمِ  
 فَأَنْتَ أَوْلَى مِنْ رَحِمِ  
 فِي قَعْرِ لُحْدٍ بَلْقَعِ  
 وَالْمَنْزِلِ الْقَفْرِ الْخَلَا  
 وَرَبِّحْ عَبْدٌ قَدْ وُقِيَ  
 وَهَوَّلَ يَوْمَ الْفَزَعِ  
 وَمَنْ تَعَدَّى وَطَغَى  
 لَمَطَّعَهُمْ أَوْ مَطَّعَهُ  
 قَدْ زَادَ مَا بِي مِنْ وَجَلِ  
 فِي عُمْرِي الْمُضَيِّعِ  
 وَارْحَمْ بِكَاهُ الْمُنْسَجِمِ  
 وَخَيْرٌ مَدْعُو دُعَايِ

عباد الله، ها هي شمس عام جديد عما قريب ستشرق مؤذنة بمرحلة جديدة من مراحل العمر القصير، ولا ندري ماذا تخفي طياتها من أفراح أو أتراح، وماذا سنعمل فيها من الأعمال.

فالربح كل الربح في استقباله بعزم صادق على فعل الخير، والمسابقة إليه، وارتداد معاهده، والارتشاف والعب من موارده، والحذر الشديد من تضييع لحظاته، بما يجني على النفس الندامة والإثم، بسلوك سبل العصيان، والتّيه في تضييع الزمان، وفرصة العمر المحدودة.

العام الآتي سيكون لك صفحة بيضاء فارقم فيها ما تحب أن تراه في قبرك ويوم حشرك.

النور السائر من خطب المنابر

أيها المسلمون، مهدوا لأنفسكم فرش السلامة بلزوم طريق الاستقامة، قبل حصول الحسرة والندامة. لا تركنوا إلى عمر مديد، وعيش رغيد، ووقت مهيب؛ فالأعمار مجهولة والآجال مقدره، والأوقات والأحوال متقلبة؛ فكم من جنين لم يولد، ووليد لم يبلغ، وشاب لم يكتهل، وكهل لم يشخ، وشيخ لم يهرم، وهرم لم يمتد هرمه. فرحم الله عبداً أصلح ما مضى، وجدّ فيما بقي، وتزود من دار الغرور بما ينجيهِ يوم البعث والنشور، وجمع من الدنيا ما خف عليه حمله وسهل حسابه، فيا سعادة المخفّين، ويا فوز العاملين.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفّعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً حمداً، والشكر له شكراً شكراً، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [التوبة: ٣٦].

لما ابتدأ الله خلق السماوات والأرض جعل السنة اثني عشر شهراً هلالية جعلت مواقيت للناس يقضون فيها حوائجهم، وتبنى عليها أحكام من شرائع دينهم، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ...﴾ [البقرة: ١٨٩].

عباد الله، لقد عرف الناس التاريخ من قديم الزمان على اختلاف بينهم في تحديده وطريقة معرفته.

وقد رأى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن الفرس لها تاريخها والروم لها تاريخها فينبغي أن يكون للمسلمين تاريخهم كذلك.

ففي خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتب إليه واليه أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إنه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ". فجمع عمر الناس فاستشارهم، فيقال: إن بعضهم قال: أرخوا كما تؤرخ الفرس بملوكها، كلما هلك ملك أرخوا بولاية من بعده. فكره الصحابة ذلك، فقال بعضهم: أرخوا بتاريخ الروم فكرهوا ذلك أيضاً، فقال بعضهم: أرخوا من مولد النبي عليه الصلاة والسلام، وقال آخرون من

النور السائر من خطب المنابر

مهاجره، فقال عمر: الهجرة فرقت بين الحق والباطل، فأرخوا بها، فأرخوا من الهجرة. وقد اتفقوا على ذلك، ثم تشاوروا: من أي شهر يكون ابتداء السنة، فقال بعضهم: من رمضان، فاختر عمر وعثمان وعلي أن يكون من المحرم؛ لأنه شهر حرام يلي شهر ذي الحجة الذي يؤدي فيه المسلمون حجهم الذي به تمام أركان دينهم. أيها المسلمون، إذن للأمة الإسلامية استقلاليتها وتميزها عن الأمم، فتاريخنا- نحن المسلمين- تاريخ ترتبط به بعض شعائر ديننا ابتداء وانتهاء.

وقد ظل تاريخ الأمة هو التاريخ الهجري إلى عهد قريية، فلما اشتد الوهن وضعف عند الأمة التمسك بدينها أخذت بتقليد أهل الكفر حتى في تاريخهم. فأرخت الأمة بتاريخ النصرى بميلاد المسيح عليه السلام. وهذه طبيعة المغلوب مع الغالب.

قال النبي ﷺ: (لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه). قلنا: يا رسول الله اليهود والنصرى؟ قال: (فمن)<sup>(١)</sup>.

لقد أصبح بعض المسلمين لا يعرف من التاريخ الهجري إلا رمضان والأعياد، ولو سئل عن تاريخ يومه بالتاريخ الهجري لما درى.

فالواجب علينا-عباد الله- أن نعتز بديننا وتاريخنا، ونعرف أننا أمة من دون الناس، ولئن غلبنا في المعاملات الرسمية بالتاريخ الميلادي فلنؤرخ في معاملاتنا الشخصية بالتاريخ الهجري عسى أن نحیی ما مات من عز أمتنا.

(١) رواه البخاري.



خطب

من

السائر

النور

---

---

هذا وصلوا على البشير النذير...

## فضائل أهل اليمن<sup>(١)</sup>

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً  
 وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله ﷺ،  
 وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.  
 أيها الناس، إن الله تعالى هو العليم الحكيم، ومن مظاهر علمه وحكمته: أن يختار  
 من خلقه ما يشاء ويفضله على غيره؛ لما يعلمه سبحانه فيه من أسباب التفضيل. سواء  
 كان ذلك في البشر أم الملائكة أم الأماكن أم الأزمنة.

إن من أولئك الذين فضلهم الله تعالى من أمة محمد عليه الصلاة والسلام: أهل  
 البلدة الطيبة أهل اليمن. فإن لهم من الفضائل والمناقب والمحامد والمكارم ما شهدت  
 به الأخبار عن النبي المختار ﷺ. وشهد بذلك أيضاً حسن الفعال عبر التاريخ

(١) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٢٠/٥/١٤٣٣ هـ، ١٣/٤/٢٠١٢ م.



الإسلامي الطويل.

عباد الله، إن لأهل اليمن أوائل وسوابق في الخير على غيرهم من الناس، فمن ذلك:

أن أهل اليمن هم أول من أجاب إبراهيم عليه السلام حين أذن بالحج، كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكُم مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

وكذلك كان تبع اليماني هو أول من كسا الكعبة، وأول أهل اليمن إيماناً بالنبى محمد عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه. فقد روى عبد الرزاق عن ابن جريج قال: "بلغنا أن تبعاً أول من كسا الكعبة الوصائل فسترت بها". ثم كساها الناس من بعده إلى يومنا هذا.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه قال: أقبل تبع يفتح المدائن حتى نزل المدينة وأهلها يومئذ يهود فظهر على أهلها، وجمع أحبار اليهود فأخبروه أنه سيخرج بمكة نبي يكون قراره بهذا البلد اسمه أحمد، وأخبروه أنه لا يدركه، فقال تبع للأوس والخزرج: أقيموا بهذا البلد، فإن خرج فيكم فأزروه وصدقوه، وإن لم يخرج فأوصوا بذلك أولادكم، وقال في شعره:

حُدِّثْتُ أَنْ رَسُولَ الْمَلِيكِ      يَخْرُجُ حَقَاباً بِأَرْضِ الْحَرَمِ  
وَلَوْ مُدَّ دَهْرِي إِلَى دَهْرِهِ      لَكُنْتُ وَزيراً لَهُ وَابْنَ عَمِّ

النور السائر من خطب المنابر

وقال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا تبعاً؛ فإنه كان قد أسلم) (١).

وعن عروة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: "كان تبع رجلاً صالحاً، ألا ترى أن الله عز وجل ذم قومه ولم يذمه" (٢). وأخرج ابن عساكر عن بكار بن عبد الله قال: سمعت وهب بن منبه يقول: "نهى رسول الله ﷺ الناس عن سب أسعد وهو تبع. قلنا: يا أبا عبد الله، وما كان أسعد؟ قال: كان على دين إبراهيم" (٣).

عباد الله، ومن سوابق أهل اليمن أيضاً: أنهم أول من سأل رسول الله عليه الصلاة والسلام عن أول هذا العالم، فعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: (اقبلوا البشرى يا بني تميم). قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن؛ إذ لم يقبلها بنو تميم). قالوا: قبلنا، جئناك لتتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: (كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر كل شيء) (٤).

وجاء عن أبي هريرة الدوسي اليماني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: يا رسول الله، من أسعد

(١) قال الألباني: و بكار بن عبد الله - هو البيامي - قال الذهبي: " ما علمت به بأسا ". قلت (أي: الألباني):

فهو شاهد مرسل جيد. أي: لحديث عائشة.

(٢) رواه الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي

(٣) رواه أحمد والطبراني، وهو حسن.

(٤) رواه البخاري.

الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال النبي ﷺ: (لقد ظننت يا أبا هريرة، أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصة من قبل نفسه)<sup>(١)</sup>.

ومن سوابق أهل اليمن: أنهم أول من جاء بالمصافحة، فعن أنس بن مالك قال: لما جاء أهل اليمن قال رسول الله ﷺ: (قد جاءكم أهل اليمن، وهم أول من جاء بالمصافحة)<sup>(٢)</sup>.

أيها المسلمون، إن لأهل اليمن فضائل كثيرة أخرى جاءت على لسان رسول الله ﷺ، فمن ذلك:

أن أهل اليمن هم أهل الإيمان، وهو درجة أعلى من الإسلام، قال رسول الله ﷺ: (جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية)<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي مسعود قال - وأشار النبي ﷺ بيده نحو اليمن: (الإيمان هاهنا - مرتين -  
ألا وإن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين - حيث يطلع قرنا الشيطان - ربيعة ومضر)<sup>(٤)</sup>.

وقد بوب الإمام النووي في صحيح مسلم: باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، وساق الحديثين السابقين.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه البخاري.

النور السائر من خطب المنابر

قال بعض العلماء في معنى الحديث الأول: "أي: يتأخر الإيمان بها بعد فقدته من جميع الأرض، وقال بعضهم: لإذعانهم إلى الإيمان بغير كلفة".  
ومن الفضائل: أن أهل اليمن هم أهل الفقه والعلم، كما في الحديث السابق: (والفقه يمان). والمقصود بالفقه: الفهم الشمولي للإسلام وليس المصطلح الفني عند المتأخرين.

قال ابن رجب رحمه الله: "وهذا إشارة منه إلى أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن كان على طريقه من علماء أهل اليمن كأبي مسلم الخولاني وأويس القرني ووهب بن منبه وغيرهم من علماء أهل اليمن، وكل هؤلاء من العلماء الربانيين... ولم يكن تميزهم عن الناس بكثرة قيل وقال ولا بحث ولا جدال".

ومن الفضائل: أن أهل اليمن هم أهل الحكمة والإصابة في القول والفعل، كما في الحديث السابق: (والحكمة يمانية). والحكمة معناها: ما منع من الجهل والجفاء، والحكيم من منعه عقله وحلمه من الطيش. وقال بعض العلماء: "الحكمة الإصابة لما يرضي الله وما يجبه، وترك ما يسخطه ويكرهه، ولا ينال ذلك إلا بركة القلب وصفائه، فمن كان أصفاً قلباً فإنه أحسن إدراكاً وأشد إصابة".

قال ابن رجب رحمه الله: "وقال ابن مسعوداً: (إنكم في زمان كثير علماءؤه قليل خطبآؤه، وسيأتي بعدكم زمان قليل علماءؤه، كثير خطبآؤه)، فمن كثر علمه وقل قوله فهو الممدوح، ومن كان بالعكس فهو مذموم. وقد شهد النبي ﷺ لأهل اليمن بالإيمان والفقه. وأهل اليمن أقل الناس كلاماً وتوسعاً في العلوم، لكن علمهم علم



نافع في قلوبهم ويعبرون بألسنتهم عن القدر المحتاج إليه من ذلك. وهذا هو الفقه والعلم النافع."

وكفى بهذه منقبة بعد الإيذان بالله؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ومن فضائل أهل اليمن: أنهم من أهل الخشوع ورقة القلوب والشفقة على المخلوق، والطاعة والانقياد في الحق كما في الحديث السابق: (جاء أهل اليمن هم أرق قلوباً وأضعف أفئدة)، وعند أحمد: (وأنجع طاعة) وعند الطبراني: (وأسمع طاعة)<sup>(١)</sup>. وقد قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيام خلافته فسمعوا القرآن فجعلوا يبكون، فقال أبو بكر: "هكذا كنا ثم قست القلوب".

أيها الأحبة الكرام، ومن فضائل أهل اليمن: أنهم يحبون الله ويحبهم الله، وأنهم أشداء على الكفار أرقاء على المؤمنين.

قال تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

فعن عياض الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...﴾ [المائدة: ٥٤]. أو ما رسول الله إلى أبي موسى

(١) حسن إسناده الهيثمي.

بشيء كان معه فقال: هم قوم هذا<sup>(١)</sup>.

وروى الطبري في تفسيره عن محمد بن كعب القرظي: "أن عمر بن عبد العزيز أرسل إليه يوماً، وهو أمير المدينة، يسأله عن ذلك: فقال: محمد: يأتي الله بقوم، وهم أهل اليمن، قال عمر: يا ليتني منهم!".

وأخرج البخاري في تاريخه عن القاسم قال: "أتيت ابن عمير فرحب بي ثم تلا: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...﴾ [المائدة: ٤٤]، ثم ضرب على منكبي وقال: أحلف بالله لمنكم أهل اليمن، ثلاثاً".

ومن الفضائل: أنهم من أكثر الناس تشبهاً بصحابة رسول الله في اتباع السنة، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه رأى رفقة من أهل اليمن في الحج رحالهم الأدم، فقال: "من أحب أن ينظر إلى أشبه رفقة كانوا بأصحاب رسول الله فليُنظر إلى هؤلاء".

ومن فضائل أهل اليمن: أنهم من أسرع الناس استجابة للحق وبعداً عن الاستكبار عنه؛ فقد استجابوا لدعوة رسول الله عليه الصلاة والسلام برسالة، ولم يلق منهم رسول الله محاربة وصداء. وجاءت وفودهم أفواجاً مسلمين منقادين من غير إكراه ولا رهبة.

عن ابن عباس: قال: بينما النبي ﷺ بالمدينة إذ قال: (الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله وجاء الفتح، وجاء أهل اليمن قوم نقية قلوبهم، لينة طاعتهم، الإيمان يمان والفقہ

(١) رواه الطبراني والحاكم، وهو صحيح.

يمان والحكمة يمانية(١).

وعن أبي هريرة قال: لما نزلت (إذا جاء نصر- الله والفتح...) قال النبي ﷺ: (أتاكم أهل اليمن هم أرق قلوباً، الإيـان يـان، الفقه يمان، الحكمة يمانية)(٢).

ومن فضائل أهل اليمن: أن رجالهم خير الرجال، قال النبي ﷺ: (خير الرجال رجال أهل اليمن..)(٣).

أيها الإخوة الأكارم، ومن فضائل أهل اليمن: أن أعمالهم الصالحة أعظم من أعمال غيرهم، فعن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنه سيأتي قوم تحقرون أعمالكم إلى أعمالهم، قلنا يا رسول الله، أقرئش؟ قال: لا، ولكن أهل اليمن)(٤).

ومن فضائل أهل اليمن: أنهم جيش الإسلام وجنده البواسل في كل زمان، فقد كانت لهم أيادٍ بيضاء في الفتوحات الإسلامية في حياة رسول الله وبعد موته في فتوح العراق والشام وبلاد الترك وأفريقية والأندلس وأوروبا حتى وصلوا إلى أبواب فرنسا، وما زالت معالمهم في إسبانيا شاهدة على آثارهم. فمن ذلك: أن غالب أهل معركة القادسية التي انتصر فيها المسلمون على الفرس وكانت بوابة فتح فارس كان غالب جندها من اليمن، بل كانت قبيلة بجيلة اليمانية وحدها ربع الناس فضلاً عن غيرهم.

(١) رواه ابن حبان، وهو صحيح.

(٢) رواه أحمد والطبراني، وهو صحيح.

(٣) رواه أحمد، وهو صحيح.

(٤) رواه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني والطحاوي في مشكل الآثار.

النور السائر من خطب المنابر

وفي معركة نهاوند أيضاً أبلوا بلاء حسناً، وفي معركة بلاط الشهداء كذلك، وغيرها. ولم يزل لأهل اليمن مشاركات معلومة في الجهاد ضد أعداء الإسلام في العصر- الحاضر.

فعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله عز وجل استقبل بي الشام وولى ظهري لليمن، وقال لي: يا محمد، جعلت ما تجاهك غنيمة ورزقاً، وما خلف ظهرك مدادا)<sup>(١)</sup>.

وفي آخر الزمان لأهل اليمن بشرى ففي حديث عبد الله بن حوالة قال: قال رسول الله ﷺ: (سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة: جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق) قال ابن حوالة: خري لي يا رسول الله، إن أدركت ذلك. فقال: عليك بالشام؛ فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فإن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غدركم، فإن الله توكل لي بالشام وأهله)<sup>(٢)</sup>.

ومن الفضائل أيضاً: أن أهل اليمن هم أهل الأمانة والشريعة، فقد قال رسول الله ﷺ: (الملك في قريش، والقضاء في الأنصار، والأذان في الحبشة، والأمانة في الأزدي يعني: اليمن)<sup>(٣)</sup>. وعند أحمد: (والشرعة في اليمن).

عباد الله، ومن الفضائل: أن هذه البلدة حظيت بدعوة رسول الله ﷺ، كما في

(١) رواه الطبراني، وهو صحيح.

(٢) رواه أبو داود، وهو صحيح.

(٣) رواه الترمذي، وهو صحيح.

البخاري: (اللهم بارك لنا في شأمننا، اللهم بارك لنا في يمننا). قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا؟ قال: (اللهم بارك لنا في شأمننا، اللهم بارك لنا في يمننا). قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: (هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان).

قال بعض العلماء: "وقد استجيبت دعوة رسول الله وحصل من البركات بسبب هذه الدعوة في الشام واليمن ما هو معروف مشهور، وهل دونت الدواوين ووجدت الأجناد، وارتفعت الرايات والبنود إلا بعد إسلام أهل اليمن والشام وصرفت أموالهما في سبيل الله".

إن أهل اليمن مقربون من رسول الله ﷺ، فعن عتبة بن عبد: أن رجلاً قال: يا رسول الله، العن أهل اليمن؛ فإنهم شديد بأسهم، كثير عددهم، حصينة حصونهم قال: (لا)، ولعن رسول الله ﷺ الأعجمين: فارس والروم، وقال رسول الله ﷺ: (إذا مر بكم أهل اليمن يسوقون نساءهم ويحملون أبناءهم على عواتقهم فإنهم مني وأنا منهم)<sup>(١)</sup>. أيها المسلمون، ومن فضائل أهل اليمن: أنهم من خيار أهل الأرض، فجبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع رسول الله ﷺ بطريق مكة قال: (أتاكم أهل اليمن مثل السحاب خيار من في الأرض) فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله إلا نحن، فسكت ثم أعادها فسكت، ثم أعادها فقال كلمة خفية: (إلا أنتم)<sup>(٢)</sup>.

ومن الفضائل: أنهم أول الناس شرباً من حوض رسول الله ﷺ يوم القيامة. فعن ثوبان أن نبي الله ﷺ قال: (إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب

(١) رواه أحمد والطبراني، وهو حسن.

(٢) رواه الطبراني.

بعضاي حتى يرفض عليهم)<sup>(١)</sup>.

قال النووي رحمه الله: "معناه: أطرده الناس عنه غير أهل اليمن؛ ليرفض على أهل اليمن-أي: يسيل عليهم- وهذه كرامة لأهل اليمن في تقديمهم في الشرب منه؛ مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقدمهم في الإسلام والأنصار من اليمن، فيدفع غيرهم حتى يشربوا كما دفعوا في الدنيا عن النبي ﷺ أعداءه والمكروهات".

أيها الأفاضل: ولا ننسى-ونحن نذكر- فضائل أهل اليمن ذكر تلك الملكة الصالحة ملكة سبأ بلقيس رحمها الله التي استجابت لنبي الله سليمان عليه السلام، وأسلمت معه لله رب العالمين، وسخرت ملكها في خدمة الدين الحق الذي دعاها إليه سليمان عليه السلام.

ولا ننسى أيضاً أن أهل اليمن هم أصل العرب ومنهم تحدرت قبائلها، ومنهم قبيلة جرهم التي نزلت بمكة وتزوج منهم إسماعيل عليه السلام فجاءت من ذريته قريش، وخرج من قريش محمد عليه الصلاة والسلام.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



## الخطبة الثانية

الحمد لله وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أما بعد:

أيها المسلمون، لقد جانب الصواب من قصر فضائل أهل اليمن كلها على زمان دون زمان، وفتة دون فتة من أهل اليمن؛ فإن حديث رسول الله ﷺ عام لكل زمان، ولكل أهل اليمن بحدودها الجغرافية السابقة، لا بحدودها الحالية المصطنعة.

نعم، هناك بعض الفضائل السابقة سيقت سياقاً خاصاً ببعض أهل اليمن كالأشعريين ومن كان في عهد رسول الله ﷺ، لكن بقية النصوص الأخرى تبقى على إطلاقها.

ولذلك فلا يزال أهل اليمن بمرور الأيام لهم قدم صدق في الحفاظ على الإسلام ونشره في ربوع المعمورة، ولئن كتبت عليهم الهجرة عن بلدتهم الطيبة إلى أصقاع الأرض المختلفة فقد صارت هجرة بعضهم نشراً للإسلام والخير والأخلاق الحسنة في الجهات التي وصلوا إليها.

ثم إنه لازلت بعض البلدان الإسلامية في عصرنا الحاضر تنطمس فيها معالم الإسلام يوماً بعد يوم، غير هذه البلاد المباركة التي ما تزال معالم الإسلام هي المعلم المميز لها.

إلا أن هناك خطى حثيثة وأيادي خبيثة من داخل البلاد وخارجها تحاول طمس

النور السائر من خطب المنابر

تلك المعالم الوضاعة تحت مسميات شتى. ويعون الله، ثم بتكاتف أهل الفضيلة والغيرة على الإسلام يحول الله بينهم وبين ما يشتهون من الشر للبلاد والعباد.

عباد الله، وقد جانب الصواب أيضاً من رأى تقصير بعض أهل اليمن في المحامد وارتكابهم ما لا يليق من المذام خلقاً وديناً أن ذلك سمة عامة لكل أهل هذه البلاد. نعم هناك مفسدون ومجرمون لكنهم أعضاء مشوهة في جسم كبير طيب لا يعبرون إلا عن أنفسهم الدنيئة التي لم تحظ بشرف العمل الصالح والخلق الحسن فيشملهم فضل هذه البلدة المباركة.

فأهل اليمن كغيرهم من الناس فيهم الصالح والطالح، فلا ينظر إلى فعل الطالح فيعمم على جميع الناس.

يا أهل اليمن السعيد، رويداً رويداً، لا تدعونكم هذه الفضائل إلى الزهو والتعالي والفخر على غيركم؛ فإن الفضل في الدين لا يزيد صاحبه إلا تقى وتواضعاً كالشجرة المثمرة التي تدنو أغصانها ولا تشمخ كالشجرة العاطلة من الثمر.

فالإنسان لا يرفعه إلا عمله الصالح وتقواه لرب العالمين، لا انتسابه لقبيلة أو وطن.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

والأوطان لا تقديس أحداً، إنما يقديس الإنسان عمله، كما قال سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعليكم أن تعلموا كذلك أن هذه الفضائل ليست لكل أهل اليمن؛ فأهل اليمن فيهم المسلم واليهودي، وفيهم المتبع والمبتدع، وفيهم الطائع والعاصي. إنما هذه الفضائل لمن رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً، فلا افتخار ليمني بهذه الفضائل إذا لم يكن من أهل الإيمان والاتباع.

يا أهل اليمن إن هذه الفضائل تدعوكم إلى التمسك بالإسلام أكثر من غيركم، وتدعوكم إلى الدفاع عنه ونشره بأقوالكم وأفعالكم الحسنة بين الناس، فأروا العالم من أنفسكم خيراً أنكم أهل لها باستقامتكم وحملكم هم الإسلام. وهذه الفضائل كذلك تدعوكم لقراءة سير أسلافكم الأماجد الذين رفعوا راية هذا الدين فارتفعوا بها، اقرأوا أمجادهم الخالية حتى تصنعوا مثلها في أيامنا الحالية، وسيروا على منهاجهم ودرهم، حتى يقال: إنهم خلفوا وراءهم رجالاً يواصلون مسيرتهم المشرقة.

﴿وَأِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية...

## فهرس خطب المجموعة الثانية

|     |       |                                    |
|-----|-------|------------------------------------|
| ٥   | ..... | مقدمة المجموعة الثانية             |
| ٧   | ..... | مرض الحسد وعلاجه                   |
| ١٦  | ..... | الخطبة الثانية                     |
| ١٨  | ..... | الإصابة بالعين حقيقتها وعلاجها     |
| ٣٠  | ..... | الخطبة الثانية                     |
| ٣٢  | ..... | السحر بثوبه الجديد                 |
| ٣٩  | ..... | الخطبة الثانية                     |
| ٤١  | ..... | اللهم أغثنا                        |
| ٥١  | ..... | الخطبة الثانية                     |
| ٥٤  | ..... | لا تجارة بالإسلام والأخلاق الحميدة |
| ٦٥  | ..... | الخطبة الثانية                     |
| ٦٦  | ..... | الإسراء والمعراج: ذكريات وتأملات   |
| ٧٧  | ..... | الخطبة الثانية                     |
| ٨٠  | ..... | شعبان آداب وأحكام                  |
| ٨٩  | ..... | الخطبة الثانية                     |
| ٩١  | ..... | الصيف .. حكم وأحكام                |
| ١٠٤ | ..... | الخطبة الثانية                     |
| ١٠٦ | ..... | مشكلاتنا: أسبابها وعلاجها          |
| ١١٨ | ..... | الخطبة الثانية                     |
| ١٢١ | ..... | الثقة بالله تعالى                  |
| ١٣٣ | ..... | الخطبة الثانية                     |
| ١٣٦ | ..... | الحفاظ على نعمة العقل              |
| ١٤٩ | ..... | الخطبة الثانية                     |
| ١٥٢ | ..... | فضل الاستغفار                      |
| ١٦٢ | ..... | الخطبة الثانية                     |
| ١٦٤ | ..... | مفاتيح الرزق                       |
| ١٧٥ | ..... | الخطبة الثانية                     |
| ١٧٩ | ..... | بين يدي رمضان                      |
| ١٨٧ | ..... | الخطبة الثانية                     |
| ١٩٠ | ..... | رمضان والقرآن                      |
| ١٩٩ | ..... | الخطبة الثانية                     |
| ٢٠٢ | ..... | رمضان والجود                       |
| ٢١٢ | ..... | الخطبة الثانية                     |
| ٢١٥ | ..... | رمضان والتفكير                     |
| ٢٢٥ | ..... | الخطبة الثانية                     |

|     |       |   |
|-----|-------|---|
| ٢٢٩ | ..... | رمضان والجهاد                               |
| ٢٣٨ | ..... | الخطبة الثانية                              |
| ٢٤٠ | ..... | رمضان والدعاء                               |
| ٢٥٠ | ..... | الخطبة الثانية                              |
| ٢٥٤ | ..... | وداع رمضان                                  |
| ٢٦١ | ..... | الخطبة الثانية                              |
| ٢٦٤ | ..... | الناس بعد رمضان                             |
| ٢٧٣ | ..... | الخطبة الثانية                              |
| ٢٧٦ | ..... | الثبات الثبات عباد الله                     |
| ٢٨٦ | ..... | الخطبة الثانية                              |
| ٢٨٩ | ..... | السفر إلى الدار الآخرة                      |
| ٣٠٢ | ..... | الخطبة الثانية                              |
| ٣٠٤ | ..... | الإسلام والنظافة                            |
| ٣١٥ | ..... | الخطبة الثانية                              |
| ٣١٧ | ..... | الغضب بين الدم والمدح                       |
| ٣٢٦ | ..... | الخطبة الثانية                              |
| ٣٣١ | ..... | الطلاق الممنوع والطلاق المشروع              |
| ٣٤١ | ..... | الخطبة الثانية                              |
| ٣٤٤ | ..... | تعظيم الأشهر الحرم                          |
| ٣٥٢ | ..... | الخطبة الثانية                              |
| ٣٥٤ | ..... | الكلمة الطيبة وآثارها الحسنة                |
| ٣٦٤ | ..... | الخطبة الثانية                              |
| ٣٦٧ | ..... | فضل العمل الصالح في العشر الأول من ذي الحجة |
| ٣٧٦ | ..... | الخطبة الثانية                              |
| ٣٧٩ | ..... | الحج غير ودروس                              |
| ٣٨٨ | ..... | الخطبة الثانية                              |
| ٣٩٠ | ..... | خطبة عيد الأضحى                             |
| ٣٩٥ | ..... | الخطبة الثانية                              |
| ٣٩٧ | ..... | ذكر الله تعالى                              |
| ٤٠٧ | ..... | الخطبة الثانية                              |
| ٤١٠ | ..... | عبادة الشكر                                 |
| ٤١٨ | ..... | الخطبة الثانية                              |
| ٤٢١ | ..... | حقيقة بين عامين                             |
| ٤٣١ | ..... | الخطبة الثانية                              |
| ٤٣٤ | ..... | فضائل أهل اليمن                             |
| ٤٤٥ | ..... | الخطبة الثانية                              |
| ٤٤٨ | ..... | فهرس خطب المجموعة الثانية                   |